[illegible]

١٠٧٨

فهرس ما في هذا الكتاب من انواع البديع

باب الاستعاره ٥ التجنيس ٦ الطباق ٨ رد الاعجاز على الصدور ٩ المذهب الكلامي ١٠ الالتفات ١١ التمام ١١ الاستطراد ١٢

تأكيد المدح بما يشبه الذم ١٣ تجاهل العارف ١٣ الهزل الذي يراد به الجد ١٤ حسن التضمين ١٤ الكناية ١٥ الافراط في الصفه ١٦ التشبيه ٢٠ عتاب المرء نفسه ٢٢

حسن الابتداءات ٢٢ صحة الاقسام ٢٤ صحة المقابلات ٢٥ صحة التفسير والتبيين ٢٧ ايتلاف اللفظ والمعنى ٣٠ المساواة ٣١ الاشارة ٣٢ الارداف والتتبيع ٣٤

التمثيل ٣٦ ايتلاف اللفظ مع الوزن ٣٨ ايتلاف القافية مع ما يدل عليه البيت ٣٨ التوشيح ٤٠ الايغال ٤١ الاحتراس ٤٤ المواربه ٤٥ الترديد ٤٦

التعطف ٤٧ التفويت ٤٨ التسهيم ٤٩ التوريه ٥٠ الترشيح ٥١ الاستخدام ٥٢ التغاير ٥٣ الطاعة والعصيان ٥٦ التسميط ٥٨

المماثله ٥٩ التجريد ٥٩ التسجيع ٥٩ الترصيع ٥٩ التصريع ٦٠ التشطير ٦١ التعليل ٦٢ التطريز ٦٣ التوشيع ٦٣ العكس والتبديل ٦٤

الاغراق ٦٤ الغلو ٦٥ القسم ٦٦ الاستدراك والرجوع ٦٧ الاستثنا ٦٨ جمع المختلفة والمؤتلفة ٦٩ التوهيم ٧٠ الاطراد ٧١

التكميل ٧٤ المناسبه ٧٤ التفريع ٧٧ التكرار ٧٧ نفي الشيء بايجابه ٧٨ الابداع ٧٩ الاستعانه ٧٩ الموازنه ٨٠ التذييل ٨١

المشاكله ٨٣ المواردة ٩٠ التهذيب والتأديب ٩٥ حسن النسق ٩٣ الانسجام ٩٤ براعة التخلص ٩٤ الحل ٩٦ العقد ٩٦ التعليق ٩٦

الادماج ٩٨ الازدواج ٩٨ الاتساع ٩٩ المجاز ١٠٠ الايجاز ١٠٠ سلامة الاختراع من الاتباع ١٠٤ حسن الاتباع ١٠٥ حسن البيان ١١٠ التوليد ١١١ النكتة ١١٣

الاتفاق ١١٦ النوادر ١١٤ الالتزام ١١٧ تشابه الاطراف ١١٨ التوام ١١٩ التخيير ١٢٠ التدبيج ١٢٢ التمزيج ١٢٣ الاستقصا ١٢٣

البسط ١٢٥ الهجاء في معرض المدح ١٢٧ العنوان ١٢٨ التشكيل ١٣٠ الحيدة والانتقال ١٣١ التسمانه ١٣١ التهكم ١٣١ التنذير ١٣١ الاسجال ١٣٢

الاشتراك ١٣٣ الالغاز والتعميه ١٣٤ التصرف ١٣٥ النزاهه ١٣٦ التسليم ١٣٦ الافتنان ١٣٧ المراجعه ١٣٧ السلب والايجاب ١٣٨ الابهام ١٣٩

القول بالموجب ١٤٠ حصر الجزئي والحاقه بالكلي ١٤٠ المقارنة ١٤٠ المناقضه ١٤٢ الانفصال ١٤٢ الابداع ١٤٣

حسن الخاتمه ١٤٤ باب الفوائد ١٤٧

١٠٧٠

كتاب تحرير التحبير

تأليف الشيخ الأديب زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله المصري المعروف بابن أبي الإصبع رحمه الله تعالى

عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن محمد الإمام المتفنن البارع الأديب البليغ زكي الدين أبو محمد المعروف بابن أبي الإصبع العدواني المصري الشاعر المشهور صاحب التصانيف في الأدب وغيره وله الشعر الرائق الفائق إلى الغاية ومن ذلك قصيدة يمدح بها الملك الأشرف موسى شاه أرمن

فضحت الحيا والبحر جودا فقد بكى الحيا من حياء منك والتطم البحر

عيون معانيها صحاح وأعين الملاح مراض فلو لاحظتها لتكسر

قال زكي الدين وقع لي في هذه الأبيات ست عشر ضربا من البديع

وكانت وفاته سنة أربع وخمسين وستمائة ٦٥٤ في المنهل الصافي

برسم الخزانة العالية المولوية المالكية السيدية المخدومية الشهابية ابن فضل الله دام شرفه

ألفه المصنف في روضة يمتع بغصنها بتحبير

فقد كان ذا علم صالح لعلم البديع وتقرير

وما زال في رزق جعل الورى إلى أن حباه بتحرير

T. C.
MİLLİ ... KANLIĞI
RAGIP ... PLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 922
1078

١٠٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا يستعذب الحامد مساغه وصلى الله على من كانت أعظم آياته البلاغة
وعلى آله وصحبه ما زان حلي الكلام من صيغ له ومن صاغه وبعد فإني رأيت
ألقاب محاسن الكلام التي نعتت بالبديع قد انتهت إلى عدد منه أصول وفروع
فأصوله ما أشار إليها ابن المعتز في بديعه وقدامة في نقده لأنهما أول من عني
بتأليف ذلك أما ابن المعتز فهو الذي سماه البديع واقتصر في كتابه بهذه التسمية
على خمسة أبواب وهي الاستعارة منفردًا بها على أن قدامة ذكر الاستعارة ولم
يبوب عليها في المحاسن وإنما جاء بها في ضمن ذكر المعاظلة من العيوب وزعم أن
المعاظلة شنيع الاستعارة فاقتضى كلامه أن من الاستعارة قبيحًا وحسنًا
فحسنها من المحاسن وقبيحها من العيوب ولم يذكرها في المحاسن وابن المعتز ذكرها
والتجنيس والطباق متواردًا مع قدامة عليهما ورد الأعجاز على الصدور منفردًا
به وختمها بخامس عزا تسميته إلى الجاحظ وهو المذهب الكلامي منفردًا به وإن
كان ما قبله من الأسماء الأربعة قد سبقت العرب إلى وضعها وربما سبق ابن
المعتز إلى نقلها وعدها وقال ابن المعتز في صدر كتابه وما جمع قبلي فنون
البديع أحد ولا سبقني إلى تأليفه مؤلف وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين
وأول من نسخه مني علي بن يحيى بن منصور المنجم ثم قال بعد سياقة الأبواب الخمسة ونحن
الآن نذكر محاسن الكلام والشعر وإن كانت محاسنهما كثيرة لا ينبغي للعاقل
العالم أن يدعي الإحاطة بها حتى يتبرأ من شذوذ بعضها عن علمه وأحببنا بذلك
أن تكثر فوائد كتابنا للمتأدبين ويعلم الناظر فيه أنا قد اقتصرنا بالبديع على
الفنون الخمسة اختيارًا من غير جهل بالطريقة ولا ضيق في المعرفة فمن أحب أن
يقتدي بنا ويقتصر على تلك الخمسة بالبديع فليفعل ومن أضاف من هذه المحاسن أو

غيرها شيئًا إلى البديع وارتأى غير رأينا فله اختياره وهذا حين ذكر المحاسن ثم
ذكر الالتفات وقد توارد عليه هو وقدامة وذكر اعتراض كلام في كلام لم
يتم معناه ثم يعود المتكلم فيتممه في بيت واحد وجملة واحدة وهذا الباب سماه
قدامة التمام وسماه الحاتمي في الحلية التتميم وهو مما توارد عليه قدامة وابن المعتز
ثم ذكر من المحاسن الخروج من معنى إلى معنى وهو الذي سماه الحاتمي الاستطراد
ناقلًا تسميته لا مخترعًا وهو من أفراد ابن المعتز ثم ذكر تأكيد المدح بما يشبه
الذم منفردًا به وذكر تجاهل العارف وهو الذي سماه المتأخرون الإعنات
والتشكيك وهذه التسمية غير مطابقة من كل وجه والتشكيك باب مفرد بينه وبين
تجاهل العارف فرق سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى وهو من أفراد ابن المعتز ثم
ذكر الهزل الذي يراد به الجد منفردًا به وذكر حسن التضمين منفردًا به وذكر
الكناية منفردًا بها وذكر الإفراط في الصفة متواردًا عليها مع قدامة وسماها
قدامة المبالغة وذكر التشبيه متواردًا هو وقدامة عليه وذكر عتاب المرء
نفسه منفردًا به وذكر حسن الابتداءات منفردًا به وسماه من بعده براعة
الاستهلال على اختلاف في شواهده فهذه اثنا عشر بابًا من المحاسن تضاف إلى
أبواب البديع الخمسة فيصير ما اخترع ابن المعتز جمعه من ذلك سبعة عشر بابًا
وأما قدامة فضمن كتابه الموسوم بنقد الشعر عشرين بابًا وهي التشبيه والتمام
والمبالغة والطباق والجناس متواردًا هو وابن المعتز عليها جميعًا وبقية العشرين
مما انفرد به قدامة وهي التكافؤ وإن كان هذا الباب يتداخل على قدامة في
باب الطباق وسأبين ذلك في موضعه وصحة الأقسام وصحة المقابلات وصحة
التفسير وائتلاف اللفظ مع المعنى وهو باب فرع منه قدامة ستة أبواب وهي
المساواة والإشارة والإرداف والتمثيل ثم فرع من باب ائتلاف اللفظ مع المعنى

الإيجاب

ايضا الطباق والجناس وقد مضى ذكر توارده مع ابن المعتز عليهما وذكر ايتلاف
اللفظ مع الوزن وايتلاف المعنى مع الوزن وقد جعل المتاخرون هذين البابين
بابا واحدا وسموه التهذيب والتاديب لكن قدامة خصهما بالشعر ومن سماهما
تهذيبا وتاديبا لا يخصهما بالشعر دون النثر ولا النثر دون الشعر وايتلاف
القافية مع ما يدل عليه سائر البيت وقد سماه من بعده التمكين وخص به الشعر
ايضا وهو لا يخصه وفرع قدامة من هذا الباب بابي التوشيح والايغال فهذه ثلثة
عشر بابا صحت لقدامة منفردا بها بعد اسقاط ما تداخل عليه وهو التكافو
واذا اضيفت الى ما قدمه ابن المعتز من البديع واضافه اليه من المحاسن صارت
عدة الاصول من كتابيهما بعد حذف ما تواردا عليه ثلثين بابا سليمة من التداخل
وهذه اصول ما ساقه الناس في كتبهم من البديع الى هلم جرا ثم اقتدى الناس
بابن المعتز في قوله فمن احب ان يضيف شيا من هذه المحاسن او غيرها الى البديع
فليفعل فاضاف الناس المحاسن الى البديع وفرعوا من الجميع ابوابا اخر وركبوا منها
تراكيب شتى واستنبطوا غيرها بالاستقراء من الكلام والشعر حتى كثرت الفوايد
وراوا ابن المعتز قد غلب اسم البديع على اسم المحاسن فسمى كتابه بالبديع وهو
جامع لهما معا فاقتدوا به لانه المخترع الاول للتصنيف فسمى كل من وضع
كتابا في ذلك باسم اما مصرح بالبديع او راجع معناه اليه وكذلك فعل كل
من عرف نوعا منه عند سواله عنه فانه يقول هذا الضرب الفلاني من البديع الا
من الف في مجموع البلاغة وتعريف كنه الفصاحة او في النقد كتابا فان له ان
يسميه ما شاء ولقد وقفت من هذا العلم على اربعين كتابا منها ما هو منفرد به
وما هذا العلم او بعضه داخل في ضمنه كنقد قدامة وبديع ابن المعتز وحلية
المحاضرة وكشف عن الحالي والعاطل الذي ذكره الحاتمي في الحلية فلم اجد من

يعرف بوقوفه عليه سوى ابن منقذ في بديعه وكالصناعتين للعسكري والعمدة لابن
رشيق وتزييف نقد قدامة له ورسالة ابن بشر الآمدي التي رد بها على قدامة
وكشف الظلامة للموفق البغدادي والنكت في الاعجاز للرماني والجامع الكبير في
التفسير له والتعريف والاعلام للسهيلي ودرة التنزيل وغرة التاويل للخطيب
واعجاز القران لابن الباقلاني والكشاف للزمخشري ودلايل الاعجاز للجرجاني
واسرار العربية البلاغة ونظم القران للجاحظ واعجاز ابن الخطيب ورسالة الصولي
التي قدمها على شرح شعر ابي نواس ورسالته في اخبار ابي تمام ورسالة ابن افلح
وشروح ابي العلاء الثلثة وهي ذكرى حبيب وعبث الوليد ومعجز احمد
والمنصف لابن وكيع والموازنة للآمدي والوساطة للجرجاني والغرر والدرر للمرتضى
والمجازات لاخيه الرضي وشرح حديث ام زرع للقاضي عياض وما في كتابه المنعوت
بالشفاء من كلامه على معجز القران والتنبيه على محاسنه وما لخصه في اخر
شرح حديث ام زرع من بديع الحديث والحديقة للحجاري صاحب المسهب
في اخبار اهل المغرب وبديع التبريزي وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي
والمثل السائر لابن اثير الجزري والاقناع للصاحب ابن عباد وبديع ابي اسحق
الاجدابي وبديع شرف الدين التيفاشي وهو اخر من الف فيه تاليفا في غالب
ظني وجمع فيه ما لم يجمعه غيره لولا مواضع نقلها كما وجدها ولم يمعن النظر فيها وبعض
الابواب التي تداخلت عليه فيه واذا وصلتا الى بديع ابن منقذ وصلت الى
الخبط والفساد العظيم والجمع بين اشتات الخطاء وانواعه من التوارد والتداخل
وضم عيوب البديع والمحاسن الى البديع كانواع العيوب واصناف السرقات
ومخالفة الشواهد التراجم وتسمية الفروع اصولا وفنون من الزلل والخلل
يعرف صحتها من وقف على كتابه وانعم النظر فيه وان كان قل ما رايت منها

الحجاري هو بالراء المهملة منسوب
الى وادي الحجارة بلد بالمغرب

كأنّا خلا عن موضع نقل بحسب منزلة واضعه من العلم والدراية فمن قليل ومن
كثير وكل احد ماخوذ من قوله ومتروك والسعيد من عدّت سقطاته وما
ابرئ نفسي ولا ادّعي سلامة وضعي دون ابناء جنسي غير اني توخيت تحرير ما جمعته
من هذه الكتب جهدي ودققت النظر حسب طاقتي فتحرست من التوارد وتجنبت
التداخل ونقحت ما يجب تنقيحه وصححت ما قدرت على تصحيحه ووضعت كل شاهد
في موضعه وربما ابقيت اسم الباب وغيرت مسماه اذا رايت اسمه لا يدل على معناه
الى ان جمعت جميع ما جاء في هذه الكتب من الابواب على ما قدمت من الشرايط فكان ما
جمعته من ذلك ستين بابا فروعا بعد ما قدمته من الاصول وهي

الاحتراس • والموازنة براء مهملة • والترديد • والتعطف • والتفويف
والتسهيم • والتورية • والترشيح • والاستخدام • والتغاير • والطاعة
والعصيان • والتسميط • والمماثلة • والتجزية • والتسجيع • والترصيع
والتصريع • والتشطير • والتعليل • والتطريز • والتوشيع • والعكس
والاغراق • والغلو • والقسم • والاستثناء • والاستدراك • وجمع
المختلفة • والمؤتلفة • والتوهيم • والاطراد • والتكميل • والمناسبة
والتفريع • والتكرار • ونفي الشيء • بايجابه • والايداع • والاستعانة
والموازنة • براي معجمة • والتذييل • والمشاكلة • والمواردة • والتهذيب
وحسن النسق • وبراعة • التخلص • والانسجام • والحل • والعقد
والتعليق • والادماج • والازدواج • والاتساع • والمجاز • والايجاز
وسلامة • الاختراع • من الاتباع • وحسن الاتباع • وحسن • البيان
والتوليد • والتنكيت • والاتفاق • والاغراب • والطرفة •

وكنت اثبت في الابواب التي استنبطتها باب الاشتراك ظنا مني اني لم اسبق اليه فلما

عثرت عليه بعد ذلك بحثت في الجزء الثاني على اسقاطه من ابوابي واثباته في ابواب من
تقدمني في موضعه الذي عينته وعوضت عنه باب الفرايد فصارت ابواب من
تقدمني به احدا وستين بابا واضفت هذه الابواب الفروع الى تلك الثلثين الاصول
فصارت الجملة احدا وتسعين بابا ورايت الاجدابي قد ذكر من محاسن القافية
اربعة ابواب منها بابان هما باب واحد سماهما بتسميتين غير مطابقتين لمعناهما
فجعلتهما بابا واحدا على حكم ما اخذت به نفسي من حذف المتداخل وسميته الالتزام
وعند ذكر شواهده تعلم مطابقة تسميته لمسماه وبابان معناهما حسن سمى احدهما
بتسمية ايضا غير لايقة فسميته تشابه الاطراف وسيبين حسن هذه التسمية وباب
ايضا سماه بما لا يوافق فسميته التوأم فسلمت له ثلثة ابواب عوضت بها ما تداخل
في باب التهذيب من ائتلاف اللفظ مع الوزن والمعنى مع الوزن وما تداخل في باب
التمكين من ائتلاف القافية مع ما يدل عليه ساير البيت لتصح العدة على شرط السلامة
احدا وتسعين بابا كلها من المحاسن ليس فيها شيء من ضروب العيوب وهي عند من
يجعل التهذيب بابا مفردا قايما بذاته وليس ذلك بالممتنع اربعة وتسعون بابا ○

ولما امرني من لا محيد لي عن امره ولا محيص عن رسمه سيد الفضلاء وقدوة البلغاء
وملجأ الادباء ومحط رحال الغرباء وامام الكرماء القاضي الاجل الفاضل شرف
الدين ابو علي الحسن بن القاضي الاجل الفقيه الامام العالم الورع العدل الرضي
جلال الدين المكرم ابي الحسن موسى بن الحسن سناء الملك

نسب كأن عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا

امتعه الله بفضايله كما امتع الفضلاء بفواضله ورحم سلفه كما رحم به من عرفه
بجمع ما في كتب الناس من ذلك على طريق الاختصار من الشواهد وتجنب الاطالة
بذكر كل الاشتقاق الا ايضاح مشكل او كشف غامض او زيادة بسط في الكلام

على ايةٍ من كتاب الله تعالى أو في بيتٍ قد اهمل نقصى الكلام عليه بادرت الى امتثال امره
واستخرت الله سبحانه وتعالى حالة الشروع في مرسومه وسالته الاعانة على
بلوغ غرضه والهداية الى ما يترجح عنده ولما اخذت في ذلك عنّ لي استنباط
ابوابٍ تزيد بها الفوايد ويكثر بها الامتاع نسجًا على منوال من تقدمني واتباعًا
لسنة من سبقني ففتح علي من ذلك بتثليث ما اسلفه من التداخل والتوارد ولم اسبق في
غلبة ظني الى شيٍ منها الان يوجد في زوايا الكتب التي لم اقف عليها شيٌ مما اخترعته
فاكون انا ومن سبقني اليه متواردين عليه وما اظن ذلك والله اعلم ولما انتهى
استخراجي الى هذا العدد امسكت عن الفكر في ذلك ليكون ما اتيت به وفق عدد
الاصول من هذا الشان وهذا اوان سياقة ابوابي التي استنبطتها وفنوني التي استخرجتها
وهي التخيير والتدبيج والتمزيج والاستقصاء والبسط
والهجاء في معرض المدح والعنوان والايضاح والتشكيك
والجدة والانفصال والشماتة والتهكم والتذييل والاسجال بعد
المغالطة والاشتراك والالغاز والتعمية والتصرف والنزاهة
والتسليم والافتنان والمراجعة والسلب والايجاب والابهام
والقول بالموجب وحصر الجزئي والحاقه بالكلي والمقارنة
والمناقضة والانفصال والابداع وحسن الخاتمة
والحقت ذلك بما تقدم من الابواب فصارت عدة ابواب هذا الكتاب مايةً وثلثة
وعشرين بابًا سوى ما انشعب من ابواب الايتلاف والجناس والطباق والتصدير
وسميته بتحرير التحبير وبعض هذه الابواب وهو الاقل يخص الشعر وباقيها وهو
الاكثر يعم الشعر والنثر يعلم ذلك من يتحرى في هذا الكتاب فالذي يخص الموزون
منها ثلثة وعشرون بابًا وهي الموازنة براءٍ مهملةٍ والتسميط والتجزية والتسجيع والترصيع

والتصريع والتشطير والتطريز والعكس والاغراق والتجزية والغلو والاستدراك
والاطراد والتفريع والابداع والاستعانة والموازنة والمشاكلة والموازدة
فهذه من الفروع ومن الاصول الهزل الذي يراد به الجد وايتلاف اللفظ مع الوزن
وايتلاف المعنى مع الوزن وباقي الابواب وهي ماية بابٍ تعم الموزون والمنثور وتوجد
في الكتاب العزيز لمن دقق النظر في الاستنباط والله سبحانه وتعالى المسؤول
في حسن التوفيق الى التحقيق لنهتدي الى سبيل الرشد ونهج الصواب وسعادةٍ
يرزق بها هذا التاليف حسن القبول من ذوي الالباب انه الكريم الوهاب
وهذا حين الشروع في تفصيل جملة الابواب

باب الاستعارة

حدّ الرماني الاستعارة بان قال هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في اصل اللغة
على سبيل النقل وقال ابن المعتز هي استعارة الكلمة لشيٍ لم يعرف بها من شيٍ قد
عرف بها وقال ابن الخطيب هي ذكر الشي باسم غيره واثبات ما لغيره له لاجل المبالغة
في التشبيه وقال ولك ان تقول الاستعارة جعل الشي الشي او جعل الشي للشي لاجل
المبالغة في التشبيه وقلت هي نقل اسم الراجح للمرجوح لقصد المبالغة في التشبيه
وحسن البيان فانك اذا قلت زيد الاسد فقد نقلت اسم الاسد لزيد لان الاسد في
الجراة راجح وزيد مرجوح وقد بالغت في تشبيه زيد بالاسد واحسنت البيان
وكذلك قوله تعالى وانه في ام الكتاب فقد نقلت اسم الام الحيوانية لاصل
الكتاب لقصد المبالغة في التشبيه ليكون اظهر للحس وكذلك قوله واخفض
لهما جناح الذل وكقوله عز وجل واشتعل الراس شيبًا ولا بد في الاستعارة
من اعتبار ثلثة اشياء اصول مستعار ومستعار منه ومستعار له فالمستعار

في الآية الأخيرة الاشتعال والمستعار منه النار والمستعار له الشيب والجامع بين المستعار منه والمستعار له مشابهة ضوء النار لبياض الشيب وفايدة ذلك وحكمته وصف ما هو أخفى بالنسبة بما هو أظهر وقد جاء الكلام في الاستعارة التي في الآية الأخيرة على غير وجهه فإن وجه الكلام فيها أن يقال واشتعل شيب الرأس وإنما قلب ليحصل فيه ضرب من المبالغة لكونه في حالة القلب يستفاد منه عموم الشيب لجميع الرأس ولو جاء الكلام على وجهه لم يفد ذلك العموم وذلك أنك لو قلت في مثاله اشتعلت النار في البيت لصدق هذا القول على اشتعال النار في جانب واحد من البيت دون بقية جوانبه وإذا قلت اشتعل البيت نارا أفاد هذا القول أن النار قد شملت جميع نواحي البيت وجهاته وعلى هذا فاعتبر الاستعارة لتعلم أنها على قسمين قسم يجي الكلام فيه على وجهه فلا يفيد سوى إظهار الخفي فقط أو المبالغة فحسب وقسم يأتي الكلام فيه على غير وجهه فيفيد المعنيين معا وأحسنها ما قرب منها دون ما بعد ولم يسمع سامع في الاستعارة كقوله تعالى والصبح إذا تنفس فإن ظهور الأنوار في المشرق من أشعة الشمس قليلا قليلا بينه وبين إخراج النفس مشابهة شديدة وأجل الاستعارات الاستعارة المرشحة كقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم فإن الاستعارة الأولى وهي لفظة الشراء رشحتها الثانية وهي لفظتا الربح والتجارة والله أعلم ٥

ومن أمثلة الاستعارة في السنة النبوية قوله عليه السلم ضموا مواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء فاستعار صلى الله عليه وسلم للعشاء الفحمة لقصد حسن البيان لأن الفحمة هاهنا أظهر للحس من الظلمة فإن الظلمة تدرك بحاسة البصر فقط والفحمة تدرك بحاستي البصر واللمس فكان ذكرها أحسن بيانا من الظلمة ٥ ذكر

ومن أمثلة الاستعارة الشعرية قول امرئ القيس

وليل كموج البحر أرخى سدوله ... علي بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصلبه ... وأردف أعجازا وناء بكلكل

فإن هذا الشاعر استعار لظلمة الليل السدول المرخاة لما بين المستعار والمستعار له من اجتماعهما في منع الأبصار من الإبصار وفايدة هذه الاستعارة نقل الأخفى إلى الأظهر لأن السدول تدرك بحاستي البصر واللمس والظلمة تدرك بأحدهما دون الأخرى ثم تمم تكوينه جعل السدول مرخاة لأن ذكرها بدون هذا القيد لا يوفي بالمعنى الذي قصده من منع رؤية ما وراءها لاحتمال أن تكون مرفوعة وكذلك قصد في البيت الثاني بقوله تمطى بصلبه البيت فإنه أراد وصف الليل بالطول فاستعار له صلبا يتمطى به إذ كان كل ذي صلب يزيد في طوله عند تمطيه شيء وبالغ في طوله بأن جعل له أعجازا يردف بعضها بعضا فهو كلما نفد عجز ردفه عجز فلا تفنى أعجازه ولا تنتهي إلى طرف كما قيل في قوله تعالى لابثين فيها أحقابا قال قتادة أحقابا لا انقطاع لها كلما مضى حقب جاء حقب بعده وقال الحسن البصري أما الأحقاب فليس لها عدد إلا الخلود ثم أراد أن يصف الليل بعد ذلك الطول بثقل على قلب ساهره والضغط لمكابده فاستعار له كلكلا ينوء به ولأجل هذه المعاني كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة والعدول إليها أولى لما تعطي من المعاني التي لا تحصل من لفظ الحقيقة والاستعارة منها كثيف وهو استعارة الأسماء للأسماء وكل ما مر من الأمثلة غير الآية الأخيرة فهو شاهد لها ولطيف وهو استعارة الأفعال للأسماء كقول الله تعالى فما بكت عليهم السماء والأرض وكقول أبي تمام

من كل مكونة ذاب النعيم لها ... ذوب الغمام فمنهل ومنسكب

والله أعلم ٥

باب التجنيس

حدّ الرماني التجنيس بان قال هو بيان المعاني بانواع من الكلام يجمعها اصل واحد من اللغة وجعله قسمين جناس مزاوجة وجناس مناسبة فالمزاوجة كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وكقول عمرو بن كلثوم

الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

والمناسبة كقوله سبحانه يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار واما قدامة وابن المعتز وان اختلفا في تسمية هذا الباب فقد اتفقا على معناه فقال قدامة في حده هو اشتراك المعاني في الفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق كقول زهير

كان عيني وقد سال السليل بهم وجيرة ما هم لو انهم امم

وهذا الحد بعينه هو تجنيس المناسبة الذي ذكره الرماني ولولا قول قدامة على جهة الاشتقاق لكان حده بعينه هو حد الرماني المطلق وقال ابن المعتز هو ان تجيء الكلمة تجانس اختها كقول الله تعالى فاقم وجهك للدين القيم وكقول النعمان بن بشير لمعوية

الم تبتدركم يوم بدر سيوفنا وليلك عما ناب قومك نايم

وهذا بعينه هو تجنيس المناسبة من جهة الاشتقاق ولم يخرج من بعد هولاء عما حدوه به لكنهم فرعوه ثمانية فروع وعلى هذا التفريع اكثر المتاخرين سوى التبريزي فانه نقص من هذه الاقسام اربعة وابتدا اربعة وخلط في الشواهد وغير الاسماء هذا ان كان متاخرا عمن قسم التجنيس الى ثمانية اقسام واخترع اسماءها فاني لم اقف على صحة ذلك ورايت ابن منقذ قد اتى على الاقسام الثمانية وفاته قسم تاسع اتى به التبريزي وسناتي به في موضعه ان شا الله تعالى

فمن فروع التجنيس تجنيس التغاير وهو ان تكون احدى الكلمتين اسما والاخرى فعلا وهذا اسماه التبريزي التجنيس المطلق كقول الله تعالى اني وجهت وجهي وكقوله سبحانه اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة وكقول الرسول عليه الصلوة والسلم عصية عصت الله ورسوله وغفار غفر الله لها واسلم سالمها الله وكقول جرير

كانك لم تسر ببلاد نجد ولم تنظر بناظرة الخياما

وقد فرع التبريزي من هذا القسم ضربا سماه التجنيس المستوفي وهو ان تتشابه الكلمتان لفظا وخطا واحدهما اسم والاخرى فعل وانشد فيه قول ابي تمام

ما مات من كرم الزمان فانه يحيى لدى يحيى بن عبد الله

وهذا الفرع وان وضعت له تسمية تخالف تسميات الاقسام الثمانية وكانت صورة مثاله غير صور الامثلة فانه داخل في القسم الذي احدى كلمتيه اسم والاخرى فعل فلذلك لم نعتد به قسما مستقلا وتجنيس التماثل وهو ان تكون الكلمتان اسمين او فعلين وهو على ضربين ضرب تتماثل فيه الكلمتان سواء كانتا اسمين او فعلين في اللفظ والخط كقول الشاعر

عينه تقتل النفوس وفوه منه تحيى عن الحياة النفوسا

وضرب لا تتماثل فيه الكلمتان الا من جهة الاشتقاق سواء كانتا اسمين او فعلين كقوله تعالى فروح وريحان وقوله سبحانه وجنى الجنتين دان وكقول الرسول عليه السلم الظلم ظلمات وكقوله عليه السلم اسلم تسلم وكقول البحتري

نسيم الروض في ريح شمال وصوب المزن في راح شمول

وهذان التجنيسان اعني التغاير والتماثل فرعان من التجنيس الذي اصله قدامة وابن المعتز وباقي الثمانية استخرجها المتاخرون بالاستقراء وهي تجنيس التصحيف

ولم يذكره التبريزي في اقسام التجنيس وجعل التصحيف بابا مفردا وتجنيس التصحيف
ان يكون النقط فارقا بين الكلمتين كقوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون وكقول
النبي صلى الله عليه وسلم لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله
عليه السلم اللهم بارك لهم في محضها ومخضها وكقول البحتري

ولم يكن المغتر بالله اذ سرى ليعجز والمعتز بالله طالبه

وتجنيس التحريف وهو ان يكون الشكل فارقا بين الكلمتين او بعضهما وهذا ايضا لم
يذكره التبريزي ومثاله قوله سبحانه ان ربهم بهم وقوله تعالى ولكنا كنا
مرسلين واما قوله سبحانه ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
فهو الغاية التي لا تدرك وكقول الرسول عليه السلم الظلم ظلمات وكقول
ابي تمام

هن الحمام فان كسرت عيافة من حايهن فانهن حمام

وتجنيس التصريف مما لم يذكره التبريزي ايضا وهو اختلاف صيغة الكلمتين
بابدال حرف من حرف اما من مخرجه او من قريب منه كقوله تعالى وهم ينهون عنه
وينأون عنه وكقول الرسول عليه السلم الخيل معقود بنواصيها الخير
وكقول الشاعر

لا يذكر الرمل الا حن مغترب له بذي الرمل اوطار واوطان

وتجنيس الترجيع وهو الذي سماه التبريزي التجنيس الناقص وقالوا هو الذي يرجع
فيه لفظ الكلمة الاولى في الكلمة الاخرى كقول ابي تمام

يمدون من ايد عواص عواصم تصول باسياف قواض قواضب

وعندي ان تسميته تجنيس التداخل لدخول احدى الكلمتين في الاخرى او تجنيس التضمن
لتضمن احدى الكلمتين لفظ الاخرى اولى لا لاشتقاق اداة معنى لقولهم يرجع لفظ احدى

الكلمتين في لفظ الاخرى لان ظاهر الرجوع يؤذن بذهاب قبله ولا ذهاب ٥
وتجنيس العكس وهو مما لم يذكره التبريزي وتعريفه ان تكون احدى الكلمتين عكس
الاخرى بتقديم بعض حروفها على بعض كقوله تعالى ان تقول فرقت بين بني
اسرائيل وكقول عبد الله بن رواحة يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

تحمله الناقة الادماء معتجرا بالبرد كالبدر جلى نوره الظلما

وكقول البحتري

اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها
شواجر ارماح تقطع بينهم شواجر ارحام ملوم قطوعها

والبيت الثاني اردت

وتجنيس التركيب مما لم يذكره التبريزي وهو
ان تركب كلمة من كلمتين لتماثل بها كلمة مفردة في الهجاء واللفظ كقول القايل

يا من تدلل بوجنة وانا مل من عندم
كفى جعلت الى الفدى الحاظ عينك عن دمي

فهذه اقسام التجنيس الثمانية

واما القسم الذي جعلته لها تاسعا وهو
الذي ذكره التبريزي وسماه التجنيس المضاف وانشد فيه قول البحتري

ايا قمر التمام اعنت ظلما على تطاول الليل التمام

فهو مع قطع النظر عن الاضافة من تجنيس التحريف لكن هو قسم قايم بذاته لاتصال
المضاف بالمضاف اليه والله اعلم ٥

باب الطباق

وهو على ضربين ضرب ياتي بالفاظ الحقيقة وضرب ياتي بالفاظ المجاز فما كان
منه بلفظ الحقيقة سمي طباقا وما كان منه بلفظ المجاز سمي تكافؤا فمثال التكافؤ

قول ابى الشعب العبسى من انشادات قدامة

حلو الشمايل وهو مر باسل يحمى الذمار صبيحة الارهاق

ومن امثلة التكافؤ قول ابن رشيق

وقد اطفا شمس النهار واوقد نجوم العوالى فى سماء عجاج

لما كان قوله حلو ومر خارجا مخرج الاستعارة اذ ليس الانسان ولا شمايله مما يذاق بحاسة الذوق كان هذا تكافؤا وكل امثلة التكافؤ صالحة لان تكون امثلة لباب المقابلة من الابواب التى استنبطتها وسياتى فى اخر الكتاب ٥ واما الطباق وهو الذى ياتى بالفاظ الحقيقة فقد قسم الى ثلثة اقسام طباق الايجاب وطباق السلب وطباق الترديد فمثال طباق الايجاب قوله تعالى وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم للانصار رضى الله عنهم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع فانظر الى فضل هذه العبارة كيف انت المناسبة التامة فيها ضمن المطابقة وكقول على عليه السلم من رضى عن نفسه كثر من يسخط عليه وكقول دعبل الخزاعى

لا تعجبى يا سلم من رجل ضحك المشيب براسه فبكى

وهذا البيت مع سهولة سبكه وخفة الفاظه وكثرة الماء فى جملته قد جمع التكافؤ والطباق معا لان ضحك المشيب مجاز وبكاء الشاعر حقيقة ٥ وكقول الفرزدق وهو من انشادات ابن المعتز

لعن الاله بنى كليب انهم لا يغدرون ولا يفون لجار

يستيقظون الى نهيق حمارهم وتنام اعينهم عن الاوتار

غير ان هذين البيتين من افضل شعر سمعته فى هذا الباب لانهما جمعا بين طباق

السلب والايجاب ووقع فيهما مع الطباق تكميل لم يقع مثله فى باب التكميل لان الشاعر لما وصف هؤلاء القوم بالضعف حيث قال لا يغدرون وعلم انه لو اقتصر على ذلك احتمل الكلام ضربا من المدح اذ تجنب الغدر قد يكون عن ضعف وعن عفة اتى بصريح الهجاء ليدل على انه اراد بكلامه الاول محض الهجاء واقتضت الصناعة ان ياتى بذلك فى لفظ ينتظم منه وما بعده طباق فقال ولا يفون لجار فكمل الهجاء اذ سلبهم الغدر للعجز والوفاء للؤم وحصل فى البيت مع الطباق والتكميل الدالين على غاية الهجاء ايغال حسن لانه لو اقتصر على قوله لا يغدرون ولا يفون تم له القصد الذى اراده وحصل المعنى الذى قصده لكنه لما احتاج الى القافية ليصير الكلام شعرا افاد بها معنى زايدا حيث قال لجار لان الغدر بالجار اشد قبحا من الغدر بغيره ٥ وطباق السلب وهو ان ياتى المتكلم بجملتين او كلمتين احدهما موجبة والاخرى منفية وقد تكون الكلمتان منفيتين وقد تقدم فى شعر الفرزدق ق مثال ما وقع فيه الكلمتان منفيتين واما ما وقعت فيه احدى الكلمتين منفية والاخرى موجبة فمثاله قول بشر بن هرون وظهر منه فرح عند الموت وقيل له انفرح بالموت فقال ليس قدومى على خالق ارجوه كمقامى مع مخلوق لا ارجوه وقد نظم منصور الفقيه هذا المعنى فقال

قد قلت اذ مدحوا الحيوة واطنبوا فى الموت الف فضيلة لا تعرف

منها امان لقائه بلقائه وفراق كل معاشر لا ينصف

ومن امثلة القسم الثانى من طباق السلب قول البحترى

تقيض لى من حيث لا اعلم النوى ويسرى الى الشوق من حيث اعلم

وطباق الترديد وهو ان يرد اخر الكلام المطابق على اوله فان لم يكن الكلام مطابقا فهو رد الاعجاز على الصدور ومثاله قول الاعشى

لا يرقع الناس ما أوهوا وإن جهدوا طول الحياة ولا يوهون ما رقعوا

باب رد الأعجاز على الصدور

وهو الذي سماه المتأخرون التصدير وقد قسمه ابن المعتز ثلثة أقسام الأول ما وافق آخر كلمة في البيت آخر كلمة في صدره أو كانت مجانسة لها كقول الشاعر

يلفى إذا ما كان يوم عرمرم ... في جيش رأي لا يفل عرمرم

والثاني ما وافق آخر كلمة من البيت أول كلمة منه كقول الآخر

سريع إلى ابن العم يشتم عرضه ... وليس إلى داعي الندى بسريع

والثالث ما وافق آخر كلمة من البيت بعض كلماته في أي موضع كانت كقول الشاعر

سقى الرمل جون مستهل غمامه ... وما ذاك إلا حب من حل بالرمل

هكذا عرف ابن المعتز هذا القسم الثالث من التصدير وهو عندي مدخول التعريف من أجل قوله ما وافق آخر كلمة من البيت بعض كلماته في أي موضع كانت فإنها لو كانت في العجز لم يسم تصديرا لأن اشتقاق التصدير من صدر البيت فلا بد من زيادة قيد في التعريف يسلم به من الدخل بحيث يقول بعض كلمات البيت في أي موضع كانت من حشو صدره وأظن ابن المعتز اتكل في ذلك على البيت الذي جاء به مثالا ولم يضع ابن المعتز لهذه الأقسام أسماء يعرف بها بعضها من بعض والذي يحسن أن يسمى به القسم الأول تصدير التقفية والثاني تصدير الطرفين والثالث تصدير الحشو وقد وقع من التصدير في الكتاب العزيز ما هو من القسم الأول من التصدير وهو قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ومن القسم الثاني قوله سبحانه وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ومن القسم الثالث قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق

بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون وهذه الأقسام الثلثة فيما الكلام فيه موجبا وفي التصدير قسم رابع ذهب عنه ابن المعتز وهو يأتي فيما الكلام فيه منفي أو قد اعترض فيه إضراب عن أوله كقول الشاعر

فإنك لم تبعد على متعهد ... بلى كل من تحت التراب بعيد

وقد جاء قدامة من التصدير بنوع آخر غير ما ذكرناه وسماه التبديل وهو أن يصير المتكلم الأخير من كلامه أولا وبالعكس كقولهم اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك ولم أقف لهذا القسم على شاهد شعري فقلت

اصبر على خلق من تصاحبه ... واصحب صبورا على أذى خلقك

ولم يفرد قدامة له بابا فأذكره في أبوابه والله أعلم

باب المذهب الكلامي

وهو الذي نسبت تسميته إلى الجاحظ وزعم ابن المعتز أنه لا يوجد في الكتاب العزيز وهو محشو منه وهو عبارة عن احتجاج المتكلم بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه لنفسح نسبته إلى علم الكلام إذ علم الكلام عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية ومنه في الكتاب العزيز قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلم وحاجه قومه إلى قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها إبرهيم على قومه ومن هذا الباب نوع منطقي وهو استنتاج النتيجة من مقدمتين فإن أهل هذا العلم قد ذكروا أن من أول سورة الحج إلى قوله تعالى وأن الله يبعث من في القبور منطو على خمس نتايج من عشر مقدمات فالمقدمات من أول السورة إلى قوله تعالى وأنبتت من كل زوج بهيج والنتايج من قوله تعالى ذلك بأن الله هو الحق إلى قوله وأن الله يبعث من في القبور وتفصيل ترتيب المقدمات والنتايج أن يقال الله أخبر أن زلزلة الساعة شيء عظيم

وخبره هو الحق فالله هو الحق وانه يأتي الساعة على تلك الصفة ولا يعلم صدق الخبر الا باحياء
الموتى ليبيذكر وذلك فهو يحيي الموتى والخبر ان يجعل الناس من هول الساعة سكارى لشدة
العذاب ولا يقدر على عموم الناس بشدة العذاب الا من هو على كل شيء قدير وان
الساعة يجازي فيها من يجادل في الله بغير علم ولا بد من مجازاته ولا يجازي حتى يكون
الساعة اتية وان الله ينزل الماء على الارض الهامدة فتنبت من كل زوج بهيج
والقادر على احياء الارض بعد موتها يبعث من في القبور وان الله يبعث من في
القبور ٥ وقد ساق الرماني في الضرب الخامس من باب المبالغة في اعجازه
اخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل للاحتجاج بقوله تعالى قل ان
كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وقوله سبحانه وهو الذي يبدأ الخلق ثم
يعيده وهو اهون عليه ونظائر هذه الايات ٥ ومن ذلك في الشعر قول
النابغة يعتذر الى النعمن

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الواشي اغش واكذب
ولكنني كنت امرأ لي جانب من الارض فيه مستراد ومذهب
ملوك واخوان اذا ما مدحتهم احكم في اموالهم واقرب
كفعلك في قوم اراك اصطنعتهم فلم ترهم في مدحهم لك اذنبوا

فانظر الى حذق هذا الشاعر في الاحتجاج بقوله لهذا الملك انت احسنت الى
قوم فمدحوك وانا احسن الى قوم فمدحتهم فكما ان مدح اولئك لك لا يعد ذنبا
فكذلك مدحي لمن احسن الي لا يعد ذنبا ومن هذا الباب قول الفرزدق

لكل امرئ نفسان نفس كريمة ونفس يعاصيها الفتى ويطيعها
ونفسك من نفسيك تشفع للندى اذا قل من احرارهن شفيعها

يقول هذا الشاعر لكل انسان نفسان مطمئنة تامر بالخير وامارة تامر بالشر
والانسان يعاصي الامارة مرة ويطيعها اخرى وانت ايها الممدوح نفسك الامارة
اذا امرتك بترك الندى شفعت المطمئنة الى الامارة في الندى في الحالة التي تقل
الشفيع فيه من النفوس فانت اكرم الناس ومن هذا الباب ايضا قول ابن المعتز

كيف لا يخضر عارضه ومياه الحسن تسقيه

كانه قال كل نبت يسقى فهو اخضر وشارب هذا الغلام نبت ومياه الحسن
تسقيه فكيف لا يخضر وعلى هذا فقس والله اعلم ٥

باب الالتفات

فسر قدامة الالتفات بان قال هو ان يكون المتكلم اخذا في معنى فيعترضه اما شك
فيه او ظن ان رادا يرده عليه او سائلا يسأله عن سببه فيلتفت اليه بعد فراغه
منه فاما ان يجلي الشك فيه او يؤكده او يذكر سببه كقول الرماح بن ميادة

فلا صرمه يبدو وفي الياس راحة ولا وصله يصفو لنا فنكارمه

فكان هذا الشاعر توهم ان قائلا يقول له وما تصنع بصرمه فقال لان في الياس
راحة واما ابن المعتز فقال الالتفات انصراف المتكلم عن الاخبار الى المخاطبة
ومثاله من القران العزيز قوله تعالى بعد الاخبار بان الحمد لله رب العلمين اياك
نعبد واياك نستعين وكقوله سبحانه ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك
من دون المومنين وكقوله تعالى اولم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم
في الارض ما لم نمكن لكم ومثال ذلك من الشعر قول جرير

متى كان الخيام بذي طلوح سقيت الغيث ايتها الخيام

او انصراف المتكلم عن الخطاب الى الاخبار كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك

وجزين بهم بريح طيبة ومثال ذلك من الشعر قول عنترة

ولقد نزلت فلا تظني غيره عندي بمنزلة المحب المكرم

ثم قال مخبرا عن هذه المخاطبة بقوله

كيف المزار وقد تربع أهلها بعنيزتين وأهلنا بالغيلم

أو انصراف المتكلم عن الإخبار إلى التكلم كقوله تعالى الله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه أو انصراف المتكلم من التكلم إلى الإخبار كقوله تعالى إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وقد جمع امرؤ القيس الالتفات الثلاثة في ثلاثة أبيات متتاليات وهي قوله

تطاول ليلك بالإثمد ونام الخلي ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العاير الأرمد

الصواب ذي العائر

وذلك من نبإ جاءني وخبرته عن أبي الأسود

فخاطب في البيت الأول وانصرف عن الخطاب إلى الإخبار في البيت الثاني وانصرف عن الإخبار إلى التكلم في البيت الثالث على ترتيب ٥

باب التمام

وهو الذي سماه الحاتمي التتميم وسماه ابن المعتز قبله اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود المتكلم فيتمه وشرح حده أنه الكلمة التي إذا طرحت من الكلام نقص حسن معناه أو مبالغته مع أن لفظه يوهم بأنه تام وهو على ضربين ضرب في المعاني وضرب في الألفاظ فالذي في المعاني هو تتميم المعنى والذي في الألفاظ هو تتميم الوزن والأول هو الذي قدمنا حده ومجيئه على وجهين للمبالغة والاحتياط ويجيء في المقاطع كما يجيء في الحشو مثل قوله تعالى وجعلنا في ذريته النبوة

والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين فجاءت الفاصلة لها تتميما لأن المعنى ناقص بدونها ويكثر مجيئه في الحشو ومثاله قوله سبحانه من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة فقوله تعالى من ذكر أو أنثى تتميم وقوله وهو مؤمن تتميم ثان في غاية البلاغة التي يذكرها تم معنى الكلام وجرى على الصحة ولو حذفت هاتين الجملتين نقص معناه واختل منه حسن البيان ومن هذا القسم قول الرسول عليه الصلوة والسلم مما انفرد به مسلم ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة من غير الفريضة إلا بنى الله له بيتا في الجنة فوقع التتميم في هذا الحديث في أربعة مواضع منها قوله مسلم وقوله لله وقوله كل يوم وقوله من غير الفريضة ومن أناشيد مدامة على هذا القسم قول الشاعر

أناس إذا لم يقبل الحق منهم ويعطوه عاذوا بالسيوف القواضب

فقوله ويعطوه تتميم في غاية الحسن وهذا شاهد ما جاء منه للاحتياط ومثال ما جاء للمبالغة قول زهير

من يلق يوما على علاته هرما يلق السماحة منه والندى خلقا

فقوله على علاته تتميم جاء للمبالغة وشاهده من كتاب الله تعالى قوله سبحانه ويطعمون الطعام على حبه إن عاد الضمير على الطعام وإن عاد على اسم الله تعالى فهو للاحتياط وأما الذي في الألفاظ فهو الذي يؤتى به لإقامة الوزن بحيث لو طرحت الكلمة استقل معنى البيت بدونها وهي على ضربين أيضا كلمة لا يفيد مجيئها إلا إقامة الوزن فقط وأخرى تفيد مع إقامة الوزن ضربا من المحاسن والأولى من العيوب والثانية من النعوت وهذا موضع الثانية لا الأولى ومثالها قول المتنبي

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه يا جنتي لظننت فيه جهنما

فانه جاء بقوله يا جنتي لإقامة الوزن وقصدها دون غيرها مما يسد مسدها
لتكون بينها وبين قافية البيت مطابقة لو كان موضعها غيرها لم تحصل

باب الاستطراد

ذكر الحاتمي في حلية المحاضرة انه نقل هذه التسمية عن البحتري الشاعر وهو الذي سماه ابن المعتز الخروج من معنى الى معنى وفسره بان قال هو ان يكون المتكلم في معنى فيخرج منه بطريق التشبيه او الشرط او الإخبار او غير ذلك الى معنى آخر يتضمن مدحا او قدحا او وصفا او غير ذلك ورأيت غالب وقوعه في الهجاء وان وقع في غيره ولابد من ذكر المستطرد به باسمه بشرط ان لا يكون جرى له ذكر في الكلام قبل ذلك ومن امثلته في الكتاب العزيز الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ومن امثلته الشعرية قول حسان بن ثابت

ان كنت كاذبة الذي حدثتني فنجوت منجا الحرث بن هشام
ترك الاحبة ان يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة ولجام

فهذا ما وقع من الاستطراد في الهجاء واما ما جاء منه في المدح والهجاء معا فقول بكر بن النطاح

عرضت عليها ما أرادت من المنى لترضى فقالت قم فجئني بكوكب
فقلت لها هذا التعنت كله كمن يتشهى لحم عنقاء مغرب
سلي كل شيء يستقيم طلابه ولا تذهبي يا در بي كل مذهب
فاقسم لو اصبحت في عز مالك وقدرته اعيى بما رمت مطلبي
فتى شقيت امواله بنواله كما شقيت بكر بارماح تغلب

وهذا ابدع استطراد سمعته في عمري فانه قد جمع احسن قسم وابرع تخلص وارشق

استطراد وتضمن مدح الممدوح بالكرم [illegible] قبيلته بالشجاعة والظفر وهجاء اعدائهم بالضعف والخور وهذا لم يتفق لمن قبله ولمن بعده الى وقتنا هذا ومن طريف الاستطراد وغريبه قول بعضهم واتى بالاستطراد في المجون وهو غريب جدا

اكشفي وجهك الذي اوحلتني فيه من قبل كشفه عينا لك
غلطي في هواك يشبه عندي غلطي في ابي فلان بن ذلك

واحسب ان اول من استطرد بالهجاء السموأل حيث يقول

وانا لقوم ما نرى القتل سبة اذا ما رأته عامر وسلول

وفي التشبيب امرؤ القيس حيث قال

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حمام

باب تأكيد المدح بما يشبه الذم

انشد ابن المعتز فيه قول النابغة الذبياني

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وقول النابغة الجعدي

فتى كملت اخلاقه غير انه جواد فما يبقي من المال باقيا
فتى تم فيه ما يسر صديقه على ان فيه ما يسوء الاعاديا

وقد رأيت في غير كتاب ابن المعتز لابن المغربي الوزير مما هو داخل في هذا الباب ما يروق السامع وهو قوله

ويعذل في شرق البلاد وغربها على انه للسيف والمال ظالم

ورأيت احسن من هذا لبعضهم وهو

ولا عيب فينا غير ان سماحنا اضر بنا والبأس من كل جانب

فما فتىً الردى أعمارنا غير ظالم وأفنى الندى أموالنا غير عائب
أبونا أبٌ لو كان للناس كلهم أباً واحداً أغناهم بالمناقب

وقد جاء من ذلك في الكتاب العزيز قوله تعالى أذلةٍ على المؤمنين وقد خلط المتأخرون باب الاستثناء بهذا الباب وكنا نرى أنهما باب واحد إلى أن نبهني عليه عند قراءة من ألفت له هذا الكتاب فرأيت إفراده منه وسيأتي في موضعه بعد الفراغ من أبواب ابن المعتز وقدامة إن شاء الله تعالى

باب تجاهل العارف

وقد سماه من بعد ابن المعتز الإعنات وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه وليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم أو ليدل على شدة التدله في الحب أو لقصد التعجب أو التوبيخ أو التقرير وهو على قسمين قسم يكون الاستفهام فيه عن مجهولين غير واقعين وقسم يكون الاستفهام فيه عن شيئين أحدهما واقع والآخر غير واقع وقد ينطق بأحد الشيئين ويسكت عن الآخر لدلالة الحال عليه وقد جاء منه في الكتاب العزيز ما لا يلحق سبقاً كقوله تعالى أبشراً منا واحداً نتبعه فهذا خارج مخرج التعجب وقوله تعالى أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء وهذا خارج مخرج التوبيخ وقوله عز وجل أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وقوله تعالى أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم وهذان الموضعان خرجا مخرج التقرير وأما ما جاء منه في المدح فكقول بعض المحدثين

بدا فراع فؤادي حسن صورته فقلت هل ملك ذا الشخص أم ملك

وأما ما جاء منه للذم فكقول زهير بن أبي سلمى

وما أدري ولست إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

وأما ما دل منه على التدله في الحب فكقول العرجي

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاي منكن أم ليلى من البشر

وكل ما أوردناه من الآيات في هذا الباب مما نطق فيه بأحد الأمرين لدلالة القرينة على الآخر وبيت المدح من القسم الأول والبيتان الأخيران من القسم الآخر والله أعلم

باب الهزل الذي يراد به الجد

وهو أن يقصد المتكلم مدح إنسان أو ذمه فيخرج ذلك المقصود مخرج الهزل المعجب والمجون المطرب كما فعل أصحاب النوادر مثل أشعب وأبي دلامة وأبي العيناء ومزبد ومن سلك سبيلهم كما حكي عن أشعب أنه حضر إعذاراً صنعه بعض ولاة المدينة وكان متبخلاً فدعا الناس ثلاثة أيام وهو يجمعهم على مائدة عليها جدي مشوي فيحوم الناس حوله ولا يمسه منهم أحد لعلمهم ببخله وأشعب في كل يوم يحضر ويرى الجدي فقال في اليوم الثالث زوجته طالق إن لم يكن عمر هذا الجدي بعد أن ذبح وشوي أطول منه قبل ذلك ومن شواهد الهزل الذي يراد به الجد من الشعر العزيز قول الشاعر

إذا ما تميمي أتاك مفاخراً فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب

وقد أنشد ابن المعتز في هذا الباب قول أبي العتاهية

أرقيك أرقيك بسم الله أرقيكا من بخل نفسك علّ الله يشفيكا
ما سلم كفك إلا من يناولها ولا عدوك إلا من يرجيكا

والفاتح لهذا الباب امرؤ القيس حيث يقول

وقد علمت سلمى وإن كان بعلها بأن الفتى يهذي وليس بفعال

وما رأيت أحسن من قوله ملتفتا وان كان بعلها ٥ ص

باب حسن التضمين

وهو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من بيت أو من آية أو معنى مجردا من كلام أو مثلا سايرا أو جملة مفيدة أو فقرة من حكمة كقول علي عليه السلم في جواب كتاب لمعوية وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين وتبيين درجاتهم وتعريف طبقاتهم هيهات لقد حن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها فضمن كلامه هذا المثل العربي وهو قوله لقد حن قدح ليس منها وكقوله في آخر هذا الكتاب وأنا مرقل نحوك بجحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان شديد زحامهم ساطع قتامهم متسربلين سرابيل الموت أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم قد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وما هي من الظالمين ببعيد فضمن كلامه هذه الآية ومن إنشادات ابن المعتز في هذا الباب

عوذ لما بت ضيفا له أقراصه مني بياسين

فبت والأرض فراشي وقد غنت قفا نبك مصاريني

فضمن هذا الشاعر بيته الأول كلمة من السورة وبيته الثاني جملة من البيت الذي هو أول القصيدة المشهورة وقد وقع من ذلك في الكتاب العزيز ما تضمنه من التوراة كقوله سبحانه وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس الآية ومن لطيف التضمين في الشعر قول أبي تمام

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظي أرق وأحفى منك في ساعة الكرب

فضمن بيته كلمات من البيت المشهور وهو

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وفي الكتاب العزيز من هذا الباب ما حكاه فيه سبحانه من صفة النبي عليه السلم وأصحابه وذلك قوله محمد رسول الله إلى قوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل فضمن كتابنا صفتهم من الكتابين الأولين ٥ والفرق بين التضمين والإيداع والاستعانة والعنوان أن التضمين يقع في النظم والنثر ولا يكون إلا بالنثر ويكون من المحاسن ومن العيوب لكنه لا يكون من العيوب إلا إذا وقع في النظم بالنظم والإيداع والاستعانة وإن وقعا معا في النظم والنثر فلا يكونان إلا بالنظم دون النثر ٥ وأما العنوان فإنه يقع في النظم دون النثر ولا يقع إلا بالنثر وهو بخلاف التضمين في كونه لا يكون إلا من المحاسن دون العيوب والتضمين منهما معا فالتضمين أعم منهما وسيأتي بيان ذلك في موضعه

باب الكناية

وهي أن يعبر المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن وعن الفاحش بالطاهر كقوله تعالى كانا يأكلان الطعام كناية عن الحدث وكقوله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط كناية عن قضاء الحاجة وكقوله سبحانه وقد أفضى بعضكم إلى بعض يريد ما يكون بين الزوجين من المباضعة وكقوله عز وجل ولكن لا تواعدوهن سرا كناية عن الجماع قال امرؤ القيس

ألا زعمت بسباسة الحي أنني كبرت وأن لا يحسن السر أمثالي

ذهب كل من فسر شعره من العلماء إلى أنه أراد بالسر الوقاع وكقول الله تعالى الخبيثات للخبيثين وهو سبحانه يريد الزناة وعلى الجملة لا تجد معنى من هذه المعاني في الكتاب العزيز يأتي إلا بلفظ الكناية لأن المعنى الفاحش متى عبر عنه بلفظه

الموضوع له كان الكلام معيبا من جهة فحش المعنى ولذلك عاب قدامة على
امرئ القيس قوله

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم محول
إذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وتحتي شقها لم يحول

وقال أعني قدامة وعيب هذا الشعر من جهة فحش المعنى يريد أنه عبر عنه بلفظه
نجاء الكلام فاحشا وهو عيب ولذلك نزه القرآن عنه ولو استعار امرؤ
القيس لمعناه لفظ الكناية كما فعل في البيت الذي تقدم هذين البيتين لم يكن إلى
عيبه سبيل وفي السنة النبوية من الكناية ما لا يكاد يحصى كقوله صلى الله عليه
وسلم لا يضع العصا عن كتفه كناية عن كثرة الضرب أو كثرة السفر وحكى ابن المعتز
أن العرب كانت تقول فلان يحيا العصى لمن به ابنه وأنشد

زوجك زوج صالح لكنه يحيا العصي

ومن إنشاد ابن المعتز لبشار في اثنين كانا يتفاعلان

وإذا ما التقى مثنى وبكر زاد في ذا شبر وفي ذا شبر

وأنشد لأبي نواس في الكناية عن جلد عميرة ما لا يدرك نشاوه وهو

إذا أنت أنكحت الكريمة كفؤها فأنكح حبيشا راحة ابنة ساعد
وقل لها ما نلت من وصل حرة لها ساحة جفت بخمس وزايد

ومن أحسن الكنايات في الهجاء قول بعض الشعراء يهجو إنسانا به داء الأسد فكنى
عن ذلك ورمى أمه بالفجور بطريق الكناية أيضا حيث قال

أراد أبوك أمك حين زفت فلم توجد لأمك بنت سعد

يريد عذرة ثم قال

أخوك أعار أمك ثوبا هنيئا بالقميص المستجد

يريد جذاما فإنه أخو لخم ٥ وأنشد ابن المعتز في الكناية عن حجام لبعض الشعراء

إذا عوج الكتاب يوما سطورهم فليس بمعوج له أبدا سطر

ومن نخوة العرب وغيرتهم كنايتهم عن حرائر النساء بالبيض وقد جاء القرآن
العزيز بذلك فقال سبحانه كأنهن بيض مكنون وقال امرؤ القيس

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل

ومن مليح الكناية قول بعض العرب

ألا يا نخلة من ذات عرق عليك ورحمة الله السلام
سألت الناس عنك فخبروني هنا من ذا الذي يكره الكرام
وليس بما أحل الله بأس إذا هو لم يخالطه الحرام

فإن هذا الشاعر كنى عن المرأة بالنخلة وبالهناة عن الرفث فأما الهناة فمن عادة
العرب الكناية بها عن مثل ذلك وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن طريف الكناية
وغريبها ٥

باب الإفراط في الصفة

وهو الذي سماه قدامة المبالغة وسماه من بعده التبليغ وأكثر الناس على تسمية
قدامة لأنها أخف وأعرف ومن إنشاد ابن المعتز فيها

ملك تراه إذا احتبى بنجاده غمر الجماجم والصفوف قيام

وحد قدامة المبالغة بأن قال هي أن يذكر المتكلم حالا من الأحوال لو وقف
عندها لأجزأت فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره ما يكون أبلغ في معنى قصده
كقول عمير بن كريم التغلبي

ونكرم جارنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا

وأنا أقول قد اختلف في المبالغة فقوم يرون أجود الشعر أكذبه وخير الكلام ما

بولغ فيه ويحتجون بما جرى بين النابغة الذبياني وبين حسان في استدراك النابغة
عليه تلك المواضع في قوله

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن من نجدة دما

فان النابغة انما عاب على حسان ترك المبالغة والقصة مشهورة والصواب مع
حسان وان روي عنه انقطاعه في يد النابغة وقوم يرون المبالغة من عيوب
الكلام ولا يرون من محاسنه الا ما خرج مخرج الصدق وجا على منهج الحق ويزعمون
المبالغة من ضعف المتكلم وعجزه عن ان يخترع معنى مبتكرا او يفرع معنى من معنى
او يحلي كلامه بشي من البديع او ينتخب الفاظا موصوفة بصفات الحسن ويجيد
تركيبها فاذا عجز عن ذلك كله اتى بالمبالغة لسد خلله وتتميم نقصه لما
فيها من التهويل على السامع ويدعون انها ربما احالت المعاني فاخرجتها عن حد
الامكان الى حد الامتناع وعندي ان هذين المذهبين مردودان اما الاول
فلقول صاحبه ان خير الكلام ما بولغ فيه وهذا قول من لا نظر له لانا نرى اكثر
الكلام والاشعار جاريا على الصدق خارجا مخرج الحق وهو في غاية الجودة ونهاية
الحسن وتمام القوة وكيف لا والمبالغة ضرب واحد من المحاسن والمحاسن لا
تنحصر ضروبها فكيف يقال ان هذا الضرب على انفراده يفضل سائر المحاسن
على كثرتها وهذا شعر زهير والحطيئة وحسان ومن كان مذهبه توخي الصدق
في شعره غالبا ليس فوق اشعارهم غاية لمترق الا ترى الى قول زهير

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

والى قول الحطيئة

من يفعل العرف لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

والى قول طرفة

لعمرك ان الموت ما اخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه باليد

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا وياتيك بالاخبار من لم تزود

فانك تجد هذه الاشعار في الطبقة العليا من البلاغة وان خلت من المبالغة
والذي يدل على ان مذهب اكثر الفحول ترجيح الصدق في اشعارهم على الكذب
ما روي عن الحرورية امراة عمران بن حطان الخارجي انها قالت له يوما انت
اعطيت الله عهدا ان لا تكذب في شعرك فكيف قلت

فهناك مجزاة ابن ثور كان اشجع من اسامة

فقال يا هذه ان هذا الرجل فتح مدينة وحده وما سمعت باسد فتح مدينة قط
وهذا حسان يقول

وانما الشعر لب المرء يعرضه على المجالس ان كيسا وان حمقا

وان اشعر بيت انت قائله بيت يقال اذا انشدته صدقا

على ان هؤلاء الفحول وان نحوا هذا المذهب لا يكرهون ضده ولا يجحدون بعض صح
فضله وقل ما تخلو اشعارهم منه الا ان توخي الصدق كان الغالب عليهم
وكانوا يكثرون منه ومن اكثر من شي عرف به كما ان النابغة ومن شايعه على
مذهبه لا يكره ضد المبالغة والا فكل احتجاجاته على النعمان في الاعتذار
جار مجرى الحقيقة كقوله

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

فعايب الكلام الحسن بترك المبالغة فقط مخطئ وعايب المبالغة على الاطلاق
غير مصيب وخير الامور اوساطها وكيف تعاب المبالغة وقد وجدت
في الكتاب العزيز على ضروب منها المبالغة في الصفة المعدول بها عن الجارية
لمعنى المبالغة فانها جاءت على ستة امثلة فعلان كرحمان عدل عن

راحم للمبالغة ولا يوصف به إلا الله تعالى لأن رحمته وسعت كل شيء وفعّال
معدول عن فاعل للمبالغة كقوله تعالى لغفار لمن تاب وتوّاب رحيم علّام
الغيوب فعّال لما يريد وفعول عدل عن فاعل للمبالغة كغفور وشكور وودود
وفعيل عدل عن فاعل للمبالغة كرحيم وحليم وعليم وقدير وسميع وبصير
ومفعل معدول عن فاعل كمدعس ومطعن ومفعال معدول عن فاعل
للمبالغة كمطعام ومطعان والضرب الثاني من المبالغة وهو ما جاء بالصيغة
العامة في موضع الخاصة كقولك أتاني الناس كلهم ولم يكن أتاك سوى واحد
أردت تعظيمه ومن هذا الضرب قول أبي نواس

وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

ومن هذا الضرب في الكتاب العزيز قوله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب
فوعدهم سبحانه بجزاء غير مقدر لمجيئه بالصيغة العامة تعظيما له وكل شيء عنده
بمقدار والضرب الثالث من المبالغة إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم
الأكبر للمبالغة والإخبار عنه مجاز كقول من رأى موكبا عظيما وجيشا
خضما جاء الملك نفسه وهو يعلم حقيقة إنما جاء جيشه وقد جاء من ذلك في
الكتاب العزيز قوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا فجعل مجيء جلائل آياته
مجيئا له سبحانه للمبالغة وكقوله تعالى ووجد الله عنده فوفاه حسابه
فجعل نقله من دار العمل إلى دار الجزاء وجدانا للمجازي والضرب الرابع من بالهلكة
المبالغة إخراج الممكن من الشرط إلى الممتنع ليمتنع وقوع المشروط كقوله تعالى
ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط والضرب الخامس من المبالغة
ما جرى مجرى الحقيقة وهو قسمان قسم كان مجازا فصار بالقرينة حقيقة
كقوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار فإن اقتران هذه الجملة بيكاد صرفها

إلى الحقيقة فانقلبت من الامتناع إلى الإمكان وقسم أتى بصيغة أفعل للتفضيل
وهو محض الحقيقة من غير قرينة كقوله سبحانه أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا
والضرب السادس من المبالغة ما بولغ في صفته بطريق التشبيه كقوله تعالى
إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر فهذه ضروب ما ورد من المبالغة في
الكتاب العزيز والمبالغة تأتي في الكلام على ضربين ظاهرة ومدمجة وكل ما
قدمناه من مبالغات الكتاب العزيز من الظاهرة ومن المدمجة قوله تعالى سواء
منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار فإن
المبالغة أتت في هذه الآية مدمجة في المقابلة وقد جاء منها في سنة الرسول
صلى الله عليه وسلم ما لا يحصى كثرة ولا يلحق بلاغة كقوله عليه السلام مخبرا عن
ربه أنه قال سبحانه كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ه
وقوله في بقية هذا الحديث والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب
عند الله من ريح المسك ففي هذا الحديث مبالغتان إحداهما كون الحق سبحانه
أضاف الصيام إلى نفسه دون سائر الأعمال لقصد المبالغة في تعظيمه وتشريفه
وإخباره أنه عز وجل يتولى مجازاة الصائم بنفسه مبالغة في تعظيم الجزاء وشرفه
ونحن نعلم أن الأعمال كلها لله سبحانه وللعبد باعتبارين أما كونها للعبد
فلأنه يثاب عليها وأما كونها لله تعالى فلأنها عملت لوجهه الكريم ومن
أجله فتخصيص الصيام من بينها بالإضافة إلى الرب سبحانه وتخصيص ثوابه
بما خصصه به إنما كان للمبالغة في تعظيمه والحض عليه والمبالغة
الثانية إخباره صلى الله عليه وسلم بعد تقديم القسم لتأكيد الخبر
بأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فتفضيل تغير فم الصائم
بالإمساك عن الطعام والشراب على ريح المسك الذي هو أطيب الطيب

على مقتضى ما يفهم من ريح المسك وريح تغير فم الصائم واتى المعنى بصيغة افعل
للمبالغة فجمع هذا الكلام بين قسمي المبالغة المجازي والحقيقي ومن امثلة المبالغة
في الشعر قول امرئ القيس

فعادى عداء بين ثور ونعجة دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

فانه اخبر عن هذا الفرس انه ادرك ثورا وبقرة وحشية في مضمار واحد ولم
يعرق ومثله قول ابي الطيب

واصرع اي الوحش قفيته به وانزل عنه مثله حين اركب

ومما يعاب من المبالغة الا ما اخرج به الكلام عن حد الامكان الى الاستحالة
واما اذا كان كقول قيس بن الخطيم

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر لها نفذ لولا الشعاع اضاءها
ملكت بها كفي فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها

فان ذلك من جيد المبالغة اذ لم يكن خارجا مخرج الاستحالة مع كونه قد بلغ
النهاية في وصف الطعنة وما سمعت ولا غيري مستمع مثل قول ابي تمام

تكاد تنتقل الارواح لو تركت من الجسوم اليها حين تنتقل

فانه لم يقنع في تصحيح المبالغة وقربها من الوقوع فضلا عن الجواز بتقديم
كاد حتى قال لو تركت وهذا اصح بيت سمعته في المبالغة واحسنه وابلغه
وكقول شاعر الحماسة اذ بالغ في مدح ممدوحه بقوله

تهنيني بالعجز عن شكر بره وما فوق شكري للشكور مزيد
ولو كان مما يستطاع استطعته ولكن ما لا يستطاع شديد

فان هذا الشاعر القى بيده واظهر عجزه واعترف بقصوره عن شكر بر هذا
الممدوح وفطن الى انه لو اقتصر على ذلك لقيل له عجزك عن شكر هذا الرجل

لا يدل على كثرة بره انما يدل على ضعف ما ذلك عن الشكر اذ لا يلزم من عجز الانسان
عن شيء تعظيم ذلك الشيء على الاطلاق لاحتمال ان يكون العجز لضعف في الانسان
فاحترس عن ذلك بقوله   وما فوق شكري للشكور مزيد   ثم تمم المعنى بان
قال للشكور اي للمبالغ في الشكر لان شكورا معدول عن شاكر للمبالغة
كما تقدم ثم اظهر عذره في عجزه مع قدرته بان قال في البيت الثاني

ولو كان مما يستطاع استطعته   ثم اخرج بقية البيت مخرج
المثل السائر حيث قال   ولكن ما لا يستطاع شديد

ومن هذا قول ابي نواس

لا تسدين الي عارفة حتى اقوم بشكر ما سلفا

فهذا ابلغ شعر سمعته في هذا المعنى لجودة مفردات الفاظه وسهولة سبكه
ومساواة لفظه لمعناه ومتانة مبناه وكثرة معانيه وصحة المبالغة فيه
فان قيل لم بالغت في وصف هذا الشعر وهو عندك داخل في القسم المعيب
من المبالغة لكونه اخرج الكلام من حد الامكان الى حد الامتناع حيث جعل
شكر هذا الممدوح لا يستطاع فاني اقول ليس كل بر يمكن شكره ولا
يقوم المدح بحقه فانا لو قدرنا ان انسانا فك انسانا من الاسر او استنقذه من
القتل لما وفى شكره ببره ولو كان اشكر الناس واستنفد في شكره بقية
عمره لا سيما لو قدر ان ذلك الممتن ببقاء النفس اضاف الى ذلك توابع
احسان وعوارف امتنان على ممر الزمان فان الشكر لا يقوم ببر ذلك الا   لسان [?]
ولو تجاوز فيه الشكور حد الامكان فقد وضح ان من البر ما لا يؤدى شكره
وهذا سيد المرسلين الذي بعث بجوامع الكلم وهو افصح من نطق بالضاد يقول
لعظمة نعم ربه عليه لا احصي ثناء عليك ومعلوم ان نعم الله سبحانه لا

يقوم شكر جميع العباد بمعشارها ولا كذلك نعم بعضهم على بعض لكن نسبة
شكر احدنا نعمة صاحبه الى شكر الرسول صلى الله عليه وسلم نعمة ربه كنسبة
نعم بعضنا على بعض الى نسبة نعم الله سبحانه على نبيه او على عبد من عبيده
وان كانت نعم الله سبحانه على نبيه اعظم من نعمه على سائر خلقه بدليل قوله
سبحانه وكان فضل الله عليك عظيما لان بين بلاغة احدنا وبين بلاغة الرسول
كما بين نعمة احدنا ونعمة الله سبحانه واذا وقع للقضية مثال واحد في الوجود
علم امكان وقوعها وخرجت بذلك من حد الاستحالة والامتناع الى حد الجواز
والامكان والمذهب المرضي ان المبالغة ضرب من المحاسن اذا بعدت عن
الاغراق والغلو وان كان الاغراق والغلو ايضا ضربين من المحاسن اذا
اقترنا وعيبين اذا اطلقا الا ترى ان كل مبالغة وقعت في الكتاب العزيز
كيف اتت على قسمين قسم ممكن غير مقترن وقسم غير ممكن لا ياتي الا مقترنا
كقوله سبحانه يكاد سنا برقه يذهب بالابصار وفي الممكن كقوله سبحانه
سواء منكم من اسر القول ومن جهر به الاية لان المبالغة فيها عرفية معناه
ان علم ذلك متعذر عندكم والا هو بالنسبة الى علم الله سبحانه ليس بمبالغة
وقد قال امرؤ القيس في غير الممكن

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا

لان قوة الشعر وضعفه وماءه ورونقه امر خارج عن البديع جملة والمحاسن
بتة فرب شعر في غاية الجودة ونهاية القوة مع كونه قد بلغ فيه قائله الى حد
الاغراق او الغلو ورب شعر في غاية الرداءة مع الخلو عن هذين الضربين
فان الكلام يكون جيدا بدون البديع ورديا مع وجوده فانكار المبالغة في
الكلام القوي الجيد ما لا سبيل اليه واما قول من قال ان الكلام لا يحسن بدون

المبالغة فان لم يحمل كلامه على التقييد والا فهو محال بين الاحالة واحسب قايل
هذا ذهب الى التمييز بين كلامين استويا في خفة مفردات الالفاظ وتوسط
استعمالها وحسن تركيبها وخلو الكلام بعد التركيب عن العيوب جملة وتفصيلا
وتماثلا في جودة المعنى وتمامه وكثرة الماء فيهما وتحليا من البديع بما اتى
الطبع به عفوا من غير تكلف ولا تعسف وقد بولغ في احدهما مبالغة
مرضية والاخر لم يبالغ فيه فان ما بولغ فيه افضل من الاخر ٥

باب التشبيه

التشبيه عبارة عن العقد على ان احد الشيئين يسد مسد الاخر في حال او عقل
هكذا حده الرماني وهذا هو التشبيه العام الذي يدخل تحته التشبيه
البليغ وغيره ثم ان الرماني بعد حده قال والتشبيه تشبيهان تشبيه شيئين
متفقين بانفسهما كتشبيه الجوهر بالجوهر مثل قولك ماء النيل مثل ماء الفرات
وتشبيه العرض بالعرض كقولك حمرة الخد كحمرة الورد وتشبيه
الجسم بالجسم كقولك الزبرجد مثل الزمرد وتشبيه شيئين مختلفين بالذات
يجمعهما معنى مشترك بينهما كقولك حاتم كالغمام وعنترة كالضرغام والتشبيه
المتفق تشبيه حقيقة والتشبيه المختلف تشبيه مجاز للمبالغة وحد التشبيه
البليغ اخراج الاغمض الى الاظهر بالتشبيه مع حسن التاليف ووقوع حسن
البيان فيه على وجوه منها اخراج ما لا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه
الحاسة كقوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان
ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا فهذا بيان اخرج ما لا تقع عليه الحاسة الى ما تقع
عليه الحاسة وقد اجتمعا في بطلان التوهم مع شدة الحاجة ولو قيل

قيل يحسبه الرائي ماء لكان بليغا وابلغ منه لفظ القرآن لان الظمآن اشد حرصا
عليه واكثر تعلق قلب به وتشبيه اعمال الكفار بالسراب من احسن التشبيه فكيف
وقد تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة الالفاظ وصحة الدلالة ٥
ومنها اخراج ما لم تجر به العادة الى ما جرت به العادة كقوله تعالى واذ نتقنا
الجبل فوقهم كانه ظلة وهذا بيان قد اخرج ما لم تجر به العادة الى ما جرت به
العادة وقد اجتمعا في معنى الارتفاع في الصورة ومنها اخراج ما لا يعلم بالبديهة
الى ما يعلم بالبديهة كقوله تعالى وجنة عرضها كعرض السماء والارض وهذا
بيان قد اخرج ما لا يعلم بالبديهة الى ما يعلم بالبديهة وقد اجتمعا في العظم وحصل
من ذلك الوصف التشويق الى الجنة بحسن الصفة وافراط السعة ٥ ومنها
اخراج ما لا قوة له في الصفة الى ما له قوة في الصفة كقوله تعالى وله الجوار
المنشآت في البحر كالاعلام وهذا بيان قد اخرج ما لا قوة له في الصفة الى ما له
قوة في الصفة وقد اجتمعا في العظم الا ان الجبال اعظم وفي ذلك العبرة من
جهة القدرة فيما سخر الله من الفلك الجارية على الماء مع عظمها ولطفه وما
في ذلك من الانتفاع بحملها الاثقال وقطعها الاقطار البعيدة في المسافة القريبة
ومنها اخراج الكلام بالتشبيه مخرج الانكار كقوله تعالى اجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وهذا انكار على من
جعل حرمة الجماد كحرمة من آمن بالله وفي ذلك ادل دلالة على تعظيم حال
المومن بالايمان وانه لا يساويه مخلوق ليس على صفته بالقياس ٥
واعلم ان الشي لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل وجه فان الشيين اذا تشابها
من جميع الجهات تحدا ولا يشبه الشي بما هو دونه في الصفة الجامعة بينهما
والتشبيه الصناعي على ضربين تشبيه باداة وتشبيه بغير اداة وفايدته قرب

المشبه من المشبه به وادوات التشبيه خمسة الكاف وكان وشبه ومثل
والمصدر بتقدير الاداة ومن المصادر ما لا يمكن تقدير الاداة فيه كقول الشاعر
فانما هي اقبال وادبار
اي ذات اقبال وذات ادبار وفي
التشبيه نوع اخر لا بد من تقدير الاداة فيه كقوله تعالى وازواجه امهاتهم
وهو من القسمين اعني قسمي المصادر فالذي بالاداة كقوله تعالى مثل نوره
كمشكاة فيها مصباح وكقول امرئ القيس
مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل
والذي بغير اداة كقوله تعالى وهي تمر مر السحاب وكقول حسان
بزجاجة رقصت بما في قعرها رقص القلوص براكب مستعجل
وكل ضرب من هذين الضربين ينقسم تسعة اقسام وهذه الاقسام على
ضربين ايضا ضرب متحد وضرب متعدد فالمتحد ينقسم الى وفق عدد
ادوات التشبيه الخمس من تشبيه شي بشي الى تشبيه شي بخمسة اشياء
والمتعدد اربعة اقسام من تشبيه شيين بشيين الى تشبيه خمسة بخمسة
فشاهد تشبيه شي بشي قول امرئ القيس
وجيد كجيد الظبي ليس بفاحش اذا هي نصته ولا بمعطل
وشاهد تشبيه شي واحد بشيين قوله ايضا
وتعطو برخص غير شثن كانه اساريع ظبي او مساويك اسحل
وشاهد تشبيه شي واحد بثلثة اشياء قول البحتري
كانما يبسم عن لولو منضد او برد او اقاح
وتشبيه شي واحد باربعة اشياء قول امرئ القيس
كان المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر

يعل به برد انيابها اذا غرد الطائر المستحر

فتشبيه شيء واحد بخمسة اشياء مثل قول البحتري

تبسم عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

واما تشبيه شيئين بشيئين من المتعدد فكقول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

وتشبيه ثلثة بثلثة قول ابن المعلى

ليل وبدر وغصن شعر ووجه وقد
خمر ودر وورد ريق وثغر وخد

وتشبيه اربعة باربعة قول امرئ القيس

له ايطلا ظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تتفل

ولقد عبر ابو نواس في وجه حيث قال

يبكي فيذري الدر من نرجس ويلطم الورد بعناب

فان بيته احصر وزنا وابهر حسنا واتم معنى وشاهد خمسة بخمسة قول ابي الفرج الواواء

فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد

وعلى ان بيت الواواء هو عين بيت ابي نواس وانما حصلت فيه زيادة التشبيه لاتساع وزنه قلت ان الفضل لبيت ابي نواس بالسبق الى نفس المعنى ونفس التشبيه وعلم ان زيادة التشبيه بما زاد في بيت ابي الفرج من اللفظ لاتساع الوزن ومن التشبيه نوع اخر احدهما ان تكون ادواته افعال الظن واليقين كقولك حسبت زيدا في جراته الاسد وعمرا في جوده الغمام والجائية في حسنها القمر فحاصل ذلك تشبيه الجري بالاسد والجواد بالغمام والجائية بالقمر

والنوع الاخر من التشبيه هو الثاني يعني تشبيه الفعل بالفعل كقول الكميت
احلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفي من الكلب
اهـ

ومنه في الكتاب العزيز قوله تعالى وتحسبهم ايقاظا وهم رقود وحاصل ذلك تشبيه اهل الكهف في حال نومهم بحال الايقاظ ومن ذلك في الشعر قول شاعر الحماسة

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة

وذلك انه لما كانت الشحمة بيضاء شبهوا كل بيضاء بها واخرج ذلك مخرج المثل والله اعلم

باب عتاب المرء نفسه

وهو من افراد ابن المعتز ولم ينشد فيه سوى بيتين ذكر ان الاصمعي انشدهما لدعز الجاحظ وهما

عصاني قومي والرشاد الذي به امرت ومن يعص المجرب يندم
فصبرا بني بكر على الموت انني ارى عارضا ينهل بالموت والدم

وما ارى في هذين من عتاب المرء لنفسه الا ما يتخيل به لمعناهما فقلد ان هذا الشاعر لما امر بالرشد وبذل النصح ولم يطع ندم على بذل النصيحة لغير اهلها وملزوم ذلك عتابه لنفسه فتكون دلالة البيتين على عتابه لنفسه دلالة التزام لا دلالة مطابقة ولا تضمن ومثل هذين البيتين قول دريد بن الصمة

نصحت لعارض واصحاب عارض ورهط بني السوداء والقوم شهدي
وقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد
فلما عصوني كنت منهم وقد ارى غوايتهم وانني غير مهتد
وما انا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد
امرتهم امري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

ولا يصلح ان يكون شاهدا لهذا الباب الا قول شاعر الحماسة

اقول لنفسي في الخلاء الومها لك الويل ما هذا التجلد والصبر

وكقول ابن السليماني من شعراء الحماسة

لعمرك اني يوم سلع للائم لنفسي ولكن ما يرد التلوم
امكنت من نفسي عدوي ضلة الهفي على ما فات لو كنت اعلم

وقد جاء من هذا الباب في كتاب الله تعالى قوله سبحانه يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله

باب حسن الابتداآت

هذه تسمية ابن المعتز واراد بها ابتداآت القصايد وقد فرع المتاخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال وخصوها ابتداء المتكلم بمعنى ما يريد تكميله وان وقع في اثناء القصيدة وقد روي ان احسن ابتداء ابتدأ به مولد قصيدة قول اسحق بن ابرهيم الموصلي حيث يقول

هل الى ان تنام عيني سبيل ان عهدي بالنوم عهد طويل

ومن انشادات ابن المعتز في هذا الباب قول النابغة الذبياني

كليني لهم يا اميمة ناصب وليل اقاسيه بطيء الكواكب

ولعمري لقد احسن ابن المعتز الاختيار فاني اطنه نظر بين هذا الابتداء وبين ابتداء امرئ القيس في معلقته حيث قال

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فراى ابتداء امرئ القيس على تقدمه وكثرة معاني ابتدائه متفاوت القسمين جدا لان صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك وكثرة المعاني بالنسبة الى العجز ما لم يجمع العجز فان الفاظ العجز غريبة بالنسبة الى الفاظ الصدر والعجز اقل معاني من الصدر بخلاف بيت النابغة فانه لا تفاوت بين قسميه البتة فبيتان بيت امرئ القيس وان كان اكثر معاني

من بيت النابغة فبيت النابغة افضل من جهة ملايمة الفاظه ومساواة قسميه ومثل بيت النابغة قول زهير

صحا القلب عن سلمى واقصر باطله وعري افراس الصبا ورواحله

فان قسمي هذا البيت متلاومان لان لفظ كل منهما متوسط بين الغرابة والابتذال وفي كل قسم منهما استعارتان فقد تساويا في اللفظ والمعنى كبيت النابغة وهذا من قبيل قول امرئ القيس

خليلي مرا بي على ام جندب نقضي لبانات الفواد المعذب

وانما عظم ابتداء معلقة امرئ القيس في النفوس الاقتصار على سماع صدر البيت فانه يشغل الفكر بحسنه عن النظر في ملايمة عجزه او عدم ملايمته وهو الذي قيل عند سماعه للمنشد حسبك فان قايل هذا الكلام اشعر الناس لانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في شطر بيت ولم يستنشد العجز شغلا بحسن الصدر عنه واذا تامل الناظر في النقد البيت بكماله ظهر له تفاوت القسمين فعلم ان جملة الابتداء غير موصوف بحسن الابتداء اذ حسن الابتداء عبارة عن ملايمة القسمين والله اعلم

ومن جيد ابتداآت المولدين قول ابي نواس

خليلي هذا موقف من متيم فعوجا قليلا وانظراه يسلم

وقوله

لمن دمن تزداد حسن رسوم على طول ما اقوت وطيب نسيم

ومن انشادات ابن المعتز لابي تمام

يا بعد غاية دمع العين ان بعدوا هي الصبابة طول الدهر والكمد

واذا وصلنا الى قول البحتري

بودّي لو يهوى العذول ويعشق ليعلم اسباب الهوى كيف تعلق

وصلتا الى الغاية التي لا تُدرك ولقد احسن ابو الطيب ما شاء في قوله

اتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي

لو لم يكدر صفوه ويقبح حسنه بقوله

كيف ترثي التي ترى كل جفن راءها غير جفنها غير راق

واكثر ابتداآت ابي العلاء المعري تأتي على سنن الصواب كقوله

يا ساهر البرق ايقظ راقد السمر لعل بالجزع اعوانا على السهر

وكقوله

طربن لضوء البارق المتعالي ببغداد وهنا ما لهن ومالي

وكقوله

معاني اللوى من شخصك اليوم اطلال وفي النوم مغنى من خيالك محلال

وكقوله

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد

فهذه امثلة ابتداآت القصائد واما امثلة براعة الاستهلال فمنها قول محمد الخياط

لمست بكفي كفه ابتغي الغنى ولم ادر ان الجود من كفه يعدي

فلا انا منه ما افاد ذوو الغنى افدت واعداني فاتلفت ما عندي

ولقد احسن البحتري اتباعه في هذا المعنى حيث قال

اعلت يداه يدي وشرد جوده بخلي فافقرني كما اغناني

ووثقت بالخلف الجميل معجلا منه فاعطيت الذي اعطاني

واذا نظرتنا الى فواتح السور القرآنية جملها ومفرداتها رأيت من البلاغة

والتفنن في الفصاحة ما لا تقدر العبارة على حصر معناه ومن اراد الوقوف على ذلك فليقف على كتابي المنعوت بالخواطر السوانح في كشف اسرار الفواتح والله اعلم

باب صحة الاقسام

وهذا اول ابواب قدامة صحة الاقسام عبارة عن استيفاء المتكلم اقسام المعنى الذي هو آخذ فيه بحيث لا يغادر منه شيئا ومثال ذلك قوله تعالى وهو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وليس في رؤية البرق الا الخوف من الصواعق والطمع في الامطار ولا ثالث لهذين القسمين ومن لطيف ما وقع في هذه الجملة من البلاغة تقديم الخوف على الطمع اذ كانت الصواعق تقع من اول برقة ولا يحصل المطر الا بعد تواتر البرقات فان تواترها لا يكاد يكذب ولهذا كانت العرب تعد سبعين برقة وتنتجع فلا تخطي الغيث والكلأ والى هذا اشار المتنبي بقوله

وقد ارد المياه بغير هاد سوى عدّي لها برق الغمام

فلما كان الامر المخوف من البرق يقع من اول برقة اتى ذكر الخوف في الآية الكريمة مقدما اولا ولما كان الامر المطمع انما يقع من البرق بعد الامر المخوف اتى ذكر الطمع في الآية الكريمة ثانيا وليكون الطمع ناسخا للخوف كمجيء الفرج بعد الشدة والمسرة بعد الحزن رحمة من الله سبحانه وتعالى للخلق وبشرى بحسن العاقبة لعباده وقد اتى ابن رشيق بهذه الآية من شواهد التفسير لما كان قوله سبحانه خوفا وطمعا كانه تفسير لرؤية البرق وهو قريب ومما جاءت صحة الاقسام فيه مدمجة في المقابلة من الكتاب العزيز قوله سبحانه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون وقد اعترضتنا المطابقة بين القسمين المتقابلين واستوعب

اقسام الاوقات من طرفي كل يوم ووسطه ومن بديع صحة التقسيم قول علي
عليه السلم انعم على من شئت تكن اميره واستغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى
من شئت تكن اسيره فانه استوعب اقسام الدرجات العليا والسفلى والوسطى
واقسام احوال الانسان وبين الفضل والنقص والكفاف واتى في ضمن ذلك
الطباق بين الغنى والحاجة والمناسبة في اميره ونظيره واسيره ومثال
صحة الاقسام من الكتاب العزيز ايضا قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم فلم يترك سبحانه قسما من اقسام الهيئات حتى اتى به وكقوله يهب
لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل
من يشاء عقيما لانه سبحانه اما ان يفرد العبد بهبة الاناث او بهبة الذكور
او يجمعهما له او لا يهبه شيئا ووقعت صحة الاقسام في هذه الاية على ترتيب البلاغة
وهو الانتقال من الادنى الى الاعلى فقدم هبة الاناث لينتقل الى الاعلى منها وهي
هبة الذكور ثم ينتقل الى الاعلى منها وهي هبة الاناث والذكور فجاءت كل
معاني العطية بلفظ الهبة وافرد معنى الحرمان بالتاخر لان انعامه على عباده
اهم من حرمانه اياهم وتقديم الاهم اولى وقال في معنى الحرمان ويجعل عادلا
عن لفظ الهبة لتاتي الالفاظ ملائمة للمعاني قياسا على قوله تعالى افرايتم ما
تحرثون انتم تزرعونه ام نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما وهكذا في الاعتداد
بالماء والنار فاتى لفظ العطاء بلفظ الزرع ومعنى الحرمان بلفظ الجعل ومن
السنة من صحة الاقسام قول الرسول عليه السلم ليس لك من مالك الا ما اكلت
فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت ولا رابع لهذه الاقسام وقوله
عليه الصلوة والسلم من اقام الصلوة كان مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا ومن
شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا فانه عليه السلم استوعب اقسام الوصف

الديني ووقف اعرابي على حلقة الحسن البصري فقال رحم الله من تصدق من فضل
او واسى من كفاف او اثر من قوت فقال الحسن ما ترك الاعرابي منكم احدا حتى
عمه بالمسئلة ومن امثلة هذا الباب الشعرية قول نصيب
فقال فريق القوم لا وفريقهم نعم وفريق ليمن الله ما ندري
فليس في اقسام الاجابة غير ما ذكر وقال بشار
فراح فريق في الاسار ومثله قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه
واوجز من هذا في معناه قول عمرو بن الايهم
اشربا ما شربتما فهذيل من قتيل وهارب واسير
ومن جيد صحة الاقسام قول شاعر الحماسة
وهبها كشيء لم يكن او كنازح به الدار او من غيبته المقابر
فلم يبق في تقسيم المعدوم شيئا حتى ذكره لان الشيء اما يقدر انه لم يوجد او قد
وجد وعدم اما بالبعد او بالفناء وكقول ابي تمام في الافشين وقد احرق
مشيرا الى النار
صلى لها حيا وكان وقودها ميتا ويدخلها مع الفجار
والبارع في هذا قول عمرو بن كلثوم
نطاعن ما تراخى الصف عنا ونضرب بالسيوف اذا غشينا
واحسب ان اول من نطق بصحة التقسيم زهير حيث قال
واعلم ما في اليوم والامس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي
ونقل ابو نواس هذا المعنى من الجد الى الهزل فقال في الحض على الشرب
امر غد انت منه في لبس وامس قد مر فاسل عن امس
وانما الشان شان يومك ذا فباكر الشمس بابنة الشمس

وكنت اظن ان زهيرا هو المبتدئ بصحة التقسيم حتى عثرت على قول امرئ القيس

وليس بذي رمح فيطعنني به وليس بذي سيف وليس بنبال

فاستوعب آلات القتال ورتبها في البيت على ما تكون عليه في الحرب فتمت له صحة التقسيم بجميع شروطها كما ترى وما الطف قول بعض المغاربة

شغل الدهر عن لقاء حبيب ليت شعري متى وكيف واينا

فاستوعب اقسام الظروف الزمانية والمكانية وكيف التي يسأل بها عن الاحوال والنادر في صحة الاقسام قول عمر بن ابي ربيعة

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر
ولا قرب نعم ان دنت لك نافع ولا بعدها يسلي ولا انت تصبر

باب صحة المقابلات

صحة المقابلات عبارة عن توخي المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي فاذا اتى باشياء في صدر كلامه اتى باضدادها في عجزه على الترتيب بحيث يقابل الاول بالاول والثاني بالثاني لا يخرم من ذلك شيئا في المخالف والموافق ومتى اخل بالترتيب كان الكلام فاسد المقابلة وقد تكون المقابلة بغير الاضداد والفرق بين المطابقة والمقابلة من وجهين احدهما ان المطابقة لا تكون الا بالجمع بين ضدين فذين والمقابلة تكون غالبا بالجمع بين اربعة اضداد ضدان في صدر الكلام وضدان في عجزه وتبلغ الى الجمع بين عشرة اضداد خمسة في الصدر وخمسة في العجز والثاني ان المطابقة لا تكون الا بالاضداد والمقابلة تكون بالاضداد وبغير الاضداد ومن معجز هذا الباب قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فانظر الى مجيء الليل

والنهار في صدر الكلام وهما ضدان ثم قابلهما في عجز الكلام بضدين وهما السكون والحركة على الترتيب ثم عبر عن الحركة بلفظ الارداف فاستلزم الكلام ضربا من المحاسن زائدا على المقابلة وعدل عن لفظ الحركة الى لفظ ابتغاء الفضل لكون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة وابتغاء الفضل حركة المصلحة دون المفسدة وهي تشير الى الاعانة بالقوة وحسن الاختيار الدال على رجاحة العقل وسلامة الحس واضافة الظرف الى تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه ليهتدي المتحرك الى بلوغ المآرب ويتقي اسباب المهالك والآية سيقت للاعتداد بالنعم فوجب العدول عن لفظ الحركة الى لفظ هو ردفه وتابعه ليتم حسن البيان فتضمنت هذه الكلمات التي هي بعض آية عدة من المنافع والمصالح التي لو عددت بالفاظها الموضوعة لها لاحتاجت في العبارة عنها الى الفاظ كثيرة فحصل في الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحاسن الا تراه سبحانه جعل العلة في وجود الليل والنهار حصول منافع الانسان حيث قال لتسكنوا فيه ولتبتغوا بلام التعليل فجمعت هذه الكلمات المقابلة والتعليل والاشارة والارداف وائتلاف اللفظ مع المعنى وحسن البيان وحسن النسق فلذلك جاء الكلام متلاحما آخذا اعناق بعضه باعناق بعض ثم اخبر بالخبر الصادق ان جميع ما عدده من النعم بلفظه الخاص وما تضمنته العبارة من النعم التي تلزم من لفظ الارداف بعض رحمته حيث قال بحرف التبعيض ومن رحمته وكل هذا في بعض آية عدتها عشر كلمات فالحظ هذه البلاغة الباهرة والفصاحة المتظاهرة ومن امثلة صحة المقابلات في السنة قول الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان الرفق في شيء الا زانه ولا الخرق في شيء الا شانه فقابل عليه السلام الرفق بالخرق والزين بالشين بأحسن ترتيب واتم

مناسبة بين الرفق والخرق ولفظتي شانه وزانه ٥ ومن امثلة صحة المقابلات
الشعرية قول القائل احسبه كثيرا في مقابلة الاضداد من اناشيد قدامة

فواعجبي كيف اتفقنا فناصح وفيّ ومطوي على الغل غادر

فان هذا الشاعر لما قدم ذكر النصح والوفاء في صدر البيت قابلهما بذكر
الغل والغدر في عجزه على الترتيب لان الغل ضد النصح والغدر ضد الوفاء وقد
وقع في مقابلة الاضداد ما جمع بين ستة اضداد وهو بيت انشده ابو دلامة
للمنصور وقد ساله عن اشعر بيت في المقابلة فانشده

ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا واقبح الكفر والافلاس بالرجل

فان الشاعر قابل احسن باقبح والدين بالكفر والدنيا بالافلاس فجمع بيته ما لم
يجمعه بيت قيل قبله في التقابل ولا خلاف في انه لم يقل قبله مثله واما بعده
فقد عبر المتنبي في وجوه الناس بقوله

ازورهم وسواد الليل يشفع لي وانثني وبياض الصبح يغري بي

فانه جمع بين عشر مقابلات قابل ازور بانثني وسواد ببياض والليل بالصبح على الترتيب صح
ويشفع بيغري ولفظة لي بلفظة بي ولا اعلم في باب التقابل افضل من هذا
البيت لجمعه من المقابلة ما لم يجمعه بيت لشاعر قبله ولا بعده الى يومنا مع ما
فيه من تمكن قافيته خلاف البيت الذي انشده ابو دلامة فان قافيته مستدعاة
لكون حسن الاشياء التي ذكرها وقبحها لا يختص بالرجل دون المراة
والمعنى قد تم بدون ذكر الرجل ولو كان لما اضطر الى القافية افاد
بها معنى زائدا احسن بقول بالبشر لكان البيت نادرا غير ان المقابلة التي في
البيت الذي انشده ابو دلامة افضل من المقابلة التي في بيت ابي الطيب
لان المقابلة التي في البيت الاول بالاضداد والتي في بيت المتنبي

بالاضداد وبغير الاضداد والمقابلة بالاضداد افضل مراعاة للاشتقاق
لان التقابل التضاد والتناقض فبيت المتنبي فضل بالكثرة والبيت الاول
فضل بجودة المقابلة وقد انشد بعض المؤلفين في هذا الباب قول ابي نواس

ارى الفضل للدنيا وللدين جامعا كما السهم فيه الفوق والريش والنصل

وزعم ان هذا البيت فاسد المقابلة من جهة انه قابل الدنيا والدين اللذين
هما طرفان بطرفي السهم وهما الفوق والنصل وبقي الريش لا مقابل له
وعندي ان البيت صحيح المقابلة لان ابا نواس قصد ان الممدوح جمع من
الدنيا والدين ما ينتفع به وما لا بد للعاقل المكلف منه وهما طرفا نقيض
كما جمع طرفا السهم ما لا غنى بالسهم عنه لان الفوق موضع الوتر والريش
الموصل والنصل المصمي فشبه الممدوح بالسهم الجامع لمصالح الطرفين
ولما كان الريش والفوق في طرف واحد كانا معا مقابلين للنصل
اذ هو في الطرف الآخر ولم يضر تعدادهما وهو يريد الطرف الجامع
لهما على ان الاخلال بصحة التقسيم في ظاهر اللفظ لا يفسد صحة المقابلة
فرب كلام وقع في ظاهر لفظه اخلال ببعض اقسامه لكون ذلك القسم
لم يذكر فيه بالفعل وان كان مذكورا بالقوة في باطنه فجا ظاهر لفظه
يوهم الاخلال وهو بريء منه كما جاء في قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر
ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فتقدم في صدر الكلام
اقتران الوعد والامر ثم قابل الشيئين في الظاهر بشيء واحد وهو الوعد
فاوهم انه اخل بذكر الامر وليس كذلك وانما لما كان الفضل مقابلا
للفقر والمغفرة مقابلة للامر بالفحشاء لان الفحشاء توجب العقوبة
والمغفرة تقابل العقوبة استغنى بذكر المقابل عن ذكر مقابله لان ذكر

احدهما ملزوم ذكر الآخر ومثل ذلك من الشعر الفصيح قول القايل

اسرناهم وانعمنا عليهم واسقينا دماءهم الترابا
فما صبروا لباس عند حرب ولا ادوا لحسن يد ثوابا

فان ظاهر لفظ البيتين يؤذن بان الشاعر اخل بمقابل قوله واسقينا دماءهم الترابا لانه قابل الباس بسلب الصبر والانعام بنفي الثواب وليس الامر كذلك لان القتل والاسر داخلان في باس الحرب فهما شيء واحد وان تعددا فقابلهما معا بالصبر لانه يكون عليهما والله اعلم

باب صحة التفسير والتبيين

وهو ان ياتي المتكلم في اول الكلام او الشاعر في بيت من الشعر بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون ان يفسر اما في البيت الاخر او في بقية البيت ان كان الكلام الذي يحتاج الى التفسير في اوله ووقوع التفسير في الكلام على انحاء بعد الشرط وما هو في معناه وبعد الجار والمجرور وبعد المبتدا الذي التفسير خبره فمثال ما وقع منه بعد الحروف المتضمنة معنى الشرط قول الفرزدق

لقد جيت قوما لو لجات اليهم طريد دم او حاملا ثقل مغرم
لالفيت منهم معطيا او مطاعنا وراءك شزرا بالوشيج المقوم

ومثال ما جاء بعد الجار والمجرور قول الحسين بن مطير الاسدي

وله بلا حزن ولا بمسرة ضحك يواصل بينه ببكاء

وكلا الرجلين اعني الفرزدق وابن مطير لم يراعيا الترتيب وان كان عدم الترتيب مع حسن الجوار وقرب الملايمة لا ينقص به حسن الكلام البليغ بل

هو عندي من صحة التفسير الا ترى الى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم ثم قال بعد ذلك واما الذين ابيضت وجوههم ومثل ذلك قوله سبحانه بسم الله الرحمن الرحيم فانه لما قدم ذكر الابلغ على ما دونه وطريق البلاغة الترقي علم من هذا الترتيب ان توخي الملايمة وحسن الجوار اولى من حسن الترتيب اذ كان اسم الله تعالى مختصا به دون بقية اسمايه وكان الرحمن وصفا مختصا به دون بقية صفاته فاتبع الاخص بالاخص ولتوخي الملايمة ومراعاة حسن الجوار عدل عن الايضاح وتعمد التقديم والتاخير الذي هو اجل الوجوه الثلثة التي يحصل بها الاشكال فان التنزيل لو كان في اية الطهارة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وارجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم لم يختلف العلماء في المسح والغسل لكن لما قصد نظم الكلام على الوجه الاحسن من مجاورة الملايم بالملايم ليكون لفظ الكلام موتلفا مع معناه عدل عن ذلك الى التقديم والتاخير لان كل من وصف وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضوء اصحابه والتابعين لهم باحسان لم يروا ان احدا منهم غسل رجليه قبل مسح راسه واذا علم ان مسح الراس مقدم على غسل الرجلين علم ان الواجب غسل الرجلين من حيث انه سبحانه قدم ذكر مسح الراس ليعلمنا ترتيب غسل الاعضاء في الوضوء كما كانت في الغسل فان الغسل يختم فيه بغسل الرجلين ولما اخر ذكر الرجلين اتى بالتحديد ليعلم ان الامر فيهما معطوف على الاعضاء المغسولة لا على العضو الممسوح فان المسح لم يضرب له غاية احترازا ممن يظن ان الرجلين ممسوحة ولعربية الشافعي ومعرفته بكنه بلاغة العرب اوجب الترتيب في الوضوء لكون الاية جاءت مرتبة للاعضاء ولم يجعل التقديم والتاخير وان اوجب لبسا اتكالا على ما في التحديد من رفع ذلك اللبس والله اعلم ٥

ولقد احسن ابن شرف القيرواني في التفسير الواقع بعد الجار والمجرور حيث قال

لمختلفي الحاجات جمع ببابه فهذا له فن وهذا له فن

فللخامل العليا وللمعدم الغنى وللمذنب العتبى وللخايف الأمن

ومن اناشيد قدامة فيما جاء من التفسير بعد الحروف المتضمنة معنى الشرط قول صالح بن جناح اللخمي

لين كنت محتاجا الى الحلم انني الى الجهل في بعض الأحايين احوج

ثم فطن هذا الشاعر الى انه اجمل في قوله ان كنت محتاجا الى الحلم فانني في بعض الاوقات الى الجهل احوج ولم يبين كونه اذا احتاج الى الجهل واضطر له هل يقدر على ان يجهل فقال في البيت الثاني

ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ولي فرس للجهل بالجهل مسرج

فبين ان عنده حلما لمن يعامله بالحلم وجهلا لمن يعامله بالجهل وهذا بسط قول عمرو بن كلثوم

الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

لكن بيت ابن جناح امشى على سنن العدل من بيت ابن كلثوم لاستضائته بنور القرآن وتأدبه بادبه لانه عقد بالوزن قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ثم فطن اعني ابن جناح الى كونه لم يبين العلة التي تحوجه الى الجهل فقال في البيت الثالث

فمن شاء تقويمي فاني مقوم ومن شاء تعويجي فاني معوج

ومثال ما جاء من التفسير بعد خبر المبتدا بشرط ان يكون المفسر مجملا والمفسر له مفصلا قول ابن الرومي

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات اذا دجون نجوم

منها معالم للهدى ومصابح تجلو الدجى والاخريات رجوم

وهذا افضل ما سمعته في باب التفسير من الشعر فانه راعى فيه الترتيب احسن مراعاة فلو كمله بان يستوعب فيه اقسام منافع النجوم بان يضيف الى ما ذكره سقيا اهل الارض حصل في بيته صحة التقسيم مع صحة التفسير وان كان هذا غير لازم للشاعر لكنه لو اتفق له ذلك لكان احسن ولما لحظت ذلك خطر لي ان اعمل معناه على ما وقع لي من صحة التقسيم مع صحة التفسير فقلت في شرف الدين حسن بن سنا الملك

لا بايك الماضين يا حسن الذي صفات بها لا غير تعلو المراتب

وجوه وآراء وشهب عزايم وايد بلا جور الخطوب كواكب

يماط الدجى منها ويهدى بها الورى ويرجم من يجني وتسقى السحايب

ومن بديع التفسير قول ابي جعفر الخراز النظري ملينة من نظر بلنسية من شعراء المائة السادسة في ابن عباد

وما زلت اجني منك والدهر ممحل ولا ثمر يجنى ولا زرع يحصد

ثمار ايادٍ دانيات قطوفها لاغصانها ظل علي ممدد

يرى جاريا ماء المكارم تحتها واطيار شكري فوقهن تغرد

ومن التفسير نوع لا تعرف صحته لانه ياتي مفسرا الشي مقدر في النفس لم يجر له ذكر في الكلام الذي تقدم لكنه يكون ملزوم الكلام المتقدم من ظاهر اللفظ ولان المفسر لا تنحصر تفاصيله كقول المتنبي

وجلا الوداع من الحبيب محاسنا حسن العزاء وقد جلين قبيح

فيد مسلمة وطرف شاخص وحشا يذوب ومدمع مسفوح

وذلك لان البيت الاول اشار الى صفات الحبيب والبيت الثاني يشير الى احوال

المحب وانما لما قال في البيت الاول ان الوداع حلا من الحبيب محاسن قبح العزا عند
رؤيتها كان كانه قدر في نفسه انه عندما تحقق مفارقة تلك المحاسن
بقيت حاله على ما شرحه وفسره في البيت الثاني ومن مليح التفسير وبديعه قول
محمد بن وهيب في المعتصم

ثلثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وابو اسحق والقمر

ولقد احسن مجد الملك ابن شمس الخلافة حين تناول هذا المعنى ما شاء فانه
وطا له توطية ملايمة لو اقتصر على تفضيله عليها كانت كافية لا سيما وقد
زاد فيه زيادة غير خافية عن ذي بصيرة حيث قال

شيان حدث بالقساوة عنهما قلب الذي يهواه قلبي والحجر
وثلثة بالجود حدث عنهم البحر والملك المعظم والمطر
لكن واسطة الثلثة خيرها وكذاك خير العقد واسطة الدرر

ومن التفسير ضرب ثان في حشو البيت وهو غريب في التفسير لان غالب مجي
التفسير اما في عجز البيت او في بيت اخر وهو قول عمرو بن كلثوم

ويوم كريهة ضربا وطعنا اقر به مواليك العيونا

فقوله طعنا وضربا تفسير ليوم الكريهة ومن لطيف التفسير وغريبه تفسير
وقع بعد الاخبار وهو غير الاقسام المتقدمة وذلك قول ابي حية النميري

فالقت قناعا دونه الشمس واتقت باحسن موصولين كف ومعصم

والمعنى من قول النابغة الذبياني

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

وبيت ابي حية اجزل لفظا واتم معنى واحسن رونقا وديباجة ومن مليح
التفسير الذي وقع في بيت واحد قول بعض المغاربة

صالوا وجادوا وضاءوا واجتبوا فهم اسد ومزن واقمار واجبال

فانه احسن فيه الترتيب ووقع التفسير في عجز البيت كله والمفسر في الصدر
كله بحيث ان كل قسم مستقل بنفسه ورجع الى ذلك المساواة فان لفظه
طبق معناه ومن التفسير نوع يتقدم التفسير فيه على المفسر كقول زينب بنت
زياد المودب من شواعر المغرب

ولما ابى الواشون الا فراقنا وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على اسماعنا كل غارة وقلت حماتي عند ذاك وانصاري
غزوتهم من مقلتيك وادمعي ومن نفسي بالسيف والماء والنار

فقولها من مقلتيك وادمعي ومن نفسي تفسير لبقية البيت ٥ ومن معجز التفسير
ما جا في الكتاب العزيز منه كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم
من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع فذكر سبحانه
الجنس الاعلى اولا حيث قال كل دابة فاستغرق اجناس كل ما دب ودرج
ثم فسر هذا الجنس بعد ذلك بالاجناس المتوسطة والانواع حيث قال فمنهم
ومنهم ومنهم مراعيا للترتيب وذلك انه قدم ما يمشي بغير الة لكون الاية
سبقت لبيان القدرة وتعجب السامع وما يمشي بغير الة اعجب مما يمشي
بالة فلذلك كان تقديمه ملايما لمقصود الاية ثم ثنى بالافضل فالافضل
فاتى بما يمشي على رجلين وهو الادمي والطاير لتمام خلق الانسان وكمال
حسن صورته ولما في الطاير من عجب الطيران الدال على الخفة مع ما فيه
من كثافة الارضية وثلث بما يمشي على اربع لانه احسن الحيوان البهيم
واقواه تغليبا له على ما يمشي على اكثر من الاربع من الحشرات وان كان داخلا
فيما يمشي على الاربع وانما خص ذلك بالذكر دونه لفضله عليه فاستوعب

الأقسام وأحسن الترتيب فتضمنت هذه الكلمات التي هي بعض آية عدة من
المحاسن وهي صحة التفسير وصحة التقسيم مع مراعاة الترتيب والإشارة
وائتلاف اللفظ مع المعنى وحسن النسق ٥

باب ائتلاف اللفظ مع المعنى

هذا الباب ذكره قدامة وترجمه مفردًا ولم يبين معناه وشرحه الآمدي
والحاتمي ولم توف عبارته بإيضاحه وتلخيص معنى هذه التسمية أن تكون
ألفاظ المعنى المطلوب ليس فيها لفظة غير لايقة بذلك المعنى ومثال ذلك
قوله سبحانه إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب فعدل سبحانه
عن الطين الذي أخبر في كثير من مواضع الكتاب العزيز أنه خلق آدم منه منها
قوله تعالى إني خالق بشرًا من طين وقوله سبحانه حكاية عن إبليس خلقتني من نار
وخلقته من طين فعدل عز وجل وهو أعلم عن ذكر الطين الذي هو مجموع التراب
والماء إلى ذكر مجرد التراب لأنه أدنى العنصرين وأكثفهما لما كان المقصود
مقابلة من ادعى في المسيح الإلهية بما يصغر أمر خلقه عند من ادعى ذلك
فلهذا كان الإتيان بلفظة التراب أمتن بالمعنى من غيرها من العناصر ولو كان
موضعه غيره لكان اللفظ غير مؤتلف بالمعنى المقصود ولما أراد سبحانه الامتنان
على بني إسرائيل بعيسى عليه السلام أخبرهم عنه أنه يخلق لهم من الطين كهيئة الطير
تعظيمًا لأمر ما يخلقه بإذنه إذ كان المعنى المطلوب الاعتداد عليهم بخلقه
ليعظموا قدر النعمة به ومن ائتلاف اللفظ مع المعنى أن يكون اللفظ جزلًا إذا كان
المعنى فخمًا ورقيقًا إذا كان المعنى رشيقًا وغريبًا إذا كان المعنى غريبًا محتاجًا
ومستعملًا إذا كان المعنى مولدًا محدثًا كقول زهير

أثافي سفعًا في معرس مرجل ونؤيًا كجذم الحوض لم يتثلم
فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا انعم صباحًا أيها الربع واسلم

فإن زهيرًا لما قصد إلى تركيب البيت الأول من ألفاظ تدل على معنى غريب لكن
المعنى غير غريب ركبه من ألفاظ متوسطة بين الغرابة والاستعمال ولما قصد
في البيت الثاني إلى معنى أبين من الأول وأعرف وإن كان غريبًا ركبه من ألفاظ
مستعملة ومن شواهد الائتلاف في الكتاب العزيز قوله تعالى قالوا تالله تفتأ
تذكر يوسف حتى تكون حرضًا أو تكون من الهالكين فإنه سبحانه أتى بأغرب
ألفاظ القسم بالنسبة إلى أخواتها فإن والله وبالله أكثر استعمالًا وأعرف
عند الكافة من تالله لما كان الفعل الذي جاور القسم أغرب الصيغ التي في
بابه فإن كان وأخواتها أكثر استعمالًا من تفتأ وأعرف عند الكافة ولذلك
أتى بعدهما بأغرب ألفاظ الهلاك بالنسبة وهي لفظة حرض ولما أراد غير
ذلك قال في غير هذا الموضع وأقسموا بالله جهد أيمانهم لما كانت جميع الألفاظ
مستعملة وعلى هذا فقس والله أعلم ٥

تعرف بها القسم صح

باب المساواة

وهذا الباب مما فرعه قدامة من الباب المتقدم عليه وشرحه بأن قال هو أن
يكون اللفظ مساويًا للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه وهذا من البلاغة التي
وصف بها بعض الوصاف بعض البلغاء فقال كانت ألفاظه قوالب
لمعانيه ومعظم آيات الكتاب العزيز كذلك ومنها قوله تعالى إن الله
يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي
يعظكم لعلكم تذكرون فإن قيل معظم هذه الآية من باب الإشارة

لأن العدل والإحسان والفحشاء والمنكر على قلة هذه الألفاظ تدل على معانٍ من أفعال البر وضدها لا تنحصر ولا معنى للإشارة إلا دلالة اللفظ القليل على المعاني الكثيرة فكيف تجتمع المساواة والإشارة قلت المساواة تطلق ويراد بها معنيان أحدهما أن تكون ألفاظها ألفاظ المعنى الموضوعة له فتلك هي التي لا تزيد على المعنى ولا تنقص عنه وهي التي لا تجتمع مع الإشارة ولا الإرداف ولا غيرهما من الكلام الذي لفظه أقل من معناه والثاني أن يكون لفظ الكلام غير لفظ معناه الموضوع كالإشارة والإرداف وما جرى هذا المجرى فإن كانت كذلك ولم يأت المتكلم في أثناء الكلام وخلاله بلفظة زائدة على لفظ المقصد الذي بعده لإقامة وزن أو لاستدعاء قافية أو سجعة فتلك أيضا مساواة لأن لكل باب لفظا يخصه فمتى زاد على ذلك اللفظ الدال على ذلك المعنى المقصود كان الكلام غير موصوف بالمساواة ومن هذا الباب في الكتاب العزيز قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي الآية فإن قيل لفظة القوم في قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين زائدة تمنع الآية أن توصف بالمساواة فإنه لو قال وقيل بعدا للظالمين أجزأ قلت لما سبق قوله تعالى وكلما مر عليه ملأ من قومه وقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا أوجبت البلاغة أن يقول في آخر الكلام بعدا للقوم الظالمين ولو اقتصر على لفظة الظالمين دون لفظة القوم لتوهم متوهم أن آلة التعريف في الظالمين للجنس وهو خلاف المراد فإن المراد بالظالمين هاهنا قوم نوح الذين قدم ذكرهم ووصفهم بالظلم ونهاه عن المخاطبة فيهم ليترتب عجز الكلام على صدره ويعلم أن المدعو عليهم هم الذين تقدم ذكرهم آخرا سالما من وقوع هذا التوهم ولا يحصل ذلك إلا بذكر القوم فقد صار الإتيان بها يفيد معنى لم

يفيد الكلام بدونها والله أعلم واعلم أن البلاغة قسمان إيجاز وإطناب والمساواة معتبرة في القسمين معا فأما الإيجاز فقوله تعالى ولكم في القصاص حياة والإطناب في هذا المعنى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل وكقوله سبحانه في قسم الإيجاز من غير هذا المعنى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقوله تعالى في الإطناب إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية ولا بد من الإتيان بهذا الفصل لئلا يتوهم أن الإطناب لا يوصف بالمساواة ومن شواهد المساواة قول امرئ القيس

فإن تكتموا الداء لا نخفه ... وإن تبعثوا الحرب لا نقعد
وإن تقتلونا نقتلكم ... وإن تقصدوا لدم نقصد

وكقول زهير

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وكقول طرفة

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود

باب الإشارة

وهو أيضا مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وشرحه بأن قال هو أن يكون اللفظ القليل مشتملا على المعنى الكثير بإيماء ولمحة تدل عليه كما قال بعضهم في صفة البلاغة هي لمحة دالة وتلخيص هذا الشرح أنها إشارة المتكلم إلى معان كثيرة بلفظة يشبه لقلته واختصاره بإشارة اليد فإن المشير بيده يشير دفعة واحدة إلى أشياء لو عبر عنها بلفظ لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة جدا ولا بد في الإشارة من اعتبار صحة الدلالة وحسن البيان مع الاختصار

لان المشير بيده ان لم يفهم المشار اليه معناه فاشارته معدودة من العبث ولهذا قال هند بن
ابى هالة فى وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بكفه كلها واذا تعجب قلبها
واذا حدث اتصل بها فضرب براحته اليمنى باطن ابهامه اليسرى فوصفه ببلاغة اليد كما
وصفه ببلاغة اللسان يعنى انه يشير بيده فى الموضع الذى تكون فيه الاشارة اولى من العبارة
وهذا حذق بمواقع المخاطبات وقوله كلها اى يفهم بها المخاطب كلما اراده بسهولة
فان الاشارة ببعض الكف تصعب وبكل الكف تسهل فاعلمنا هذا الوصاف انه صلى
الله عليه وسلم كان سهل الاشارة كما كان سهل العبارة وهذا ضرب من البلاغة
التى يتمدح بمثله وهو ايضا من بلاغة الواصف اذ اشار بقوله كلها الى كل المقصود
الذى تدل عليه الاشارة بسهولة ومن حذق الواصف اتيانه بلفظ الاشارة فى الوصف
لما اراد ان يصف الاشارة البديعة ويقسمها قسمين قسما للسان وقسما لليد وقوله
واذا تعجب قلبها يعنى انه يشير بها على وجهها اذا كان المعنى الذى يشير اليه على وجهه ليس
فيه ما يستغرب فيتعجب منه فان الشى المعجب انما يكون معجبا لكونه غير معهود فكان
الامر فيه قد قلب لمخالفته المعهود فلذلك يجعل صلى الله عليه وسلم قلب يده فى
وقت الاشارة اشارة الى ان هذا الامر قد جاء على خلاف القياس ولذلك تعجب منه
وقوله واذا حدث اتصل بها يعنى اتصل حديثه بها فيكون المعنى متصلا والمفهوم بالعبارة
والاشارة متلاحما اخذة اعناق بعضه باعناق بعض ٥ وقوله فضرب براحته
اليمنى باطن ابهامه اليسرى يعنى انه عند انتهاء اشارته يضرب براحته اليمنى باطن
ابهامه اليسرى مشيرا الى انه ختم الاشارة لان الابهام بها يختم القبض ولذلك عطف
هذه الجملة بالفاء ولم يات بها معطوفة بالواو كما اتى بما قبلها من الجمل لكونها اخر اشارته
والواو لكونها غير مقتضية للترتيب يجوز ان يكون المتاخر بها متقدما ولا كذلك الفاء
اذ لا بد ان يكون المعطوف بها متاخرا لكونها موضوعة للتعقيب واما اقتصاره على باطن

الابهام دون ظاهرها فمعناه انه جعل اخر الاشارة متصلا باول العبارة ايضا اتصالا
ملائما كملايمة باطن الكف التى ضرب بها لباطن الابهام وهذه ايضا من بلاغة الواصف
رضى الله عنه ٥ ومن شواهد الاشارة فى الكتاب العزيز قوله تعالى وغيض الماء فانه
سبحانه اشار بهاتين اللفظتين الى انقطاع مادة الماء من مطر السماء ونبع الارض وذهاب
الماء الذى كان حاصلا على وجه الارض قبل الاخبار اذ لو لم يكن ذلك لما غاض الماء
وكقوله سبحانه وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فالمح كل ما تميل النفوس
اليه من الشهوات وتلذه الاعين من المرئيات لتعلم ان هذا اللفظ القليل جدا اعبر عن
معان كثيرة لا تنحصر عدا وكذلك قوله تعالى فانبذ اليهم على سواء يعنى وانبذ اليهم بما
يفعلونه معك وعاملهم بمثل معاملتهم لك سواء مع ما يدل عليه لفظة سواء من الامر
بالعدل ومثل هذا المعنى قول زهير

فانى لو لقيتك واتجهنا لكان لكل منكرة كفاء

يعنى قابلت كل منكرة منك بكفوها واذا علمت ذلك فانظر ما بين هذا البيت وبين
قوله تعالى فانبذ اليهم على سواء لتعلم فرق ما بين الكلامين وكقول الرسول صلى
الله عليه وسلم المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم
ومن امثلة هذا الباب قول امرئ القيس

بعزهم عززت وان يذلوا فذلهم انالك ما انالا

فانظر كم تحت قوله انالك ما انالا من انواع الذل وكذلك قول المسيب

لاشكرن غريب نعمته حتى اموت وفضله الفضل
انت الشجاع اذا هم نزلوا عند المضيق وفعلك الفعل

فالحظ كم تحت قوله وفضلك الفضل بعد اخباره بانه يشكر غريب نعمته حتى يموت من
اصناف المدح وترجيح فضله على الشكر وفى قوله غريب نعمته غاية المدح اذ جعل

نعمته نعمة لم يقع مثلها في الوجود قط وكذلك قوله وفعلك الفعل بعد اخباره
بنزول القوم عند المضيق الدال على صبرهم وشجاعتهم وما في ذلك من ترجيح شجاعة الممدوح
عليهم وكذلك قوله في صفة الفرس

على هيكل يعطيك قبل سؤاله افانين جري غير كز ولا وان

فانه اشار بقوله افانين جري الى جميع صنوف عدو الخيل المحمودة والذي يدل على انه
اراد الافانين المحمودة نفيه عن الفرس الكزوزة والونى فسلبه صفات القبح من
الجماح والحران والاسترخاء والفتور وجعله يعطي هذا الجري عفوا من غير طلب
ولا حث وهذا كمال الوصف وتمام النعت ولو عددت هذه المعاني بالفاظها
الموضوعة لها لاحتيج في العبارة عنها الى الفاظ كثيرة جدا ومن الاشارة نوع يقال
له الوحي واللحن وهو جمع العبارة والاشارة ببعد لا يفهم طريقه الا ذو فهم ٥

قال الشاعر

ولقد وحيت لكم لكيما تفطنوا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب

ومثال ذلك ما حكي عن رجل من بلعنبر اسر في بكر بن وائل فسالهم ان يرسل الى قومه
فقالوا لا ترسل الا بحضرتنا وخافوا ان ينذرهم فانهم عزموا على غزو قومه فحضروا واحضروا
عبدا فقال له اتعقل قال اني لعاقل فاشار الى الليل وقال ما هذا فقال الليل فقال
اراك عاقلا فملا كفه من الرمل وقال كم عدد هذا فقال لا ادري وانه لكثير
فقال ايما اكثر النجوم ام التراب فقال كل كثير فقال ابلغ قومي واقرهم
السلام وقل لهم اكرموا فلانا فان قومه لي مكرمون يعني اسيرا كان عند قومه
من بكر بن وائل ثم قل لهم ان العرفج قد ادبى وقد اشتكت النساء ومرهم ان يعروا
ناقتي الحمراء فقد طال ما ركبوها وان يركبوا جملي الاصهب باية ما اكلت معكم حيسا
واسالوا عن خبري اخي الحرث فلما قال لهم العبد ذلك قالوا لقد جن الاعور والله ما له

ناقة ولا جمل فلما سالوا اخاه سال العبد عما قاله له اولا فاخبره فشرحه وقال لهم
قد انذركم اما الليل فانه اشار الى انكم في عمياء مظلمة واما الرمل فانه اشار
الى انكم تغزون بمثل عدده واما النجوم والتراب فاشار بذلك الى كثرة عدوكم
واما قوله ادبى العرفج فانه اشار الى ان العدو قد استلاموا وركبوا واما قوله
اشتكت النساء اي اتخذوا القرب للغزو واما الناقة الحمراء فيعني الدهناء
وقوله اطلتم ركوبها اشارة الى انكم قد عرفتم بابطائها لطول مقامكم بها فامركم
ان ترحلوا عنها وتنزلوا الصمان وهو الجمل الاصهب الذي امركم بركوبه ففعلوا
فسلموا واما الحيس فاشارة الى ان عدوكم قد جمع لكم اخلاطا فانه من السمن
والتمر والاقط والله اعلم ٥

باب الارداف والتتبيع

هذا الباب مما فرعه قدامة ايضا من ائتلاف اللفظ مع المعنى وسماه بهذه
التسمية وشرح تسميته بان قال هو ان يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه
الموضوع له ويعبر عنه بلفظ هو ردفه وتابعه اي قريب من لفظه قرب الرديف
من المردف مثل قوله تعالى واستوت على الجودي فان حقيقة ذلك وجلست على
هذا المكان فعدل عن لفظ المعنى الخاص به الى لفظ هو ردفه وانما عدل عن لفظ
الحقيقة لما في الاستواء الذي هو لفظ الارداف من الاشعار بجلوس متمكن لا زيغ
فيه ولا ميل وهذا لا يحصل من قولك جلست او قعدت او غير ذلك من الفاظ الحقيقة
اذ كان المراد وهو اعلم الاخبار بنفي الاسباب الموجبة خوف اهل السفينة عن
السفينة في حالتي حركتها وسكونها وذلك فيه موجب الخوف ولا يحصل الا بلفظ
الاستواء دون غيره وقد جاء في السنة من امثلة هذا الباب قول النبي صلى الله عليه

وسلم حكاية عن بعض النسوة في حديث ام زرع حيث قالت زوجي رفيع العماد
عظيم الرماد قريب البيت من الناد فانها ارادت مدح زوجها بتمام الخلق والتقدم
على قومه ونهاية الكرم ولو عبرت عن هذه المعاني بالفاظها لاحتاجت بازاء كل
معنى لفظا يخصه فتكثر الالفاظ ولا يدل كل لفظ الا على معناه فقط والفاظ
الارداف كل لفظ منها يدل على جميع ما ارادت من صفات المدح على انفراده
لان قولها رفيع العماد يدل على تمام الخلق اذ بناء البيوت على مقادير اجسام
الداخلين لها غالبا ويدل على عظم قدر صاحبه اذ لا يقدر على ان يرفع بيته على البيوت
الا من قدره مرتفع على الاقدار ويدل على الكرم ايضا لان الوفود والضيفان يعمدون
الى قصد البيوت المرتفعة دون بيوت الصرم وكذلك عظم الرماد يدل على عظم
القدر وعظم الكرم وكثرة الثروة ومثله قولها قريب البيت من الناد ليسبق
الى الضيف لان الضيف يقصد النادي وهو موضع مجتمع رجال الحي للحديث فاذا
كان البيت قريبا منه كان صاحبه الى الضيف اسبق ولا تحصل هذه المعاني الا من
لفظ الارداف فان قيل فاذا كانت كل لفظة من الفاظ الارداف تدل على
عدة معان فما الفرق بين الارداف والاشارة قلت ــــــ لفظ الارداف
يتضمن مع الدلالة على المعاني الكثيرة زيادة مدح للممدوح ووصف للموصوف
ولفظ الاشارة لا يتضمن الا الدلالة على كثرة المعاني فقط ٥
ومن شواهد هذا الباب الشعرية قول امرئ القيس

ويضحي فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

فانه اراد ان يصف هذه المراة بانها مخدومة لها من يكفيها امر بيتها فعبر عن ذلك
بلفظ يدل على انها موصوفة بالنعمة ورقة البشرة واقتبال الشباب وكثرة الحظوة
وعظم الثروة فعدل عن لفظ هذا المعنى الذي اراده الى لفظ هو ردفه حيث قال

ويضحي فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لانها لا تنام الضحى الا وهي مخدومة عندها
من يكفيها امر بيتها فهي لا تباشر الاعمال ولذلك تكون منعمة مرفهة غير متطفة
ولا ممتهنة الا ترى انه اكد ذلك بقوله لم تنتطق عن تفضل اي لم تشد في وسطها
نطاقا على ثوبها الذي تنام فيه كفعل من يريد ان يعمل عملا من النساء ودل قوله
ويضحي فتيت المسك فوق فراشها على انها حظية عند الرجال المثرين وانهم في
غاية الميل اليها مع القدرة بالثروة على الاستكثار من حرائر النساء ومن الاماء
اما لافراط جمالها او لسعد جدها وانها ممن يسمح لها من اعلى الطيب واغلاه
بما يبقى فتيته في صبيحة كل ليلة على فراشها بعدما يتصعد منه ويلصق بجسمها
ويعلق بشعرها وبشرها ولا يعطي قوله ان هذه المراة لها من يخدمها جميع ما
يعطيه قوله نؤوم الضحى فان هذا اللفظ مع دلالته على انها مخدومة يدل على كثرة
النوم الذي لا يكون الا من غلبة الدم الطبيعي في سن النمو وطبيعة الدم حارة
رطبة وهي طبع الحيوة ومادتها فيكون اللون به مشرقا والماء في الوجه كثيرا
والاخلاق حسنة لاجل اعتدال المزاج ولو ترك لفظ الارداف وعبر عما
قصده باللفظ الخاص وهو قوله انها مخدومة لم تحصل هذه المعاني التي حصلت
من لفظ الارداف وكذلك لو قال انها من اهل الثروة لم يوف بما اراد من كونها
معشقة للمثرين من الرجال مع القدرة بالثروة على الاستكثار من النساء وانها
ممن يسمح لها بذلك فوجب العدول عن لفظ المعنى الى لفظ الارداف لدلالته
مع اختصاره على المعاني التي لا يدل عليها لفظ الحقيقة ولما يتضمن من زيادة الوصف
وقد انتحل ابن رشيق احد اسمي هذا الباب وهو التتبيع وافرده بابا من الارداف
وزعم انه غيره واستشهد عليه بشواهد فيها ما لا يمس به البتة وبقيتها لا يعقل
للفرق بينها ومن شواهد الارداف وهو يظن انه قد فرق بينها منها قول المتنبي

الى كم تردّ الرسل عمّا اتوا له كانّهم فيما وهبت ملام

وقال اعني ابن رشيق دلّ هذا البيت على الشجاعة بلفظ الارداف ودلّ على الكرم
بلفظ التتبيع يعني انّ الارداف اشتقاقه من الرّدف فلفظه اقرب الى لفظ المعنى
والتتبيع من التابع والتابع يكون قريبًا ويكون بعيدًا ونعاب بهذا لك على
قدامة من اغاليطه وهو اولى بالغلط منه لان التتبيع وان كان في نفس الامر كما ظنّه
فانّه في هذا الموضع اراد به التابع القريب دون البعيد فانّ الالفاظ اذا كانت
من اصل الوضع تدل على معنيين بحيث لا تتخلّص الى احدهما دون الاخر الا بقرينة
كانت حال اقترانها بالقراين مخلصة للمعنى الذي تدلّ عليه القرينة وقدامة اتى
بلفظ التتبيع مقترنًا بالارداف فعلم انه اراد التابع القريب والردف تابع
قريب فلا فرق بينهما في هذا الموضع واما بيت المتنبي الذي اتى به ابن رشيق
ليكون دليلًا له فهو دليل عليه لانه عكس ما فسّره به وذلك انّ اللفظ الدالّ
فيه على الكرم هو الذي يجب ان يسمى اردافًا لانه اقرب الى لفظ الكرم لكونه
صرّح فيه بذكر الهبة واللفظ الدالّ على الشجاعة بعيد من لفظ الشجاعة
بالنسبة الى لفظ الكرم وقدامة راى الفصحاء قد دلّوا تارة على مقاصدهم
بالفاظ قريبة من الالفاظ الموضوعة لتلك المقاصد وتارة بالفاظ بعيدة
بالنسبة فسمّى الاوّل اردافًا والثاني تمثيلًا لانّ المثل وان وجد قريبًا
من المثل وبعيدًا فلا يبلغ قرب التابع القريب ولا الرديف وسياق
بيان ذلك في الباب الذي يلي هذا الباب والله اعلم واخذ ابن الاثير يويّد
ما ذكره ابن رشيق بان قال وفي الالفاظ ما يدلّ على المعنى بظاهره وفيها
ما يدل على المعنى بتاويله والاول هو الارداف والثاني هو التتبيع ومثال
الاول قول عمر بن ابي ربيعة

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل ابوها واما عبد شمس وهاشم

وقال بعد مهوى القرط يفهم منه طول العنق بغير تاويل بخلاف قول المتنبي
الى كم تردّ الرسل عمّا اتوا له البيت فانّ صدر هذا البيت لا يدل على
الشجاعة بظاهره وانما يدلّ عليها بالتاويل ولو راى ضياء الدين رحمه الله
كتابه الذي سمّاه تزييف النقد برده على قدامة راى كتابًا يحلف الحالف
صادقًا انه ما تكلم فيه بحرف واحد الا وهو مطبق الجنون ليس له وقت
افاقة البتة واما كلامه في هذا الفصل فما هو عندي بالبعيد من كلامه في
هذا الكتاب الذي اشرنا اليه واما قول ضياء الدين رحمه الله ان مهوى
القرط يدلّ على طول العنق بغير تاويل فكل مميز من بني آدم يعلم انّ
قولنا طويلة العنق يفارق قولنا بعيدة مهوى القرط من جهة انّ الاول
علامة لطول العنق متى سمع فهم منه هذا المعنى بخلاف قولنا بعيدة مهوى القرط
فانه لا يفهم منه معنى طول العنق الا بالتاويل وهو ان قرطها انما كان بعيد موضع الهبوط
لطول عنقها فدلالة الاول دلالة مطابقة ودلالة الثاني دلالة التزام وكذلك قول
المتنبي الى كم تردّ الرسل فانه ايضًا يدلّ على الشجاعة بالتاويل فقد استويا في الدلالة
على المعنى بالتاويل اذ لا يصلح واحد منهما ان يدلّ على المعنى بظاهره فلا فرق
بينهما من هذا الوجه وانما الفرق بينهما من جهة القرب والبعد فان لفظ بعيد
مهوى القرط اقرب الى لفظ طول العنق من لفظ ترد الرسل الى لفظ الشجاعة فلا جرم
انّ الاول يسمى اردافًا والثاني يسمى تمثيلًا لقرب الارداف من لفظ المعنى وبعد التمثيل
من لفظه والله اعلم وليس العجب من كون هذا الموضع اشكل على ابن رشيق فانه قد
اشكل عليه ما هو اوضح منه وانما العجب كيف يمشي على ضياء الدين رحمه الله مع رجاحة
عقله وثقوب ذهنه وسلامة حسّه ٥

باب التمثيل

هذا الباب ايضا مما فرّعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وقال هو ان يريد المتكلم معنى ما فلا يدل عليه بلفظه الموضوع له ولا بلفظ قريب من لفظه وانما ياتي بلفظ هو ابعد من لفظ الارداف قليلا يصلح ان يكون مثالا للفظ المعنى المراد مثل قوله تعالى وقضي الامر وحقيقة هذا اي هلك من قضي هلاكه ونجا من قدرت نجاته وانما عدل عن اللفظ الخاص الى لفظ التمثيل لامرين احدهما اختصار اللفظ والثاني كون الهلاك والنجاة كانا من آمر مطاع اذ الامر يستدعي آمرا وقضاؤه يدل على قدرة الآمر وطاعة المامور ولا يحصل ذلك من اللفظ الخاص ومن شواهده في السنة قول الرسول صلى الله عليه وسلم حكاية عن بعض النسوة في حديث ام زرع زوجي كليل تهامة لا حر ولا برد ولا وخامة ولا سآمة فانها ارادت وصفه بحسن العشرة مع نسائه فعدلت عن لفظ المعنى الموضوع له الى لفظ التمثيل لما فيه من الزيادة وذلك تمثيلها الممدوح بليل تهامة الذي وصفته بانه معتدل فتضمن ذلك وصفا الممدوح باعتدال المزاج المستلزم حسن الخلق وكمال العقل اللذين ينتجان لين الجانب وطيب المعاشرة وخصت الليل بالذكر لما في الليل من راحة الحيوان وخصوصا الانسان لانه يستريح فيه من الكد والفكر ولكون الليل جعل سكنا والسكن الحبيب لاسيما وقد جعلته ليلا معتدلا بين الحر والبرد والطول والقصر وهذه صفة ليل تهامة لان الليل يبرد فيه الجو بالنسبة الى النهار مطلقا لغيبة الشمس وخلوص الهواء من اكتساب الحر فيكون في البلاد الباردة شديد البرد وفي البلاد الحارة معتدل البرد مستطابا فقالت زوجي مثل ليل تهامة وحذفت اداة التشبيه ليقرب المشبه من المشبه به وهذا مما يبين لك لفظ

التمثيل في كونه لا يجيء الا مقدرا بمثل غالبا ولا كذلك لفظ الارداف والا انظر الى قول صاحبتها في الارداف زوجي رفيع العماد فتجدها قد وصفته بصفة المبتدا والخبر لكون الخبر عن المبتدا لا مثله اذ لا يجوز ههنا تقدير مثل في الكلام لتعلم ان لفظ الارداف اقرب الى لفظ المعنى من التمثيل ومن شواهد التمثيل الشعرية قول الرماح بن ميادة

الم اك في يمنى يديك جعلتني فلا تجعلني بعدها في شمالكا

فان هذا الشاعر اراد ان يقول الم اكن قريبا منك فلا تجعلني بعيدا عنك فعدل عن هذا اللفظ الخاص الى لفظ التمثيل لما فيه من الزيادة في المعنى مما تعطيه لفظتا اليمين والشمال من الاوصاف التي لا تحصل الا بذكرهما وذلك لان اليمين اشد قوة من الشمال غالبا وهي اقرب الى الانسان من الشمال لانه بها ياخذ وبها يعطي وبها يبطش وهي مكرمة عنده قد اهلت لطعامه وشرابه واستغفاره واذكاره والشمال موهلة لاستنجائه واستنثاره ومهنة البنية واسم اليمين مشتق من اليمن وهو البركة واسم الشمال مشتق من الشوم وهو ضد البركة ولهذا احض الشارع صلى الله عليه وسلم على التيامن فقال الايمن لما اراد سقي ابي بكر رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم وهو على شمال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى يمينه اعرابي اسق الاعرابي الايمن فالايمن وقالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن حتى في وضوئه وانتعاله وقال عمرو

صددت الكاس عنا ام عمرو وكان الكاس مجراها اليمينا

وقال الله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وقال بعد ذلك واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم فكان هذا الشاعر قال للممدوح

الم اكن مكرماً عندك فلا تجعلني مهاناً لديك وكنت منك في المكان الشريف فلا
تنزلني في المنزل الوضيع ويلحق بهذا الباب ما يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر
كقوله تعالى ليس لها من دون الله كاشفة وقوله سبحانه وترى الجبال تحسبها جامدة
وهي تمر مر السحاب وقوله عز وجل صنع الله وقوله صبغة الله ومن احسن من
الله صبغة وقوله تبارك وتعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها الى كثير
من هذه الاي ومما جاء من ذلك في السنة قوله صلى الله عليه وسلم الحلال بين
والحرام بين وقوله عليه السلم لا ضرر ولا اضرار وقوله عليه الصلوة والسلم خير
الامور اوساطها وكقوله عليه السلم المومنون تتكافا دماوهم وقوله الناس
معادن وقوله عليه السلم المرء مع من احب وقوله المستشار موتمن وهو بالخيار
ما لم يتكلم وقوله صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون وجيها يوم القيمة وكقوله
عليه السلم لا يلدغ المومن من جحر مرتين وقوله السعيد من وعظ بغيره
وقد طوى كتاب ابي احمد العسكري رحمه الله من هذا الباب على بدايع من جوامع
الكلم لا يشق غبارها ولا يقتحم تيارها فمن اراد ذلك فعليه به ومن امثلة هذا
الباب الشعرية قول زهير

وهل ينبت الخطي الا وشيجه وتغرس الا في منابتها النخل

وكقول النابغة

ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب

وكقول بشار

فعش واحداً او صل اخاك فانه مقارف ذنب مرة ومجانبه
اذا انت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت واي الناس تصفو مشاربه

وكقول ابي تمام والنار قد تنتضى من ناضر السلم

وكقوله لسان المرء من خدم الفؤاد وكقوله

فلو صورت نفسك لم تزدها على ما فيك من كرم الطباع

وكقوله

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول

وقد استخرجت امثال ابي تمام من شعره فوجدتها تسعين نصفاً وثلثماية بيت
واربعة وخمسين بيتاً بعد استيعاب امثال المتنبي فوجدتها مائة نصف وثلثة
وسبعين نصفاً واربع مايه بيت وانا على عزم ان اخرج من امثال ابي الطيب ما
اخذه من امثال ابي تمام وامثال ابي نواس واجمعها واقدم قبلهما جميع ما
وقع من الامثال في الكتاب العزيز وقد امضيت والحمد لله هذا العزم وفرغت من
كتاب الامثال بزيادات على ذلك وهي امثال الاشعار الستة والحماسة وامثال
ابي نواس بعد ان تلوت امثال القران بامثال كلام سيد الاسلام السنة وختمت
الجميع بامثال العامة ليكون احماضاً يستروح اليه بعد الجد وقد اقترح علي
زيادات فيه لم اكملها الى الان ثم اكملتها بعد ذلك ومن امثلة هذا الباب
للمتنبي قوله انا الغريق فما خوفي من البلل

وقوله ليس التكحل في العينين كالكحل

ولقد احسن المعري حيث قال

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم والعذب يهجر للافراط في الخصر

باب ائتلاف اللفظ مع الوزن

قال قدامة هو ان تكون الاسماء والافعال تامة لم يضطر الشاعر الوزن الى
نقصها عن البنية ولا الى الزيادة فيها ولا يقدم منها المؤخر ولا يؤخر منها المقدم

ولا يدخل فيها ما يلتبس به المعنى ولم يأت قدامة بأمثلة في هذا الباب ولم يذكر
غير ذلك بل قال أعني قدامة كل شعر سليم من هذا الذي قدمت ذكره هو
مثال لهذا الباب لكنه أتى في عيوب الوزن بأمثلة يجب ذكرها هاهنا
ليعلم أن كل بيت جاء بضدها هو شاهد لهذا الباب كقول القائل يصف درعا

من نسج داود أبي سلام ۰

فإنه يريد سليمان لكون الوزن اضطره
إلى حذف الياء والنون من سليمان وتشديد اللام وتقديم الألف على الميم ومثل ذلك
قول الآخر

حتى إذا أخرجت على الكلكال

فإنه اضطره الوزن إلى زيادة ألف على بنية هذا الاسم ومثال ما اضطر الوزن فيه
إلى التقديم والتأخير قول الفرزدق

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبوه يقاربه

ويروى أبو أمه

فإن اضطرار الوزن حمله على رداءة السبك فحصل في الكلام تعقيد يمنع من فهم
معناه بسرعة ولو قال وما مثله إلا مملك أبوه يقارب خاله
لسهل مأخذه وقرب متناوله ومهما كان الشعر سليما من مثل هذا كان هو
الشعر الذي ائتلف لفظه مع وزنه ۰

باب ائتلاف المعنى مع الوزن

وهو أن تأتي المعاني في الشعر على صحتها لا يضطر الشاعر الوزن إلى قلبها عن وجهها
ولا إخراجها عن صحتها كقول عروة بن الورد

فأي لو شهدتنا بأسعاد غداة غدا بمهجته يفوق
فديت بنفسه نفسي ومالي وما آلوه إلا ما أطيق

في التهذيب الفواق ترجيع الشهقة
الغالبة تقول للذي يصيبه البهر
يفوق فواقا وفؤوقا أبو عبيد عن
الكسائي هو يفوق بنفسه فووقا
وهو يفوق نفسه نقلا عن
الأعرابي الفوق نفس الموت

فإنه أراد أن يقول فديت نفسه بنفسي ومالي فألجأته ضرورة الوزن إلى أن

قلب المعنى كما ترى ومهما كان الشعر سليما من مثل هذا كان الشعر الذي ائتلف
معناه مع وزنه ۰

باب ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت

وهو الذي سماه من بعد قدامة التمكين وهو أن يمهد الناثر لسجعة فقرة أو
الناظم لقافية بيته تمهيدا تأتي القافية به متمكنة في مكانها مستقرة في
قرارها مطمئنة في موضعها غير نافرة ولا قلقة متعلقا معناها بمعنى
البيت كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت من البيت اختل معناه واضطرب
مفهومه ولا يكون في أول البيت والكلام معنى إذا فهم علمت منه قافية البيت
بشرط أن يكون لفظ المعنى المتقدم من جنس لفظ المعنى المتأخر أو من لوازمه فإن
ذلك يسمى ترشيحا ولا يكون تمكنها بحيث يتقدم لفظها بعينه في أول صدر البيت
أو في أثناء الصدر ولا أن يفيد معنى زائدا بعد تمام معنى البيت فإن الأول يسمى
تصديرا والثاني إيغالا ولا يقال لشيء من ذلك تمكين البتة وقد جاء من ذلك في فواصل
الكتاب العزيز كل عجيبة باهرة ومنه قوله تعالى قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن
نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد
فإن هذه الآية الكريمة لما تقدم فيها ذكر العبادة والتصرف في الأموال كان
ذلك تمهيدا تاما لذكر الحلم والرشد لأن الحلم العقل الذي يصح به التكليف
والرشد حسن التصرف في الأموال ومن أمثلة هذا الباب الشعرية قول أبي تمام

ومن يأذن إلى الواشين تسلق مسامعه بألسنة حداد

وقوله أيضا في غير هذه القصيدة

مذاكي حلبة وشروب دجن وسامر فتية وقدور صاد

واعين ربرب كحلت بسحر واجساد تضمخ بالجساد

وقوله
محاسن ما زالت مساو من النوى تغطي عليها او مساو من الصد

وقوله ايضا
ابو موسى بن ابرهيم دعوة خامس به ظماء التثريب لطما الورد
اتاني مع الركبان ظن ظننته لففت له راسي حياء من المجد
اانبع هجر القول من لو هجوته اذا لهجاني بعض معروفه عندي
نسيت اذا كم من يد لك شاكلت يد القرب اعدت مستهاما على البعد
ومن زمن البستنيه كانه اذا ذكرت ايامه زمن الورد
وانك احكمت الذي بين فكرتي وبين القوافي من ذمام ومن عقد
واصلت شعري فاعتلى رونق الضحى ولولاك لم يظهر زمانا من الغمد

وكقول البحتري
فلم ار ضرغامين اصدق منكما عراكا اذا الهيابة النكس اكذبا
حملت عليه السيف لا عزمك انثنى ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

منها
وكنت متى تجمع يمينك تهتك الضريبة او لا تبق للسيف مضربا

ومنها
النت لي الايام من بعد قسوة وعاتبت لي دهري المسيء فاعتبا
والبستني النعمى التي غيرت اخي علي فامسى نازح الود اجنبا
فلا فزت من مر الليالي براحة اذا انا لم اصبح بشكرك متعبا

وكقول المتنبي
يا من يعز علينا ان نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم
ان كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح اذا ارضاكم الم
وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة ان المعارف في اهل النهى ذمم

ومنها
لئن تركن ضميرا عن ميامننا ليحدثن لمن ودعتهم ندم

اذا ارتحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم

ولم نسمع لمتقدم شعرا اشد تمكين قواف من قول النابغة الذبياني
كالاقحوان غداة غب سمائه جفت اعاليه واسفله ند
زعم الهمام ولم اذقه بانه يروى بريقته من العطش الصدي

ورايت ابن رشيق في العمدة قد استشهد على هذا الباب بقول البحتري
اخيال علوة كيف زرت وبيننا ارق يشرد بالخيال الزائر
طيفا الم بنا ونحن بمهمه قفر يشق على المليم الخاطر
افضى الى شعث تطير كراهم روحات عيس كالقسي ضوامر
حتى اذا نزعوا الدجى وتسربلوا من فضل هلهلة الصباح النائر
ورنوا الى شعب الرجال باعين يكسرن من نظر النعاس الفاتر
اهوى فاشعف بالتحية خلسة والشمس تلمع في جناحي طائر
سرنا وانت مقيمة ولربما كان المقيم علاقة للسائر

ولم ينبه منها على ما هو من شواهد هذا الباب وما هو من شواهد غيره وساقها كما سقتها وعليها كلام لا يسع هذا الموضع ذكره ٥

باب التوشيح

سمي هذا الباب توشيحا لكون معنى اول الكلام يدل على لفظ آخره فيتنزل المعنى منزلة الوشاح ويتنزل اول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح وهذا الباب مما فرعه قدامة ايضا من ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت وقال هو ان يكون في اول البيت معنى اذا علم علمت منه قافية البيت بشرط ان يكون المعنى المقدم بلفظه من جنس معنى القافية بلفظه او من

لوازم لفظه ومن ذلك في الكتاب العزيز قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل
ابرهيم وآل عمران على العالمين فان معنى اصطفاء المذكورين تعلم منه الفاصلة
اذ المذكورون نوع من جنس العلمين ٥ وكقول الراعي النميري

فان وزن الحصى فوزنت قومي ... وجدت حصى ضريبهم رزينا

فان السامع اذا فهم ان الشاعر اراد المفاخرة برزانة الحصى وتحقق ان القافية
مجردة مطلقة رويها النون وحرف اطلاقها الف وراى في صدر البيت ذكر
الرزانة تحقق ان القافية تكون رزينا ليس الا ومن عجايب امثلة هذا الباب ما
حكي عن عمر بن ابي ربيعة المخزومي انه انشد عبد الله بن العباس رضي الله عنه

تشط غدا دار جيراننا ... فقال له عبد الله
وللدار بعد غد ابعد ... فقال عمر هكذا والله قلت

فقال له ابن العباس وهكذا يكون ٥ ويقرب من هذه القضية قضية عدي بن
الرقاع العاملي حين انشد الوليد عبد الملك بحضرة جرير والفرزدق كلمته التي مطلعها

عرف الديار توهما فاعتادها ... حتى انتهى الى قوله
تزجي اغن كان ابرة روقه ... ثم شغل الوليد عن الاستماع فقطع عدي

الانشاد فقال الفرزدق لجرير ما تراه يقول فقال جرير اراه يستلب بها مثلا
فقال الفرزدق يا لكع انه سيقول ... قلم اصاب من الدواة مدادها

فلما عاد الوليد الى الاستماع وعاد عدي الى الانشاد قال

قلم اصاب من الدواة مدادها ... فقال جرير للفرزدق اكان

سمعك مخبوا في صدره فقال الفرزدق شغلني سبك عن جيد الكلام فقال
الفرزدق والله لما سمعت صدر بيته رحمته فلما انشد عجزه انقلبت الرحمة حسدا
وعندي ان بين ابن العباس رضي الله عنه وبين الفرزدق في استخراجهما العجز

كما بينهما في مطلق الفضل في كل فن لان بيت عدي من جملة قصيد تقدم سماع
مطلعها قد علم انها دالية مردفة بالف موصولة مخرجة بالف من وزن معروف
تقدم في صدر البيت ذكر ظبية تشوق خشفا لها قد اخذ الشاعر في تشبيه طرف
قرنه مع العلم بسواده ما دل على عجز البيت بحيث يسبق السامع هو دون الفرزدق من
حذاق الشعراء وبيت عمر بيت مفرد لم تعلم قافيته من اي ضرب هي من القوافي
ولا رويه من اي الحروف ولا حركة رويه من اي الحركات فاستخراج عجزه ارتجالا
في غاية العسر ونهاية الصعوبة لولا ما امد الله تعالى به هولاء القوم من المواد التي
فضلوا بها غيرهم ومن حذق عبد الله بن العباس رضي الله عنهما ودقيق معرفته باختيار
الكلام جعله قافية العجز الذي اتى به ابعد ولم يجعلها انزح وكان ذلك بمكانه
لكون ابعد اسرع ولوجا في السمع واسبق الى الذهن وادخل في القلب واكثر
استعمالا واعرف عند الكافة وبها جاء القران العزيز دون انزح وهي اخف على
اللسان واولى بالبيان ٥ وربما اختلط التوشيح بالتصدير لكون كل منهما
يدل صدره على عجزه والفرق بينهما ان دلالة التصدير لفظية ودلالة التوشيح
معنوية والفرق بين التوشيح والتمكين ان التوشيح لا بد ان تتقدم القافية معنى
يدل عليها ولا كذلك التمكين ولا تكون كلمة التوشيح الا في اول الصدر
وان لم تكن كذلك فلا توشيح والله اعلم ٥

باب الايغال

سمي هذا النوع ايغالا لان المتكلم او الشاعر اوغل في الفكر حتى استخرج سجعة او
قافية تفيد معنى زايدا على معنى الكلام واصله من الايغال في السير وهو السرعة
فان الايغال في السير يدخل السائر في المكان الذي يقصده بسرعة يقال اوغل

في الارض الفلانية اي بلغ منتهاها او ما قاربه فكان المتكلم قد تجاوز حد المعنى الذي هو
آخذ فيه وبلغ الى زيادة عن الحد كما ان من دخل العريش مثلا من ارض مصر فقد دخل مصر
فاذا اوغل في مصر فوصل الى الصعيد يقال قد اوغل في مصر لتجاوزه الحد بالزيادة
عليه فكذلك المتكلم اذا اتم معناه ثم تعداه عند الاتيان بسجعته او قافيته بزيادة
عليه فقد اوغل في ذلك المعنى ولا يكون موغلا حتى ينتهي معناه الى آخر البيت وهذا
الباب مما فرعه قدامة ايضا من ائتلاف القافية مع ما يدل عليه ساير البيت
وفسره بان قال هو ان يستكمل الشاعر معنى بيته بتمامه قبل ان ياتي بقافيته فاذا
اراد الاتيان بها ليكون الكلام شعرا افاد بها معنى زايدا على معنى البيت نحو قول ذي الرمة

قف العيس في اثار مية واسال رسوما كاخلاق الرداء المسلسل

فتم كلامه قبل القافية فلما احتاج اليها افاد بها معنى زايدا وكذلك صنع في
البيت الثاني حيث قال

اظن الذي يجدي عليك سؤالها دموعا كتبذير الجمان المفصل

فانه تم معنى كلامه بقوله كتبذير الجمان واحتاج الى القافية فاتى بها تفيد معنى زايدا
لو لم يات بها لم يحصل وقد حكي عن الاصمعي انه سئل عن اشعر الناس فقال الذي ياتي الى
المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا او الى الكبير فيجعله خسيسا او ينقضي كلامه قبل
القافية فان احتاج اليها افاد بها معنى فقيل له نحو من فقال نحو الفاتح لابواب المعاني
امرئ القيس حيث قال

كان عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذي لم يثقب

فان عيون الوحش غير مثقبة ونحو زهير حيث يقول

كان فتات العهن في كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم

فان حب الفنا احمر الظاهر ابيض الباطن فهو لا يشبه الصوف الاحمر الا ما لم يحطم

وقد يكون الايغال تتميما كبيتي امرئ القيس وزهير ولكن ذلك لا يسمى الا ايغالا لانتهاء
المعنى الى آخر البيت وهذا ايغال الاحتياط والايغال الذي ليس بتتميم في بيتي ذي
الرمة وهو ايغال المبالغة واعظم ما وقع في هذا الباب قول الخنساء

وان صخرا لتاتم الهداة به كانه علم في راسه نار

وعندي ان هذا البيت لو افرد بالتمثيل في هذا الباب لاغنى عن ما ساقه قدامة في
باب ائتلاف القافية مع ما يدل عليه ساير البيت من بابي التوشيح والايغال لان
صدره يدل على عجزه دلالة التوشيح ومعنى جملة البيت كامل دون قافيته وفيه
بوجودها زيادة لم تكن له قبلها فان هذه المراة لم ترض لاخيها بان ياتم به عامة الناس
حتى جعلته ياتم به ايمة الناس وهذا تتميم ادمج في صدر لفظ التوشيح ولم ترض
تشبيهه بالعلم وهو الجبل حتى المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت في راسه نارا
واذا وصلت الى بلاغة القران العزيز وصلت الى الغاية القصوى وذلك قوله
تعالى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فان المعنى قد تم بقوله سبحانه ولا تسمع
الصم الدعاء ثم اراد وهو اعلم تمام الكلام بالفاصلة فقال اذا ولوا مدبرين
فان قيل فما معنى مدبرين وقد اغنى عنها قوله اذا ولوا قلت لا يغني عنها
قوله ولوا فان التولي قد يكون بجانب دون جانب بدليل قوله تعالى اعرض وناى
بجانبه وان كان ذكر الجانب هاهنا مجازا ولا شك انه سبحانه لما اخبر عنهم انهم
صم لا يسمعون اراد تتميم المعنى بذكر توليهم في حال الخطاب لينفي عنهم الفهم
الذي يحصل من الاشارة فان الاصم يفهم بالاشارة ما يفهمه السميع بالعبارة ثم علم ان
التولي قد يكون بجانب من المتولي فيجوز ان يلحظ بالجانب الذي لم يتول به فيحصل له ادراك
بعض الاشارة فجعل الفاصلة مدبرين ليعلم ان التولي كان بجميع الجوانب بحيث
صار ما كان مستقبلا مستدبرا فاحتجب المخاطب عن المخاطب او صار من ورايه

نحيت عن عينه الاشارة كما صم اذناه عن العبارة فحصلت المبالغة في عدم الاستماع بالكلية وجاء في الكلام ايغال حسن بعد تتميم ولقد احسن ابن المعتز في قوله لابن طباطبا العلوي

فانتم بنو ابنته دوننا ونحن بنو عمه المسلم

فانه اعطى بني عمه حقهم من الشرف واعترف لهم من فضل الابوين بما اعترف ثم فطن الى انه ان اقتصر على ذلك فضلهم على بنيه فتحيل على المساواة اذ لا طريق له الى التفضيل بان قال ونحن بنو عمه المسلم فجعل هذه الفضيلة قبالة تلك وهذا القسم من الايغال يحسن ان يسمى ايغال التخيير فانه تخير من القوافي التي تفيد الايغال قافية يكون بها تفيده موفيا بمقصوده من غير معارضة فانه لو قال بنو عمه الافضل لكونه مسلما عوضا عن حمزة رضي الله عنه وهو ايغال الاحتياط لكونه متمما للمعنى وقد ذهب بعض النقاد الى انه بهذا الايغال اراد الاستدلال على استحقاق بني العباس الخلافة وسوى بين بيته وبين مروان بن ابي حفصة وهو قوله

اني يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الاعمام

وبين البيتين بون بعيد في الجودة وصحة المعنى فان بيت ابن المعتز اقصر وزنا واوضح معنى واعذب الفاظا واوجز جملا واخف محملا مع ما وقع فيه من التلطف لبلوغ الغرض من غير مجاهرة بغلط ولا مواجهة بمضض فاما صحة معناه بالنسبة الى بيت مروان فمن جهة ان مروان زعم ان بني الاعمام احق بالارث من بني البنات فاخذ بعموم الاستدلال وذهل عن ان هذه القضية التي هو اخذ فيها خارجة من هذا العموم لان بني علي عليه السلم بنو بنات وبنو اعمام وما ذكره مروان لا يتناول الا من لم يكونوا بني اعمام من بني البنات فاما من يمت بالقربى من طرفيه ويدلي بالاستحقاق من جهة ابويه فخارج عما ذكر فان قيل بنو البنات اذا كانوا بني اعمام كانت هذه المزية وهولاء بنو بنات وبنو ابن

عم وبنو العم مقدمون على اولاد ابن العم قلت نعم اذا كان العم وارثا واذا كان المتنازع فيه مما يورث والمتنازع فيه هو الخلافة وهي لا تورث والعباس رضي الله عنه لم يرث هو ولا غيره من النبي صلى الله عليه وسلم شيا وما يستكثر مثل هذا الجهل من مروان وهو يقول في هذه الابيات للرشيد

يا ابن الذي ورث النبي محمدا دون الاقارب من ذوي الارحام

فليت شعري ما الذي ورثه العباس رضي الله عنه من النبي صلى الله عليه وسلم دون ذوي رحمه وكيف يقال ان رسول الله يورث وهذا افضل الصحابة رضي الله عنهم وافقههم يحتج على فاطمة عليها السلم في امر فدك والعوالي بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة فان كان النبي عليه السلم يورث فلم منعت فاطمة ما ادعته وان كان لا يورث فلم يدعي هذا الجاهل ان العباس ورثه دون ذوي رحمه واهل الحديث يروون ان ابا بكر اعطى عليا عمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيفه دون العباس فهذا فساد المعنى اذا حمل قوله على ارادة ما يورث من التراث وان حمل على انه اراد الخلافة فالخلافة لا تورث ولو نزلنا على انها تورث عن النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرثها عنه بحكم المجاز الا ابو بكر وان اراد الامارة فقد صارت لعلي وابنه الحسن ولجماعة بني امية قبل مصيرها الى بني العباس ولم ينقل مسلم ان العباس رضي الله عنه سمي للخلافة ولا ذكرت له ولا ادعاها احد فيه كما ادعيت في غيره وكيف وقد جاء العباس لعلي قبل دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له امدد يدك ابايعك فيقول الناس عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله فلا يختلف عليك اثنان ثم لم يقنع مروان بهذا حتى قال

ما للنساء مع الرجال فريضة نزلت بذلك سورة الانعام

فما ادري على ماذا احسده اعلى معرفته بالفرائض ام على حفظه للقرآن وما اعلم من
اين في سورة الانعام ذكر شيء من الفرائض او حكم من احكام المواريث او ذكر نسب
او شيء مما يقارب هذا الشان وليتني اعرف في اي موضع من القرآن ذكر ان النساء
لا فريضة لهن مع الرجال اللهم الا ان يقول اردت بالنساء البنات اللاتي لا فريضة لهن
مع الاعمام فنقول ومن قال ان البنات لا فريضة لهن وانما اولادهن لا فريضة لهن
مع الاعمام في ارث المال وما يصح ان يورث ممن يصح ان يورث واما النبي عليه السلم
فانه لا يورث ولم يرثه عمه فيقال هذا ومن يقع في مثل هذا لا يستعظم منه خطاؤه
في البيت الذي ذكرناه له اولا هذا الفساد من جهة المعنى واما من جهة اللفظ
فان بيت ابن المعتز من مخلوف المتقارب حروفه ستة وثلثون حرفا وبيت مروان
من مقطوع الكامل حروفه اثنان واربعون حرفا الى سهولة سبكه وجودة تركيبه
وايجاز جمله وخفة مفرداته وكثرة استعمال كلماته فاعتبروا يا اولي الابصار
ولم ار من امثلة هذا الباب مثل بيت من ابيات الحماسة اغفله النقاد وهو

وما شنتا خرقاء واهيتا الكلى سقى بهما ساق ولما تبللا
باضيع من عينيك للدمع كلما توسمت دارا او ترسمت منزلا

والبيت الاول اردت فانه وقع الايغال فيه بعد ثلث جمل في كل جملة تتميم
الاولى شنتا فان الشنة المزادة العتيقة واضافهما الى خرقاء التي هي ضد
الصناع يريد ان خرزهما غير محكم فهما يضيعان الماء ابدا فسار ذلك تتميما
ثم قال بعد ذلك واهيتا الكلى اي كلاهما مخروقتان ثم اوغل بقوله سقى بهما ساق
ولما تبللا فان المزادة اذا ابتلت تمدد اديمها وانتفخت سيورها واشتد
اكثر ثقوبها واذا كانت يابسة عدمت ذلك كله فكانت للماء اضيع منها
وهي مبتلة ثم في مجموع البيتين بعد ذلك تفريع حسن وستعلم حقيقة التفريع

في بابه فتفقد ما وقع في هذين البيتين منه تجده ومن اعجب ايغال وقع في
الشعر قول عبد الله بن الزبير الاسدي

هما خطتا خسف نجاؤك منهما ركوبك حوليا من الثلج اشهبا

فان هذا البيت وقع فيه الاستعارة والتورية والترشيح والايغال فالاستعارة
في قوله ركوبك فانه استعار الركوب للمسافر في الثلج لاحتياج المسافر
للركوب والتورية في قوله حوليا ولو لم يرشح بلفظة الركوب لما حصلت
التورية في لفظة حولي ورشح بمجموع الاستعارة وله الايغال اذ لو لم يذكر
الركوب والحولي لما حسن ان يقول اشهبا فوقع في لفظة اشهب التورية
والتشبيه بغير اداة مدمجين في الايغال وقد وقع من الايغال في الكتاب العزيز
قوله تعالى افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون فان الكلام
تم بقوله تعالى ومن احسن من الله حكما ثم احتاج الكلام الى فاصلة تناسب
القرينة الاولى فلما اتى بها افاد مجيئها معنى زائدا والفرق بين التتميم والايغال
من ثلثة اوجه احدها ان التتميم لا يرد الا على كلام ناقص شيئا ما اما حسن
معنى او ادبا او ما اشبه ذلك كالبيت الذي تقدم فان المعنى بدون قوله ويعطوه ناقص
والايغال لا يرد الا على معنى تام من كل وجه والثاني اختصاص الايغال بالمقاطع
دون الحشو مراعاة لاشتقاقه فان الموغل في الارض هو الذي قد بلغ اقصاها او قارب
بلوغه فلما اختص الايغال بالطرف لم يبق للتتميم الا الحشو والثالث ان الايغال لا
بد وان يتضمن معنى من معاني البديع والتتميم قد يتضمن وقد لا يتضمن وقد يتضمن الايغال
التشبيه والمبالغة حتى لو قيل انه لا يتعدى هذين الضربين لكان حقا والتتميم يتضمن
طورا المبالغة ويكون حينا للاحتياط ويأتي مرة غير متضمن شيئا سوى تتميم نقص ذلك
المعنى والله اعلم ٥ تمت ابواب قدامة بتمام هذا الباب بعد ابواب

التورية صح

ابن المعتز وجميعها ثلثون بابا وهي الاصول ومن هاهنا نبتدئ في سياقة ابواب
المتاخرين بعدهما فاولها

باب الاحتراس

وهو ان ياتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه دخل فيفطن له فياتي بما يخلصه من ذلك والفرق
بين الاحتراس والتكميل والتتميم ان المعنى قبل التكميل صحيح تام ثم ياتي التكميل
بزيادة يكمل بها حسنه اما بفن زايد واما بمعنى والتتميم ياتي ليتمم نقص المعنى ونقص
الوزن معا والاحتراس احتمال دخل على المعنى وان كان تاما كاملا ووزن
الكلام صحيحا وقد جعل ابن رشيق الاحتراس نوعا من التتميم وسوى بينهما وقد
ظهر الفرق بينهما فجعلهما في باب واحد غير سايغ والفرق بينه وبين المواربة
بالراء المهملة ايضا ان الاحتراس يوتى به وقت العمل عندما يفطن المتكلم لموضع
الدخل والمواربة يوتى بها وقت العمل وبعد تيسير وزن الكلام والمواربة بالراء المهملة
تكون بالتصحيف والتحريف واهدام الكلمة والزيادة والنقص والاحتراس بزيادة
الجمل المفيدة المتضمنة معنى الانفصال عما يحتمله الكلام من الدخل والمواربة تكون في
نفس الكلام وتكون منفصلة عنه والاحتراس لا يكون الا في نفس الكلام وسياق
بيان المواربة وامثلتها في بابها والفرق بين الاحتراس والمناقضة والانفصال
ان الاحتراس هو ما فطن له الشاعر او الناثر وقت العمل فاحترس منه والانفصال
ما لم يفطن له حتى يدخل عليه فياتي بجملة من الكلام او ببيت من الشعر ينفصل به عن ذلك
الدخل والفرق بين المواربة والانفصال ان المواربة تكون فيما تقدم في كلام من الكلام
او في كلام منفصل عنه والانفصال لا يكون الا ببيت مستقل او جملة منفردة
على سياق الكلام متعلقة به داخلة فيه ومن امثلة الاحتراس في الكتاب العزيز

قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين فانه تعالى لما اخبر بهلاك من هلك بالطوفان
اعقبه بالدعاء على الهالكين ووصفهم بالظلم ليعلم ان جميعهم كان مستحقا للعذاب
احترسا من ضعيف يتوهم ان الهلاك لعمومه ربما شمل من لا يستحق العذاب
فلما دعا على الهالكين ووصفهم بالظلم علم استحقاقهم لما نزل بهم وحل بساحتهم
وظهر من ذلك صدق وعده لنبيه نوح عليه السلم واعلمنا انه قد انجز وعده
الذي قال له فيه ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون واعجب احتراس وقع في
كتاب الله الكريم قوله سبحانه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر
فانه تبارك وتعالى لما نفى عن رسوله وحبيبه صلى الله عليه وسلم ان يكون بالمكان
الذي قضى فيه لموسى عليه السلم الامر عرف المكان بالجانب الغربي ولم يقل في هذا
الموضع كما قال في الاخبار عن موسى عليه السلم وناديناه من جانب الطور الايمن
ادبا مع نبيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ان ينفي عنه كونه بالجانب الايمن
ولما اخبر عن موسى عليه السلم ذكر الجانب الايمن تشريفا لموسى عليه السلم
فالمح لطيف هذا الاحتراس من بلاغة الكتاب العزيز جل المتكلم به ومثال
الاحتراس من السنة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان احدى النسوة من حديث
ام زرع حيث وصفت زوجها فقالت المس مس ارنب والريح ريح زرنب
واغلبه والناس يغلب فقولها والناس يغلب احتراس حسن لانها لو سكتت على
قولها واغلبه لقيل لها ان رجلا تغلبه امراة لمغلب ضعيف فاحترست من ذلك
فقالت والناس يغلب فما ثبتت بين قرابها بجملة تتضمن معنى الاحتراس مما يتوجه
على معنى المدح من الدخل الذي ينقص به المعنى فحصل في الكلام احتراس مدمج في موضع
ايغال ومتى وقع الاحتراس او التتميم في موضع الايغال او هم انه ايغال فيجب ان
يعرف ان الايغال كون القافية تفيد الكلام معنى زايدا بعد تمام معناه وصحته

والايغال يفارق التكميل بأمرين مجيئه في القافية فقط واختصاصه بالمعاني دون
الفنون والله اعلم ومن امثال هذا الباب الشعرية قول الخنساء في اخيها صخر

ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي

ثم تخيلت ان قائلا قال فقد ساويت حالك بحال الهالكين من اخوان الناس فكيف
افرطت في الجزع عليه دونهم فاحترست من ذلك بقولها

وما يبكون مثل اخي ولكن اعزي النفس عنه بالتأسي

باب المواربة براء مهملة

وهي من ورب العرق بفتح الواو والراء اذا افسد فهو ورب بكسر الراء فكان المتكلم
افسد مفهوم ظاهر الكلام بما ابداه من تاويل باطنه وحقيقتها ان يقول المتكلم قولا
يتضمن ما ينكر عليه بسببه فيعلم ما يتخلص به منه هذا ان فطن له وقت العمل والا
ان يجد حين يجبه بما يخلصه منه من جواب حاضر او حجة بالغة او تصحيف كلمة او
تحريفها او زيادة في الكلام او نقص او نادرة معجبة او طرفة مضحكة فاما شاهد ما
وقع من المواربة بالتحريف فقول عتبان الحروري

فان يك منكم كان مروان وابنه وعمرو ومنكم هاشم وحبيب
فمنا حصين والبطين وقعنب ومنا امير المومنين شبيب

فانه لما بلغ الشعر هشاما وظفر به قال له انت القائل ومنا امير المومنين شبيب
فقال لم اقل كذا وانما قلت ومنا اميرَ المومنين شبيب فتخلص بفتحة الراء بعد
ضمها وهذا الطف مواربة وقعت ودونها قول نصيب

اهيم بدعد ما حييت فان امت فواكبدي من ذا يهيم بها بعدي

وقيل له اهتممت بمن يفعل بها بعدك فقال لم اقل كذا وانما قلت فواكبدي ممن يهيم

بها بعدي فتخلص بابدال كلمة من كلمة وهذا واشباهه يحتمل ان يكون الدخل وقع
فيه للشاعر وقت العمل ويحتمل ان لا يكون وقع له وان تجل التخلص عند سماعه والذي
لا يحتمل ان يكون فطن له حتى قيل له قول الاخطل

لقد اوقع الجحاف بالبشر وقعة الى الله منها المشتكى والمعول
فان لا تغيرها قريش بملكها يكن عن قريش مستمار ومزحل

فقال له عبد الملك بن مروان الى اين يا ابن اللخناء فقال الى النار فضحك منه وسكت
عنه فتخلص بهذه النادرة وقد تكون المواربة من غير هذين النمطين كقول علي عليه
السلم للعباس بن مرداس حين انشد رسول الله صلى الله عليه وسلم

اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع
وما انا دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي اقطع لسانه عني فقبض علي عليه
السلم على يده وخرج به فقال اقاطع انت لساني يا ابا الحسن فقال اني لممض فيك
ما امرت فهذه احسن مواربة سمعتها في كلام العرب ثم مضى به الى ابل الصدقة فقال
خذ ما احببت او كما قال ٥ ومن المواربة متصل ومنفصل وقد اتينا بامثلة القسمين
فالمتصل منها ما كان تخلصه في نفس الكلام والمنفصل ما كان التخلص فيه بكلام
اخر كالذي تقدم لعلي عليه السلم والاخطل ومن اوضح امثلته قصة كثير مع عبد
الملك بن مروان وقد انشده

على ابن ابي العاصي دلاص حصينة اجاد المسدي سردها فاذالها

فقال له عبد الملك قول الاعشى في صاحبه خير من قولك هذا في حيث يقول

كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلما ابطالها

فقال الاعشى وصف صاحبه بالخرق ووصفتك بالحزم ٥

باب الترديد

وهو أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ثم يردها بعينها ويعلقها بمعنى آخر كقول الله سبحانه وتعالى حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالاته فالجلالة الاولى مضاف اليها والثانية مبتدأ بها وقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ومن الترديد نوع يسمى الترديد المتعدد وهو ان يردد حرف من حروف المعاني اما مرة او مرارا وهو الذي يتغير فيه مفهوم المسمى لتغيير الاسم اما لتغاير الاتصال او تغاير ما يتعلق بالاسم ومثال هذا النوع قوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم فان اتصال من بضمير المخاطبين والغايبين في الموضعين مع ما تضمنته من معنى الشرط اصارت المومنين كافرين عند وقوع الشرط وقد يردد حرف الجر في الجملة من الكلام والبيت من الشعر مرارا عدة في جمل متغايرة المعاني ومثاله قول الشاعر

يريك في الروع بدرا لاح في غسق في ليث عريسة في صورة الرجل

وربما كان المتردد غير حرف الجر كحرف النداء او غيره ومثاله قول المتنبي

يا بدر يا بحر يا غمامة يا ليث الشرى يا حمام يا رجل

ومثال المتردد من الجمل غير المتعدد قول ابي نواس

صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء

فقوله مسها مسته ترديد حسن وقد يلتبس الترديد الذي ليس بمتعدد من هذا الباب بباب التعطف والفرق بينهما ان هذا النوع من الترديد يكون في احد قسمي البيت وفيهما معا مرة ولا تكون احدى الكلمتين في قسم والاخرى في آخر والمراد

بقربهما ان تحقق الترديد والتعطف وان كان ترديد الكلمة بعينها فهو لا يكون الا متباعدا بحيث تكون كل كلمة في قسم والترديد يتكرر والتعطف لا يتكرر والترديد يكون بالاسماء المفردة والجمل المؤتلفة والحروف والتعطف لا يكون الا بالجمل غالبا والفرق بين الترديد والتكرار ان اللفظة التي تتكرر في التكرار لا تفيد معنى زائدا بل الاولى هي عين الثانية وبالعكس واللفظة التي تردد تفيد معنى غير معنى الاولى منهما والله اعلم واشتقاقهما مشعر بذلك لان الراد من وجهه لا يبلغ الى الموضع الذي اراده والكار هو الذي انتهى الى الموضع المراد وكر راجعا ومنه الكر والفر وقول امرئ القيس مكر مفر فانه لا يكر الا بعد الفرار وبيت ابي نواس الذي قدمناه مما جاء الترديد في عجزه دون صدره واما ما جاء في الصدر دون العجز فكقول ابي تمام

ديار نوار ما ديار نوار كستوك شجوا هن منه عوار

ومثال ما جاء في الصدر والعجز معا قول ابي نواس

قل لمن ساد ثم ساد ابوه قبله ثم قبل ذلك جده

ومن الترديد نوع آخر يسمى ترديد الحبك ويسمى بنية المحبوك وهو ان تبنى البيت من جمل يردد فيه كلمة من الجملة الاولى في الجملة الثانية وكلمة من الثالثة في الرابعة بحيث يكون كل جملتين في قسم والجملتان الاخيرتان غير الجملتين الاولتين في الصور والجمل كلها سواء في المعنى كقول زهير

يطعنهم ما ارتموا حتى اذا اطعنوا ضارب حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا

فقد ردد كلمة من الجملة الاولى في الجملة الثانية وردد كلمة من الجملة الثالثة في الجملة الرابعة ثنتان في كل قسم وكل جملتين متفقتان في الصورة غير انهما مختلفتان اذا نظرت الى كل قسيم وجملته وان اشتركا في المعنى فان صورة

الطعن غير صورة الضرب ومعنى الجميع واحد وهو الحماسة في الحرب والبيت أعني بيت زهير مع كونه من شواهد الترديد المحبوك فانه يصلح ان يكون من شواهد صحة التقسيم لانه استوفى فيه اقسام حالات المحارب وان جاءت صحة التقسيم مدمجة في الترديد والله اعلم ٥

باب التعطف

وقد سماه قوم المشاكلة قد تقدم ان التعطف كالترديد في اعادة اللفظة بعينها في البيت وان الفرق بينهما بموضعهما وباختلاف المتردد وبينت ان التعطف لا بد وان تكون احدى كلمتيه في مصراع والاخرى في المصراع الاخر ليشبه مصراعا البيت في انعطاف احدهما على الاخر بالعطفين في كون كل عطف منهما يميل الى الجانب الذي يميل اليه الاخر ومن امثلته قول زهير

من يلق يوما على علاته هرما يلق السماحة منه والندى خلقا

وكقول عقيل علفة

فتى كان مولاه يحل بنجوة فحل الموالي بعده بمسيل

وكقول ابي تمام

فلقيت بين يديك حلو عطائه ولقيت بين يدي مر سؤاله

وكقول المتنبي

فساق الي العرف غير مكدر وسقت اليه المدح غير مذمم

وهذا البيت افضل بيت سمعته في هذا الباب فانه انعطفت فيه ثلث كلمات من صدره على ثلث كلمات من عجزه ففيه بهذا الاعتبار ثلث تعطفات وذلك قوله فساق فانها انعطفت على قوله في العجز وسقت وقوله الي فانها انعطفت على قوله

في العجز اليه وقوله غير فانها انعطفت على قوله في العجز غير ثم في البيت من المناسبة ما لم يتفق في بيت غيره فان كل لفظة في صدره على الترتيب وزن كل لفظة في عجزه وكل جملة كقوله فساق وسقت والي واليه والعرف والمدح وغير وغير ومكدر ومذمم فهذه مفردات الالفاظ واما الجمل المركبة منها فانظر الى قوله فساق الي وسقت اليه والعرف والشكر وغير مكدر وغير مذمم ولم ار مثل هذا اتفق الا لابي تمام في البيت الذي قدمته على هذا البيت لانه يساوي بيت المتنبي في التعطفات الثلث والمناسبة الناقصة وفضله بيت ابي تمام بالمناسبة التامة والطباق وله فضيلة السبق فثبت له التقدم هذا وقد اتى به توطية لقوله

واذا امرؤ اسدى اليك صنيعة من جاهه فكانها من ماله

وقد جاء من التعطف في الكتاب العزيز قوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون فاتى التعطف في هذه الاية الكريمة في موضعين وكذلك جاء في قوله سبحانه واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وكقوله سبحانه وهم عن الاخرة هم غافلون والله اعلم

باب التفويف

اشتقاق التفويف من الثوب الذي فيه خطوط بيض واصل الفوف البياض في اظفار الاحداث والحبة البيضاء في النواة وهي التي تنبت منها النخلة والفوفة القشرة البيضاء التي تكون على النواة والفوف للشيء والفوف القطع القطن وبرد مفوف اي رقيق فكان المتكلم خالف بين جمل المعاني في التفويف كمخالفة البياض لساير الالوان لان بعده من ساير الالوان اشد من بعد بعضها من بعض اذ هو بسيط بالنسبة

اليها وكلما تركب بالنسبة اليه لانه قابل لجميع الالوان وجميع الالوان يقبل التغير
الى لون آخر بحسب التركيب والشدة والضعف الا السواد فانه لا يقبل تركيبا البتة
فهو ضد البياض ونقيضه ولا جرم ان الجمع بينهما في الكلام يسمى مطابقة بخلاف
بقية الالوان والتفويف في الصناعة عبارة عن اتيان المتكلم بمعان شتى من المديح
او الغزل او غير ذلك من الفنون والاغراض كل فن في جملة من الكلام منفصلة
من اختها بالتجميع غالبا مع تساوي الجمل في الوزنية ويكون بالجمل الطويلة او
المتوسطة والقصيرة فمثال ما جاء منه بالجمل الطويلة قول النابغة الذبياني

فلله عينا من رأى اهل قبة اضر لمن عادى واكثر نافعا
واعظم احلاما واكبر سيدا وافضل مشفوعا اليه وشافعا

واحسب ان اول من نطق بالتفويف المركب من الجمل الطويلة عنترة فقال

ان يلحقوا اكرر وان يستلحموا اشدد وان يلقوا بضنك انزل

ومثال ما جاء منه بالجمل المتوسطة قول ابي الوليد بن زيدون

ته احتمل واحتكم اصبر وعز اهن ودل اخضع وقل اسمع ومر اطع

ومثال ما جاء منه بالجمل القصيرة قول المتنبي

اقل انل احمل اقطع عل سل اعد زد هش بش تفضل ادن سر صل

وقد جاء من التفويف المركب من الجمل الطويلة في الكتاب العزيز قوله تعالى الذي
خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني
ثم يحيين والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وفي الجمل المتوسطة قوله سبحانه
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ولم يات من الجمل القصيرة شيء في فصيح الكلام ٥

باب التسهيم

هو من الثوب المسهم وهو الذي يدل احد سهامه على الذي يليه لكون لونه يقتضي
ان يليه لون مخصوص له لمجاورة اللون الذي قبله او بعده ظهور ليس له مثله
بمجاورة غيره من الالوان وهذا الباب عرفه من تقدمني بان قال هو ان يكون
ما تقدم من الكلام دليلا على ما يتلوه ورأيت هذا التعريف وان راعى فيه الاشتقاق
لا يخص هذا الباب من البديع بل يدخل معه غيره والذي عندي ان هذا الباب من
مشكلات هذا الفن ويصلح بان يعرف بقول القائل هو ان يتقدم من الكلام ما يدل
على ما يتاخر منه او يتاخر منه ما يدل على ما تقدم تارة بمعنى واحد وبمعنيين وطورا جوب
باللفظ كابيات اخت عمرو ذي الكلب فان الحذاق ببنية الشعر وتاليف النثر
يعلمون ان معنى قولها   فاقسم يا عمرو لو نبهاك   يقتضي ان يكون تمامه
اذا نبهامنك داء عضالا   وليثا غضوبا   وافعى قتولا   وموتا ذريعا
وسما وحيا   وعضبا صقيلا   وكربا شديدا   وغما طويلا
الى اشياء يعز حصرها لكن معنى البلاغة يقتضي اقتصارها من ذلك كله على الاول
لكونه ابلغ وانما قلت انه ابلغ لان الليث الغضوب والافعى القتول يمكن مغالبتهما
وغلبهما والسيف الصقيل يمكن التوقي منه والحيدة عنه وما كل جريح يتوقع
موته ولا يويس من برئه والكرب الشديد والغم الطويل يرجى انكشافهما والسم
الوحي والموت الذريع يريحان صاحبهما فاشد من جميع الداء العضال الذي
يميت فيريح ولا يبل صاحبه من مداواته فيستريح فلذلك علم الحذاق باختيار
الكلام وبنيته ان قولها   فاقسم يا عمرو لو نبهاك   يقتضي ان يكون تمامه
اذا نبهامنك داء عضالا   دون كل ما ذكرت وما لم اذكر
فان ما ذكرت دليل على ما لم تذكر اذ لا يخرج ما لم تذكر عن ان يكون

أمرًا أمكن مغالبته وغلبه أو شيأ يرجا انكشافه وزواله أو شيأ يريح بسرعة كالسم الوحي
والموت الذريع وكما يدل الاول على الثاني كما ذكرت كذلك يدل الثاني على الاول
فانه لو قيل لحاذق بما يصلح أن يوصل لقولها اذا ابتها منك داء عضالا
فانه لا يجد الا قولها فاقتنى يا عمرو لو تبهالك فهذا ما يدل الاول فيه على ما بعده
دلالة معنوية وأما ما يدل فيها الاول على الثاني دلالة لفظية فقولها

اذا ابتها ليث عريسة مغيتا مفيدا نفوسا ومالا

فان العارف ببنية الشعر اذا سمع قولها مغيتا مفيدا تحقق أن هذا اللفظ يوجب
أن يتلوه قولها نفوسا ومالا وكذلك قولها

وخرق تجاوزت مجهوله بوجناء حرف تشكى الكلالا
فكنت النهار بها شمسه وكنت دجى الليل فيه الهلالا

والبيت الثاني أردت وان كان البيت الاول فيه من التسهيم ما فيه لكن الثاني أوضح
لأن قولها فكنت النهار بها شمسه يقتضي أن يتلوه وكنت دجا الليل فيه الهلالا
ومن جيد أمثلة التسهيم قول عمرو بن كلثوم

ونوجد نحن أحماهم ذمارا وأوفاهم اذا عقدوا يمينا

واستخراج التسهيم من هذا البيت عسر جدا وهو مما ينبغي أن يسأل عنه من يتعاطى
هذه الصناعة وطريق استخراجه منه أن يقال لما قدم في صدر بيته الفخر بصفات
المدح في الحرب وجب عليه البلاغة أن يكمل الفخر بصفات المدح في السلم والسلم
لا يكون الا بالعهود والأيمان وهذا لا يمدح الانسان فيهما الا بالوفاء بهما اذ
ليس من المدح أن يقول حلف فلان ولا استحلف بل يقول فلان وفى بعهده ويمينه
فلما اقتضى المعنى تكميل المدح في حالة السلم بالأمر الذي هو أس السلم وأصله كما
مدح في حالة الحرب بما هو من صفات المدح في الحرب اقتضى اللفظ أيضا أن

يكون ما يأتي به من الألفاظ مناسبا لما قدمه وقد قال في صدر البيت ونوجد نحن
أحماهم فتعين لمراعاة المناسبة أن يقول في العجز وأوفاهم لا سيما وهي تعطي المعنى الذي
يتكمل به المدح وقال اذا عقدوا يمينا يريد الحالة التي هي أشد أحوال الحالف فانه
لو قال اذا حلفوا لم يعط من المعنى البليغ ما يعطيه عقدوا اذ الحالف قد يحلف لغوا
وتعقيد اليمين يدل على النية والتصميم قال الله سبحانه لا يؤاخذكم الله باللغو في
أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فقد اقتضى صدر هذا البيت من جهة
اللفظ والمعنى أن يكون تمامه ما ذكره والله أعلم ومن أمثلة هذا الباب
للمحدثين قول البحتري وهو مما جاءت دلالته لفظية أيضا

فليس الذي حللته بمحلل وليس الذي حرمته بحرام

وكقول الآخر

من غصون كأنهن قدود وقدود كأنهن غصون

وهذا البيت لا يصلح أن يكون شاهدا للتسهيم لكون أوله لا يقتضي آخره ولا بد أنه
لو قال

من غصون كأنهن قدود ذات نور مثل الثغور العذاب

أو ذات ورد كأنه الوجنات حسن أن يكون تماما له ومتى كان التقدير
كذلك انخرم ضابط التسهيم وانما ذكرته سهوا كما سها من ذكره قبلي ثم
فطنت لذلك بعد اثباته والفرق بين التسهيم والتوشيح من ثلثة أوجه أحدها
أن التسهيم يعرف به من أول الكلام آخره ويعلم مقطعه من حشوه من غير أن تتقدم
سجعة النثر وقافية الشعر والتوشيح لا تعرف السجعة والقافية منه الا
بعد أن تتقدم معرفتهما والآخر أن التوشيح لا يدل أوله على القافية بحسب
والتسهيم يدل تارة على عجز البيت وطورا على ما دون العجز بشرط الزيادة على القافية

وما حكيناه عن ابن عباس رضي الله عنه في بيت عمر بن ابي ربيعة وعن جرير في بيت عدي بن الرقاع
فنادر لا يقاس عليه والثالث ان التسهيم يدل تارة باوله على آخره وطورا آخره على اوله
وقد جاء من التسهيم في الكتاب العزيز قوله تعالى قل ارايتم ما تحرثون أانتم تزرعونه ام
نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون وقوله تعالى قل ارايتم الماء الذي
تشربون الى آخر الآية وقوله قل ارايتم النار التي تورون الى آخر الآية فانظر الى
اقتضاء اول كل آية آخرها اقتضاء لفظيا ومعنويا وائتلاف الالفاظ مع معانيها
ومجاورة الملائم بالملائم والمناسب بالمناسب لان ذكر الحرث يلائم الزرع
وذكر الحطام والتفكه ومعنى الاعتداد بالزرع يقتضي الاعتداد بصلاحه
وعدم فساده ليحصل التفكه وكذلك في بقية الآيات فاذا علمت ذلك
بهرج النقد عندك ما تقدم من الاشعار الفصيحة والمعاني البليغة ٥

باب التورية

وتسمى التوجيه وهي ان تكون الكلمة تحتمل معنيين فيستعمل المتكلم احد احتماليها
ويهمل الآخر ومراده ما اهمله لا ما استعمله كقول علي عليه السلام في الاشعث بن
قيس وهذا كان ابوه ينسج الشمال باليمين لان قيسا كان يحوك الشمال التي واحدها
شملة ومن شواهد هذا الباب الشعرية قول عمر بن ابي ربيعة

ايها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يجتمعان
هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يماني

فذكر عمر الثريا وسهيلا ليوهم السامع انه يريد النجمين المشهورين لان الثريا من منازل
القمر الشامية وسهيلا من النجوم اليمانية وهو يريد صاحبته الثريا وكان ابوها
قد زوجها برجل من اهل اليمن يسمى سهيلا فتمكن لعمر ان ورّى بالنجمين عن

الشخصين ليبلغ من الانكار على من جمع بينهما ما اراد وهذه احسن تورية وقعت
في شعر المتقدمين على قلتها في اشعار المتقدمين وكثرتها في اشعار المحدثين
وخصوصا شعراء العجم العصريين كالارجاني وامثاله وما رايت لعجمي ولا
لعربي مثل تورية وقعت للقاضي عياض صاحب الشفا في تعريف حقوق المصطفى
صلى الله عليه وسلم وصاحب الاكمال في شرح مسلم وغيرهما في بيتين وصف فيهما
صيفة باردة انشدنيهما الفقيه الامام الحافظ المتقن العلامة زكي الدين ابو
محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري نفع الله به وبلغه من خير الدارين كما
بلغه من العلم نهاية مطلبه بالسند المتصل بقائليهما رحمه الله وهما

كأن كانون اهدى من ملابسه لشهر تموز انواعا من الحلل
او الغزالة من طول المدى خرفت فما تفرق بين الجدي والحمل

واذا وصلت الى ما وقع من التورية في الكتاب العزيز وصلت الى الغاية القصوى
وذلك قوله تعالى قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم فانظر الى كون الضلال له
محملان وهما الحب وضد الهدى وكيف اهمل احد الاحتمالين وهو ضد الهدى واستعمل
دلالته على الحب لصحة اوجز لفظ واجلاه والله اعلم ٥

باب الترشيح

وهو ان يؤتى بكلمة لا تصلح لضرب من المحاسن حتى يؤتى بلفظة تؤهلها
لذلك كما حكيناه عن علي عليه السلام في قوله للاشعث بن قيس وهذا كان ابوه
ينسج الشمال باليمين فانه عليه السلام لو قال كان ينسج الشمال بيده او ينسج
الشمال وسكت لم يكن في لفظة الشمال تورية البتة فلما قصد التورية عدل
عن لفظ اليد وعن الاقتصار على ما قبلها واتى بلفظ اليمين ليرشح لفظة الشمال

من ص

للتورية ولا ينتقد علينا مجيء الآية الواحدة والبيت الواحد شاهدًا على عدة أبواب من المحاسن
فان ذلك بحسب ما يكون في الكلام البديع فان قيل فما الفرق بين الترشيح والتورية
وقد جعلت مثالهما واحدًا قلت الفرق من وجهين احدهما ان من التورية ما لا
يحتاج الى ترشيح وهي التورية دون بقية الابواب بل يعم الاستعارة والطباق وغيرهما
من كثير من الابواب الاترى الى قول ابي الطيب

وحفوق قلب لو رأيت لهيبه يا جنتي لظننت فيه جهنما

فان قوله يا جنتي رشحت لفظة جهنم للمطابقة ولو قال مكانها يا منيتي لم يكن في البيت
طباق البتة فان قيل لفظتا الثريا وسهيل رشحت كل واحدة منهما اختها للتورية
فانه لولا ذكر سهيل لم تصلح الثريا للتورية ولولا ذكر الثريا لم يصلح سهيل للتورية
كما ان لفظة الشمال للتورية فلم يعقل الفرق اذا بين التورية والترشيح قلنا
كل من لفظتي الثريا وسهيل لا يفتقر في التورية بها الى صاحبتها بخلاف لفظة اليمين
وذلك ان عمر لو قال

ايها المنكح الثريا زيادًا عمرك الله كيف يجتمعان

لصحت التورية بدون ذكر سهيل لان الثريا تقع على النجم وعلى المرأة والنجم لا
يجتمع ورجل ابدًا وكذلك لو عكس فقال

ايها المنكح الخلوب سهيلًا عمرك الله كيف يجتمعان

لصحت التورية ايضًا لان سهيلًا يقع على الكوكب وعلى الرجل والكوكب والمرأة لا
يجتمعان ولا كذلك لفظة اليمين فانها لو لم يأت بها لم يكن في الشمال تورية اصلا
وراسًا وانما الواقعة التي وقعت لعمر اتفق له فيها موافقة اسمي الزوجين لاسمي
النجمين فتهيأ له من التورية ما لم يتهيأ لغيره وتمم المعنى كون الثريا التي هي النجم
وصاحبته شاميتين وسهيل وزوجها يمانيين فتم لعمر ما اراده من الانكار على من

جمع بينهما وحصل في بيته التورية والاتفاق فلذلك حسنًا جدًا ومما يبين ان
التورية المحضة لا تحتاج الى ترشيح قول القاضي السعيد ابن سنا الملك رحمه الله

يا هذه لا تستحي مني قد انكشف المغطى

فان في قوله قد انكشف المغطى تورية غير مفتقرة الى ترشيح لان ظاهر اللفظ يدل
على انه اراد انكشاف الامر وهو يريد انكشاف العضو فقصد الثاني وورى
بالاول ولا كذلك قول ابي تمام

كشف الغطاء فاوقدي او اخمدي

فان لفظ كشف الغطا لا يحتمل الا معنى واحدًا وهو الذي قصده ابو تمام من انكشاف
الامر ومن الترشيح للتورية في الكتاب العزيز قوله تعالى اذكرني عند ربك
فانساه الشيطان ذكر ربه فان لفظة ربك رشحت لفظة ربه لان تكون تورية
اذ يحتمل ان يراد بها الاله سبحانه والملك فانه لو اقتصر على قوله تعالى فانساه
الشيطان ذكر ربه لم تدل لفظة ربه الا على الاله فلما تقدمت لفظة ربك
صلحت للمعنيين واما ترشيح الاستعارة ففي قول بعض العرب

اذا ما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه طارت له نفسي

فانه شبه الشيب بالنسر لاشتراكهما في البياض والشعر الاسود بابن داية
وهو الغراب لاشتراكهما في السواد واستعار التعشيش من الطاير للشيب لما
سماه نسرًا ورشح به الى ذكر الطيران الذي استعاره من الطاير لنفسه فقد
رشح باستعارة الى استعارة واما ترشيح التشبيه فكقول النابغة الذبياني

اذا استنزلوا عنهن للطعن ارقلوا الى الموت ارقال الجمال المصاعب

فانه رشح بالاستعارة في قوله ارقلوا الى التشبيه في قوله ارقال الجمال فانه تشبيه
بغير اداة والله اعلم

باب الاستخدام

وهو ان ياتى المتكلم بلفظة لها معنيان ثم ياتى بلفظتين تتوسط تلك اللفظة بينهما تستخدم
كل لفظة منهما معنى من معنيى تلك اللفظة المتقدمة وربما التبس الاستخدام بالتورية
ايضا من كون كل واحد من البابين مفتقرا الى لفظة لها معنيان والفرق بينهما ان
التورية استعمال احد المعنيين من اللفظة واهمال الاخر والاستخدام استعمالهما
معا ومن امثلته قول البحترى

فسقى الغضى والساكنيه وان هم   شبوه بين جوانح وقلوب

فان لفظة الغضى محتملة الموضع والشجر والسقيا صالحة لهما فلما قال والساكنيه
استعمل احد معنيى اللفظة وهو دلالتها بالقرينة على الموضع ولما قال شبوه استعمل
المعنى الاخر وهو دلالتها بالقرينة ايضا على الشجر وفى الكتاب العزيز من التغاير
الاستخدام قوله تعالى لكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت فان لفظة كتاب
يراد بها الامد المحتوم والكتاب المكتوب وقد توسطت بين لفظتى اجل ويمحو
فاستخدمت اجل احد مفهوميها وهو الامد ويمحو المفهوم الاخر وهو المكتوب
والله اعلم

باب التغاير

وهو تضاد المذهبين اما فى المعنى الواحد بحيث يمدح انسان شيا ويذمه او يذم
ما مدحه غيره او يفضل شيا على شيء ثم يعود فيجعل المفضول فاضلا او يفعل ذلك
مع غيره فيجعل المفضول عند غيره فاضلا وبالعكس فاما التفضيل بين الشيئين
المتغايرين من كل وجه فلم يقل به الاصباء الين ابن الاثير رحمه الله وساتى
بتفصيل مذهبه فى اخر هذا الباب   واما مدح الانسان ما ذمه غيره فلم اسمع
فيه كقول الامام على عليه السلم فى خطبة له مدح فيها الدنيا مغايرا
لامثاله فى ذمها حيث قال   ايها الذام للدنيا المغتر بغرورها بم

تذمها انت المتجرم عليها ام هى المتجرمة عليك متى استهوتك ام متى غرتك ابمصارع
ابايك من البلى ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى كم عللت بكفيك وكم مرضت بيديك
تبغى لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء لم ينفع احدهم اشفاقك ولم تسعف فيه
بطلبتك ولم تدفع عنه بقوتك قد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك
ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها
ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد احباء الله ومصلى ملئكة الله ومهبط وحى الله
ومتجر اولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد اذنت
ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها واهلها فمثلت لهم ببلائها البلاء وشوقتهم
بسرورها الى السرور راحت بعافية وابتكرت بفجيعة ترغيبا وترهيبا وتخويفا
وتحذيرا فذمها رجال غداة الندامة وحمدها اخرون ذكرتهم الدنيا فذكروا
وحدثتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا ٥   وقد نظمت معانى هذه الخطبة
فقلت

من يذم الدنيا بظلم فانى   بطريق الانصاف اثنى عليها
وعظتنا بكل شيء لو انا   حين جدت فى الوعظ من مصطفيها
وارتنا الوجهين منها فهمنا   للهوى بالفتان من وجهيها
نصحتنا فلم نر النصح نصحا   حين ابدت لاهلها ما لديها
اعلمتنا ان المال يقينا   للبلى حين جددت عصريها
كم ارتنا مصارع الاهل والاحباب   لو نستفيق بين يديها
ولكم مهجة بزهرتها اغترت   فادمت ندامة كفيها
اتراها انعت على سباء   من قبلنا حين بدلت جنتيها
يوم بوس لها ويوم نعيم   فتزود ما شئت من يوميها
رخاء

وتيقن زوال ذاك وهذا تسل عن ما تراه من حادثيها

دار زاد لمن تزود منها وغرور لمن يميل اليها
مهبط الوحي والمصلى التي كم عفرت صورة بها خديها
متجر الاولياء قد ربحوا الجنة فيها واوزدوا عينيها
رغبت ثم رهبت ليرى كل لبيب عقباه من حالتيها
فاذا انصفت تعين ان يثنى عليها ذو البر منه ولديها

وكقول بعض العرب يمدح قوما بالانفة

لا يشربون دماءهم باكفهم ان الدماء الشافيات تكال

فانه وصف هولاء القوم بالانفة من اخذ الدية عن قتلاهم فيصير حاصل ما ياخذونه شربهم اللبن فكانهم شربوا دماءهم ثم قال ان مثل هذا الدم لا يشفي وانما يشفي من الدماء ما اخذ مكايلة صاعا بصاع يعني دما بدم كفوء فحاصل معناه ان الدماء تكال وقال الاخر مغايرا لهذا المعنى وقد قتل بقتيله دونه معتذرا عن ذلك مغايرا للمعنى الاول

فنقتل حرا بامرئ لم يكن له بواء ولكن لا تكايل بالدم

فذهب هذا القايل الى ان قتيله لا نظير له فلو ذهب الى انه لا يقتل به الا كفوه لطاح دمه هدرا اذ لم يجد له كفوا فلهذا اضطر الى قتل من دونه ثم قال لا تكايل بالدم مستدلا على صحة ما اتاه لكون ارباب الدماء متفاوتي الدرجات فلا تتكافا دماوهم فتغاير المعنيان وهما مع المغايرة صحيحان وقد اتى حكم الله تعالى في كتابه العزيز مغايرا لهذا الحكم بقوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل وقوله الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى مما يصحح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافا دماوهم وقد غايرت احكام القران العزيز احكام

الجاهلية في عدة مواضع وذم من ابتغى حكم الجاهلية ومن ذلك ذمه الظلم واهله وقد كانت العرب تمدحه وتمدح به واشياء غير ذلك ومن هذا قول ابي تمام يغاير جميع الناس في تفضيل التكرم على الكرم بقوله لابي سعيد الثغري

قد بلونا ابا سعيد حديثا وبلونا ابا سعيد قديما
ووردناه سايحا وقليبا ورعيناه بارضا وجميما
فعلمنا ان ليس الا بشق النفس صار الكريم يدعى كريما

ثم غاير المتنبي ومال على الطريق المالوف

لو كفر العالمون نعمته لما عدت نفسه سجاياها
كالشمس لا تبتغي بما صنعت منفعة عندهم ولا جاها

وهذا المعنى من قول ابي تمام

لا يتعب النايل المبذول همته وكيف يتعب عين الناظر النظر

وكل ذلك من قول بشار

ليس يعطيك للرجاء ولا الخوف ولكن يلذ طعم العطاء

وابو تمام اخذ معناه الذي غاير فيه الناس من قول ابرهيم بن سيار النظام لانه غاير جميع العلماء في الاستدلال على ان شكر المنعم لا يجب شرعا ولا عقلا وقال في نظم الدليل كلاما حررته ونقحته فقلت المعطى لا يعلو بعطايه احد اربعة اقسام حاصرة اما للخوف واما للرجاء واما لطلب الثنا واما للعشق في العطاء فاما المعطى للخوف لخفه على ذلك العطاء اتقاء ما خافه بعطايه فلا يجب شكره والمعطى للرجاء اما ان يرجوا المكافاة عن عطايه ممن اعطاه او يرجو بذلك ثواب الله وهو في كلتا حالتيه لا يجب شكره والمعطى

لطلب الثناء حق عطائه ان يثنى عليه فاذا اثنى عليه فقد سقط حقه فلا يجب شكره
والمعطى للعشق في العطاء مسكن بعطايه غليل قلبه ومنفس به من كربه فلا
يجب شكره ووجه الرد على النظام ان يقال المعطى لطلب الثناء اما ان يكون
عطاوه موجبا للثناء عليه او لا يكون فان كان الاول فقد وجب شكر المنعم وان كان
الثاني فقد فسد التقسيم الاول وصار للعطاء قسم خامس لغير العلل التي علل بها
ولم يبق علة لهذا القسم من العطاء سوى التبذير والعبث وهذا القسم مرفوض
لا يستحق الكلام عليه فان قيل المعطى للثناء قد يثنى عليه وقد لا يثنى فان اثنى
عليه فقد سقط حقه فلا يجب شكره وان لم يثن عليه خلا عطاوه عن الفايدة
قلت القعود عن اداء الواجب لا يسقط الواجب فان تارك الصلوة
لا يسقط اخلاله بهذا الواجب وجوبها ولا يخلو المثني على المعطي لطلب الثناء اما
ان يكون فعل واجبا فقد وجب شكر المعطي واما ان يكون ما فعله غير واجب فقد
صار العطاء لا للثناء ثم اقول المعطي رغبة في الثناء لا يخلو اما ان يكون اثنى
عليه او لا فان اثنى عليه فلا يخلو امن ان يكون المثني فعل ثناءه واجبا او لا فان كان
الاول فقد وجب شكر المنعم وان كان الثاني فاما ان يكون عدم الثناء عليه
من جهة تقصير المعطي فقد بينا ان الاخلال لا يسقط وجوب الشكر فان
قلت انما اثنى المثني عليه تفضلا قلت هذا محال لانه تقدم منه
العطاء ليشتري به الثناء فثناء المعطي ثمن لانعام المعطي فكيف يعد تفضلا فقد
ثبت وجوب شكر المنعم وفسد تقسيم النظام ثم قول القايل لا يخلو المعطي للثناء
اما ان يثني عليه واما ان لا يثني عليه لازم في جميع الاقسام فان المعطي لطلب
المكافاة اما ان يكافى واما ان لا يكافى وكذلك المعطي للخوف ولم يبق
قسم لا يدخله هذا الاحتمال سوى المعطي للعشق في العطاء فانه وان لم يجب شكره

على نفس العطاء لكونه مسكنا به غليل قلبه ومتبعا به غرض نفسه فهو مشكور
على عشق احسن الخلال واكرم الفعال وكيف لا يستحق المنعم الشكر والمنعم
على كل تقدير احد رجلين رجل مطبوع على العطاء ومجبول عليه فهو مشكور
على كرم طباعه وسماحة جبلته ورجل غير مطبوع على ذلك فهو يجاهد
نفسه ويغالب طبعه على التكرم حتى يتحمل العطاء ويتكلف الحباء وهذا
كما قال سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم انما الصدقة ان تصدق وانت
شحيح صحيح تخاف الفقر وتامل الغنى ومن ها هنا قال ابو تمام

فعلمنا ان ليس الا بشق النفس صار الكريم يدعى كريما

ولقد احسن المتنبي حين اخذ هذا المعنى من ابي تمام وزاد عليه ونقله من فن
المدح الى فن الادب فقال مخرجا ذلك مخرج المثل

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والاقدام قتال

ومن التغاير تفضيل القلم على السيف اذ المعتاد عكس ذلك ويدلك عليه قول
البحتري في صاحب خراسان المعروف بابن هرثمة

تعنو له وزراء الملك راغبة وعادة السيف ان يستخدم القلما

وما سمعت في هذا المعنى قبل قول ابن الرومي

ان يخدم القلم السيف الذي خضعت له الرقاب ودانت خوفه الامم
فالموت والموت لا شيء يعادله ما زال يتبع ما يجري به القلم
كذا قضى الله للاقلام اذ بريت ان السيوف لها مذ ارهفت خدم

وغاير المتنبي فقال على الطريق المالوف

حتى رجعت واقلامي قوايل لي المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا ابدا قبل الكتاب به فانما نحن للاسياف كالخدم

فانظر الى نقص المتنبي في المعاني وسبكها والى كونه قليل الابتكار لا يتوكأ الا على
المعاني المطروقة ولا يرى فيها الا تابعا مقصرا فانه اخذ هذا المعنى من قول
ابي تمام
السيف اصدق انباء من الكتب
فان حاصل جملة بيت المتنبي ماخوذ من هذا الصدر ليس في بيته زائد على ما في الصدر
سوى ما اخذه من ابن الرومي وقصر وهو قوله في العجز فانما نحن للاسياف كالخدم
لان ابن الرومي جعل السيوف خدما للاقلام والمتنبي جعلها كالخدم وفرق بين (انما)
عين الشيء وشبهه ولا يقال ان صدر بيت المتنبي هو الماخوذ من صدر بيت ابي
تمام فلم قلت ان بيت المتنبي كله ماخوذ من صدر بيت ابي تمام لاني اقول
صدر بيت المتنبي مفتقر لما قبله او لتقديم ما بعده لما فيه من الضماير الظاهرة
والمستترة التي متى افرد لا يوجد فيه ما تعود عليه فلا يحمل معناه الذي اخذه
من بيت ابي تمام حتى يقدر تقديم العجز فيصير البيت نحن للاسياف كالخدم
فاكتب بالاسياف قبل ان تكتب بنا وحاصل ذلك كله قول ابي تمام
السيف اصدق انباء من الكتب
فلم يرض ابو تمام ان يقول السيف اصدق انباء من القلم حتى قال من الكتب التي
لا تكتب الا بالدواة والقرطاس والكاتب المطلق اليد واللسان والجنان فالحظ
الفرق بين كلامه وكلام المتنبي لتعلم مقدار ما بينهما وقد غاير ابن الرومي
الناس في ابطال غاية التاسي حيث قال
ومعزى عن الشباب مؤس بمشيب اللدات والاصحاب
قلت لما انتحى يعد اساه من مصاب شبابه في مصاب
ليس تاسو كلوم غيري كلومي ما بهم ما بهم وما بي ما بي
فانه غاير القائل ولولا الاسى ما عشت في الناس بعده ولكن اذا ما شئت جاوبني
(مثلي)

وامثاله كثيرة فكل ما اتيت به مما غاير فيه الشعراء بعضهم بعضا واما ما تغاير
الشاعر فيه نفسه فكقول الفرزدق
الم تسمعا يا ابني حكيم حنينها الى السيف تستبكي اذا لم تعقر
فذكر ان ابله تحن الى السيف لالفها به اذا لم يعقرها للضيفان وكان
يصفها بالجزع من الموت
ترى الناب من ضيفي اذا ما رأينه ضموزا على جراتها ما تجرها
وهذا من قول بعض الشعراء يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابيك حقا ان ابل محمد عزل نوائح ان تهب شمال
واذا رأين لدى الفناء غريبة فلموعهن على الخدود سجال
يقول هذا الشاعر رحمه الله تعالى اذا هبت الشمال وهي من رياح الشتاء
وهبوبها من علامات المحل ايقنت هذه الابل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينحرها للضيفان والجيران فهي نوائح لذلك واستعار لها لفظة عزل من الرجال
الذين لا سلاح معهم يدفعون به عنهم اي هي لا تمانع ثم قال في البيت الثاني
واذا رأين ناقة غريبة عرفن انها ناقة ضيف فتبدي كل واحدة دمعها
لا تدري اهي المنحورة ام غيرها وقوله حقا بعد القسم ليست من الحشو
الذي تشد به الابيات لاقامة الوزن وانما هي مؤكدة لصدق القسم اذ
المدح في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان في غيره لكانت حشوا
لا تفيد الا اقامة الوزن وهذا من دقيق ما في هذا الشعر وهو من لطيف المدح
وقل كل مدح في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومثل هذا التتميم
الذي وقع لهذا الشاعر رضي الله عنه في المدح تتميم وقع للاخطل لعنه الله في
الهجاء حيث قال

وافتتم المجد حقا لا يحالفهم حتى يحالف بطن الراحة الشعر

ومن التغاير ما قاله زبان بن منظور الفزاري وقد اتفق له مع النابغة على الغزو
لغنم وسلم فقال للنابغة

تعلم انه لا طير الا على متطير وهي الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء احايينا وباطله كثير

فغاير النابغة معظم العرب في ذلك واعجبني مقاله لموافقته قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا هامة ولا طيرة ولا صفر او كما قال عليه السلم وهذه امثلة التغاير في
المعنى الواحد واما تغاير المعنيين المتضادين فان الترجيح بينهما راجع الى النظر في
مفردات الالفاظ وتركيبها لتعلم كم في كل كلام منهما من ضروب العيوب
وانواع المحاسن وتقابل كل ضرب بضرب مثله فما كانت محاسنه اكثر وعيوبه
اقل كان افضل من الاخر وهذا هو الذي اشار اليه ضياء الدين ابن الاثير
ووعدت في اول هذا الباب بذكره فانه ايضا غاير النقاد في هذا المكان اذ عادتهم
ان لا يرجحوا بين الكلامين الا اذا اشتركا في معنى واحد والله اعلم ومثال ما تقع
فيه المفاضلة من الكلامين المختلفي المعنى قول الله سبحانه وتعالى وقيل يا ارض ابلعي
ماءك الاية وقوله عز وجل ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية فان الاولى في
الطبقة العليا من البلاغة والفصاحة والثانية في الطبقة الوسطى بالنسبة اليها
لان الثانية وان كانت بليغة فالاولى ابلغ وان كانت كثيرة المعاني فالاولى
اكثر فالاولى افضل مع كون مقصد الايتين متغايرا مختلفا وعلى هذا فقس ترشد
والله اعلم

باب الطاعة والعصيان

هذا النوع استنبطه ابو العلاء المعري عند نظره في شعر ابي الطيب المتنبي وشرحه

له من قوله

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

وسماه الطاعة والعصيان اعني المعري وهو ان يريد المتكلم معنى من معاني البديع
فيستعصي عليه لتعذر دخوله في الوزن الذي هو اخذ فيه فياتي موضعه بكلام
غيره يتضمن معنى كلامه ويقوم به وزنه ويحصل به معنى من البديع غير المعنى
الذي قصده كهذا البيت الذي ذكرته للمتنبي فانه اراد ان يكون في البيت مطابقة
فيحتاج لاجلها ان يقول يرد يدا عن ثوبها وهو مستيقظ حتى اذا قال ويعصي الهوى
في طيفها وهو راقد تكون في البيت مطابقة فلم يطعه الوزن فاتى بقادر مكان
مستيقظ لتضمنه معناه فان القادر لا يكون الا مستيقظا وزيادة فقد عصاه
في البيت الطباق واطاعه الجناس لان بين قادر وراقد تجنيس عكس هذا معنى
كلام المعري على هذا البيت وهذا المعنى من البديع ولم ياتي بشاهد غيره وتبعه
الناس بعده فانفقوا هذا الباب وتكلموا فيه بمثل هذا الكلام واستشهدوا بهذا
البيت ولم ياتي احد منهم بغيره واضربوا جميعهم عن النظر فيه اما لحسن ظنهم
بالمعري وموضعه من الادب واعتقادهم فيه العصمة من الخطاء والسهو فيه
واما ان يكونوا قد مر عليهم ما مر عليه في هذا البيت والذي ذهب عليهم ان البيت
ليس فيه شيء اطاع الشاعر ولا شيء عصاه ودليل ذلك ان قول المعري ان المتنبي
اراد مستيقظا ليحصل منها ومن لفظة راقد طباق فعصته لفظة مستيقظ لامتناعها
من الدخول في هذا الوزن فتحكم على المتنبي لانه لو اراد ان يكون في بيته طباق محض
كان له ان يقول يرد يدا عن ثوبها وهو ساهر او ساهد ويحصل له غرضه من الطباق
بالجمع بين ساهر وراقد ولا يكون عصاه شيء والطاعة غيره وانما المتنبي قصد ان يكون
في بيته طباق وجناس فعدل عن لفظة ساهر للفظة قادر لان القادر ساهر وزيادة

اذ ليس كل شاهر قادرا والقادر لا بد ان يكون شاهرا ليحصل بين قادر وراقد طباق معنوي وجناس عكس لان الطباق انواع منه المعنوي كما ان الجناس انواع منه جناس العكس وكما لم يات باول نوع من الجناس كذلك لم يات باول نوع من الطباق وهو الطباق اللفظي واتى بالطباق المعنوي لان مذهبه ترجيح المعاني على الالفاظ لا سيما وبالعدول عن الطباق اللفظي حصل في البيت الطباق والجناس معا وما كان فيه الطباق والجناس معا افضل مما ليس فيه سوى الطباق فقط ولو عدل المتنبي الى ما ذكره المعترض من الاتيان بساهر مثلا لفاته هذا الفضل واتى في بيته ما دل على عدم تدقيق اذ ياتي فيه باول نوع من الطباق ولم يقابله باول نوع من الجناس مع تفويت بينه الجمع بينهما والله اعلم فقد ثبت من هذا البحث ان بيت المتنبي هذا لا يصلح ان يكون شاهدا على هذا الباب لانه لم يعصه فيه شي ولم يطعه غيره ولا بد اذ قدمت هذا الباب لرشاقة تسميته من الاتيان بشاهد يليق به والذي يليق به من الشواهد قول عوف بن محلم السعدي

ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان

لانا نعلم ان اول ما يقصده المتكلم اذا اراد اخراج ما في نفسه من المعنى الى الوجود ليعلمه غيره اخراج معناه في لفظ مساوله اذ هو خير ضروب البلاغة لكونه وسطها وخير الامور اوساطها لكونه فاذا اضطره الوزن الى الزيادة على اللفظ او النقص منه اضطرارا فقد عصته المساواة والطاعة غيرها مما ياتي في كلامه من البديع بعد الزيادة والنقص التي استقام بها الوزن بشرط ان يكون عدوله عن المساواة الى غيرها من البديع اضطرارا لا اختيارا وقد يعدل المتكلم عن المساواة اختيارا فلا تكون المساواة عصته الا في ظن من يرى ظاهر كلامه فيجد فيه ما يوهم بانه زيادة ويكون عدوله لمعنى اجل من المساواة فيكون قد اطاعه ذلك المعنى ومن ذلك في الكتاب العزيز قوله

تعالى قل رب احكم بالحق فان ظاهر اللفظ موهم ان لفظة بالحق مستغنى عنها للعلم بان الله سبحانه لا يحكم الا بالحق فانه قد ثبت انه موصوف بالعدل بالدليل العقلي فعدل عن المساواة واتى بهذه الزيادة ليتضمن الكلام ضربا من المحاسن يسمى الافتنان فان المراد تعجيل ما يستحقه الكفار من العذاب ولذلك حصل في الكلام افتنان وهو الجمع بين الادب والهجاء لان من يستحق الدعاء عليه بالعقوبة مذموم فعلى هذا يكون مراد عوف في بيته الذي قدمناه عندما وقع المعنى في نفسه وقصد اخراجه من القوة الى الفعل ان يقول ان الثمانين قد احوجت سمعي الى ترجمان وعلم ان الوزن لا يستقيم الا بزيادة كلمة على هذا اللفظ المساوي معناه فاتى بها متضمنة معنى الدعاء للممدوح ليحصل بها في الكلام ضرب من البديع وهو التتميم نظرا الى نقص الوزن او التكميل نظرا الى كون المعنى تاما وليكون عوضا مما فاته من المساواة حذفا منه ولو اتى بها لا لتفيد الا اقامة الوزن فحسب كانت عبثا فيسوغ ان يقال ان في هذا البيت طاعة وعصيانا لكون الشاعر عصته فيه المساواة التي قصدها وقت الشروع في سبكه وبنيته والطاعة التتميم وعلى هذا يكون كل بيت من شواهد التتميم وقع التتميم الذي فيه زايدا على معناه غير متمم لنقصه شاهدا للطاعة والعصيان ومثل هذا هو تتميم الوزن لا تتميم المعنى والله اعلم

باب التسميط

وهو ان يعمد الشاعر تصيير بعض مقاطع الاجزاء في البيت على سجع يخالف قافية البيت كقول مروان بن ابي حفصه

هم القوم ان قالوا اصابوا وان دعوا اجابوا وان اعطوا اطابوا واجزلوا

فاثبت بعض اجزاء هذا البيت مسجعة على خلاف قافيته لتكون القافية بمنزلة السمط

والاجزاء المسجعة بمنزلة حب العقد لكون التسميط يجمع حب العقد ويربطه والفرق بين التسميط والتفويف تسجيع بعض اجزاء بيت التسميط وخلو كل اجزاء بيت التفويف من السجع البتة والمراد باجزاء التسميط بعض اجزاء التقطيع ويسمى تسميط التبعيض ومن التسميط نوع اخر يسمى تسميط التقطيع وهو ان تسجع جميع اجزاء التفعيل على روي يخالف روي القافية كقولي

واسمر مثمر بمزهر نضر من مقمر مسفر عن منظر حسن

فجاءت جميع اجزاء التفعيل في هذا البيت من سباعيها وخماسيها مسجعة على خلاف سجعة الجزء الذي هو قافية البيت والله اعلم

باب المماثلة

وهو ان تتماثل الفاظ الكلام او بعضها في الزنة دون التقفية كقول الله سبحانه وتعالى وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ فالطارق والثاقب وحافظ متماثلان في الزنة دون التقفية وقد تاتي بعض الفاظ المماثلة مقفاة من غير قصد لان التقفية في هذا الباب غير لازمة كقول امرئ القيس

فتور القيام قطوع الكلام تفتر عن ذي غروب اشر
كان المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر

وكقول الشاعر على اصل الباب في التزام الزنة دون التقفية

صفوح كريم رصين اذا ابت العقول بدا طيشها
نداه سحوح على النفس به احضر الشقي عيشها

والبيت الاول اردت والفرق بين المماثلة والمناسبة توالي الكلمات المتزنات في المماثلة وتفرقها في المناسبة ومن امثلة المناسبة قول ابي ذويب

معتقة مصفقة عقار شامية اذا جليت سروح

فقوله معتقة مصفقة شامية مماثلة لتساوي الكلام في الزنة وهذا البيت من اقوى دليل على ان التقفية في المماثلة غير لازمة اذ لو كانت لازمة لاتى بشامية على سجع معتقة مصفقة لكنه لما لم يات باول العجز على سجع اول الصدر علم ان التقفية في هذا الضرب غير لازمة ومثله قول اوس بن حجر

مليح نجيح اخو مارق نقاب يحدث بالغايب

والله اعلم

باب التجزية

وهي ان يجزي الشاعر البيت من الشعر اما ثلثة اجزاء ان كان الشعر سداسي الاجزاء العروضية او اربعة ان كان ثمانيا ويسجع اخر البيت على رويين مختلفين جزا جزا احدهما على روي مخالف لروي البيت والثاني على روي البيت فمثال ما جاء من السداسي قول الشاعر

هنية لحظاتها حظية خطراتها دارية نفحاتها

ومثال الثماني الذي يسجع كل ثان من اجزايه ابدا على قافيته قول ابي تمام

تجلى به رشدي واثرت به يدي وفاض به ثمدي واورى به زندي

وكقول المتنبي

فنحن في جذل والروم في وجل والبر في شغل والبحر في خجل

والتجزية تفارق التسميط من وجهين احدهما تقسيم بيتها على ثلثة اجزاء مسجعة ان كان سداسيا او اربعة مسجعة ان كان ثمانيا والثاني التزام التسجيع في الاجزاء على قافية البيت والله اعلم

باب التسجيع

وهو أن يتوخى المتكلم أو الشاعر في أجزاء من كلامه بعضها غير متزنة بزنة
عروضية ولا محصورة في عدد معين بشرط أن يكون ذوي الأسجاع ذوي
القافية والفرق بينه وبين التسميط كون أجزائه على ذوي قافيته وبينه وبين
التجزئة اختلاف زنة أجزائه ومجيئها على غير عدد محصور معين ومثاله
قول ديك الجن

ويروى حميما

حمر الإهاب وسيمة بر الإياب كريمة محض النصاب صميمة

فالأجزاء المسجعة من هذا البيت التي هي بعض أجزائه غير متزنة زنة عروضية
وإن تماثلت في زنة بعضها لبعض والفرق بينه وبين المماثلة كون أجزائه المسجعة
اتزنت عن زنة غير مرضية وأتت مفترقا ما بينها بخلاف أجزاء المماثلة
والتسجيع لازم فيها بخلاف أجزاء المماثلة والله أعلم ٥

باب الترصيع

الترصيع كالتجزئة في كونه يجزئ البيت إما ثلاثة أجزاء إن كان سداسيا أو
أربعة إن كان ثمانيا ويسجع على ثاني العروضين دون الأول وأكثر ما يقع
الجزآن المسجع والمهمل في الترصيع مدمجين إلا أن أسجاع التجزئة على قافية
البيت والفرق بين التسميط المسمى تسميط التبعيض أن المسجع من قسمي التسميط

بليه

معا هي أجزاء عروضية والمسجع من الترصيع أجزاء غير عروضية لوقوع
السجع في بعض الجزء ومثال الترصيع قول أبي صخر من أناشيد قدامة
وتلك هيكلة خود مبتلة صفراء رعبلة في منصب سنم
عذب مقبلها خدل مخلخلها كالدعص أسفلها مخصورة القدم
سود ذوائبها بيض ترائبها محض ضرائبها صيغت على الكرم

شم خلائقها درم مرافقها يروى معانقها من بارد شبم
كأن معتقة في الدن معلقة صفرا مصفقة من رأي زدم
شيبت بموهبة من رأس مرقبة جرداء مهيبة في حالق شمم
خالط طعم ثناياها وريقتها إذا يكون توالي النجم كالنظم
فهذا القسم من الترصيع يحسن أن تسمى الترصيع المدمج لأن كل جزء مسجع من أجزائه
مدمج في الجزء الذي قبله فرقا بينه وبين ما ليس كذلك من الترصيع فإن من الترصيع
ما أجزاؤه المسجعة غير مدمجة فيما قبلها ومثاله قول مسلم بن الوليد
كأنه قمر أو ضيغم هصر أو حية ذكر أو عارض هطل
وهذا القسم من الترصيع يلتبس بالتسميط التباسا شديدا والفرق بينهما أن
التسجيع في التسميط على الجزء الأول من الأجزاء العروضية وفي الترصيع على
ثاني العروضين ألا ترى التسجيع من التسميط في بيت مروان جاء في الخماسي لما كان
من بحر الطويل وجاء التسجيع من الترصيع في بيت مسلم في الخماسي أيضا لما كان
البيت من بحر البسيط لكون الخماسي أول الجزئين من الطويل والخماسي ثاني الجزئين من
البسيط وهذا الموضع مما يشكل عند من يدعي هذا العلم ٥ ويتحصل من ذلك أن الفرق
بين التسميط والترصيع من وجهين أحدهما كون الترصيع يكون أجزاء مدمجة
وغيرها والتسميط لا يقع فيه الإدماج البتة والثاني أنا لا إدماج في
أجزائه من الترصيع يقع التسجيع فيه في ثاني العروض ومن التسميط في أولهما
والله أعلم ٥

باب التصريع

التصريع على ضربين عروضي وبديعي فالعروضي عبارة عن استواء عروض البيت
وضربه في الوزن والإعراب والتقفية بشرط أن تكون العروض قد غيرت عن

اميلها للحوق الضرب في زنته والبديعي استواء آخر جزء في الصدر وآخر جزء في العجز
في الوزن والاعراب والتقفية ولا يعتبر بعد ذلك امر اخر وهو في الاشعار كثير
لا سيما في اول القصائد وكثيرا ما ياتي في اثنا قصائد القدماء ويندر مجيئه في اثناء
قصائد المحدثين ووقوعه في الاشعار دليل على غزر مادة الشاعر وحكمه في
الكثرة والقلة حكم بقية انواع البديع اذ كل ضرب من البديع متى كثر في شعر
سمج كما لا يحسن خلو الكلام منه غالبا وكلما جاء منه متوسطا غير تكلف
فهو المستحسن وقد ياتي بعض اوائل القصائد مضمنا وياتي التصريع في اثنائها بعد
ذلك وقد قسمه اهل الصناعة قسمين قسم سموه تصريع التكميل وقسم سموه
تصريع التشطير ورايت منهم من جعل هذا القسم الثاني بابا مفردا يسميه التشطير
من غير ان يضيف اليه لفظة التصريع ومثال التصريع العروضي قول امرئ القيس

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان وربع خلت آياته منذ ازمان

ومثال التصريع البديعي قوله في اثناء هذه القصيدة

الا انني بال على جمل بال يقود بنا بال ويتبعنا بال

وقوله ايضا بعد تصريع اول القصيدة المعلقة وان كان اطلاق التصريع عليها اطلاقا
بديعيا لا عروضيا اذ اول ما عند العروضيين مقفى لا مصرع

الا ايها الليل الطويل الا انجلي بصبح وما الاصباح فيك بامثل

ومثال ما وقع في اثناء القصيدة واولها مضمن قوله

تروح من الحي ام تبتكر وماذا يضرك لو تنتظر

فان اول هذه القصيدة على اصح الروايتين

لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر

ثم واتى التصريع بعد قوله تروح من الحي ام تبتكر

امن خيامهم ام عشر ام القلب في اثرهم منحدر
وشاقتك بين الخليط الشطر وفيمن اقام من الحي هر

واهل البديع يسمون التقفية تصريعا اذ لا يعتبرون الفرق بينهما والتصريع في
اثنا القصائد والاصمات في اوائلها يستحسن من القدماء ويستهجن من المحدثين
لانه من العرب يدل على قوة العارضة وغزر المادة وهو من المحدثين دليل على
التكلف غالبا ولا يحسن التصريع في اثناء القصائد غالبا الا عند استيناف ذكر
معنى غير ما كان الشاعر اخذا فيه فانه يشير بالتصريع الى ابتداء شعر غير الشعر
الذي تقدم الا ترى الى كون امرئ القيس لما فرغ من ذكر الحماسة في القصيدة
الرائية التي ذكرنا منها الابيات المتقدمة وشرع في ذكر التشبيب صرع نمابها
واذا استقريت اشعارهم وجدت اكثرها كما ذكرت والله اعلم ٥

باب التشطير

هو ان يقسم الشاعر بيته شطرين ثم يصرع كل شطر من الشطرين لكنه ياتي بكل
شطر من بيته مخالفا لقافية الآخر ليتميز كل شطر من اخيه فيوافق فيه
الاسم المسمى وذلك قول مسلم بن الوليد

موف على مهج في يوم ذي رهج كانه اجل يسعى الى امل

وكقول ابي تمام

تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتغب في الله مرتقب

وعندي ان بيت ابي تمام اولى من بيت مسلم بهذا الباب لانه عمد الى كل شطر قدره
بيتا وصرعه تصريعا صحيحا وبيت مسلم شطره الاول مصرع تصريعا صحيحا
وشطره الثاني ليس بمصرع لمخالفة روي وسطه روي اخره في الاعراب

اللهم الا ان تجعل الشطر على ضربين ضرب يصرع فيه احد الشطرين دون الآخر وضرب
يصرع فيه معًا والله اعلم

باب التعليل

وهو ان يريد المتكلم ذكر حكم واقع او متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه
لكون رتبة العلة ان تقدم على المعلول كقوله سبحانه لولا كتاب من الله سبق
لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فسبق الكتاب من الله علة في النجاة من العذاب
وكقوله تعالى ولولا رهطك لرجمناك فوجود رهطه علة في سلامته من قومه
وكقول الرسول عليه السلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل
صلوة فخوف المشقة على الامة هو العلة في التخفيف عنهم من الامر بالسواك
عند كل صلوة ومن الامثلة الشعرية في ذلك قول البحتري

ولو لم تكن ساخطا لم اكن اذم الزمان واشكو الخطوبا

فوجود سخط الممدوح هو العلة في شكوى الشاعر الزمان وكقول ابي القسم بن هاني
الاندلسي

ولو لم تصافح رجلها صفحة الثرى لما كنت ادري علة للتيمم

فعلل درايته علة التيمم بمصافحة رجل صاحبته صفحة الثرى وهذا من غلو ابن هاني
المعروف فلحى الله غلوه كيف يقول انه لم يدر علة التيمم الا بما ذكر وقد دريت
علة التيمم من نصي الكتاب والسنة اما نص الكتاب فقوله سبحانه فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدا طيبا واما السنة فقوله عليه السلم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا
وحديث عمار بن ياسر في التيمم مشهور اخرجه مسلم فمن دري علة التيمم بعد ذلك
والا لا دري ولقد احسن ابن رشيق القيرواني في تعليل قوله عليه السلم وجعلت

لي الارض مسجدا وطهورا حيث قال

سالت الارض لم جعلت مصلى ولم كانت لنا طهرا وطيبا
فقالت غير ناطقة لاني حويت لكل انسان حبيبا

فتخلص مما وقع فيه ابن هاني لكونه ذكر انه سال الارض عن العلة التي
بسببها جعلها الله تعالى لرسوله عليه السلم مسجدا وطهورا وتلطف في استخراج
علة مناسبة لا حرج عليه في ذكرها بنفسه فكيف وقد ذكرها على لسانها
في جواب سؤاله وابو تمام الذي فتح له باب هذا المعنى ونبهه على استخراج هذه
العلة بقوله

ربا شفعت ريح الصبا بنسيمها الى الغيث حتى جادها وهو هامع
كان السحاب الغر غيبن تحتها حبيبا فما ترقى لهن مدامع

والبيت الثاني اردت لان ابا تمام تلطف لمعناه غاية التلطف اذ جعل دوام مطر
السحاب على هذه الربى انما كان بمنزلة البكاء من باكي دفن محبوبا له فهو دائم تلك صح
البكاء على قبره فكانه جعل العلة في دوام السقيا كون الحبيب تحت الارض المسقية
ومن ها هنا جعل ابن رشيق العلة في كون الارض مسجدا وطهورا لكافة الناس
الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كونها حوت لكل بشر حبيبا
وهذه كلها امثلة الكلام الذي جاء على وجهه في تقديم علة حكمه على الحكم
واما ما جاء منه متقدم المعلول على العلة اعرابا وطرفة فكقول مسلم بن الوليد

يا واشيا حسنت فينا اساءته نجى حذارك انساني من الغرق

فان هذا البيت لم يسمع في هذا الباب مثله لان مسلما اغرب في معناه بتلطفه في
تحسين اساءة الواشي ولم يجد وجها تحسن فيه اساءة الواشي الا نجاة انسان عينه
من الغرق بالدمع لامتناعه من البكاء لحذره منه فغاير في ذلك الناس اعني

استحسان الاساءة وكانه سُئل عن استحسانه اساءة الواشي ففسّر ذلك بنجاة انسانه
من الغرق وادمج في هذا المعنى معنى الاعتذار عن عدم البكاء وتبيين العلة في ذلك
من جهة حذره من الواشي بحبه وفي ذلك فضيحة محبوبه واحترس من توهم متوهم
ان جمود عينه لغلبة جلده على حبه وصبره على جزعه اذ ذاك منافٍ لصحة مذاهب
الناس في الغزل وجاء في ضمن ذلك الادماج بالمبالغة اذ مفهوم كلامه وملزومه
انه لولا حذره من الواشي لبكى بدمع يغرق انسانه حتى لا ينحسر الماء عنه ابدا فانه
اطلق عليه لفظ الغرق وهذا احكم كل غريق هذا الى ما وقع في البيت من مساواة
معناه للفظه وايتلافه معه ومع وزنه وحصول المطابقة اللفظية فيه وعذوبة
الفاظه وسهولة سبكه وقرب متناوله وصحة دلالته وتمكين قافيته فاشتمل
هذا البيت على اربعة عشر نوعا من البديع وهي الاغراب والطرفة والتعليق
والادماج والاحتراس والمبالغة والتعليل والمطابقة والمساواة والتغاير
والتفسير وايتلاف اللفظ مع المعنى وايتلاف اللفظ مع الوزن والتمكين ٥
وقد تشبث القاضي السعيد ابن سنا الملك رحمه الله تعالى باذيال مسلم في هذا
المعنى واحسن اتباعه باختيار بعض هذه الانواع حيث قال

علمتني بهجرها الصبر عنها فهي مشكورة على التقبيح

فالجامع بين هذا البيت والبيت الذي قبله وقوع الاحسان من الاساءة فبيت السعيد
وان شارك بيت مسلم في المساواة والتعليق وايتلاف اللفظ مع المعنى وايتلاف مقداعونه
اللفظ مع الوزن وتمكين القافية والتفسير والتعليل والاغراب والمغايرة
المطابقة والاحتراس والادماج والمبالغة على ان طرح معنى بيت السعيد
ماخوذ من قول القايل

اعتقني سوء ما صنعت من الرق فيا برد ها على كبدي

فصرت عبدا للسوء فيك وما احسن سوء قبلي الى احد

وهذان البيتان في معناهما من احسن ما سمع واكمل وامتن شعر وافضل ولولا الافراط
في الاطالة بينت ما فيهما ومن لطيف التعليل الذي ابتكره ابن الرومي قوله

وحبب اوطان الرجال اليهم مارب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا

وهو مما قدم فيه المعلول على العلة واما الابتكار فهو ابتكار التعليل هذا المعنى
الذي اكثر الناس فيه قديما وحديثا فيه وهو محبة الاوطان ولم يذكر علة
تلك المحبة حتى قال ابن الرومي ما قال والله اعلم ٥

باب التطريز

وهو ان يبتدئ المتكلم او الشاعر بذكر جمل من الذوات غير مفصلة ثم يخبر عنها
بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب العدد الذي قدره في تلك الجملة الاولى
فتكون الذوات في كل جملة متعددة تقديرا والجمل متعددة لفظا والصفة
الواحدة المخبر بها عن تلك الذوات متعددة لفظا وعدد الجمل التي وصفت
بها الذوات لا عدد الذوات عدد تكرار ولا اتحاد لا تعداد تغاير وذلك
كقول ابن الرومي

امور كم بني فعلان عندي عجاب في عجاب في عجاب
قرون في رؤوس في وجوه صلاب في صلاب في صلاب

وكقوله

وتسقيني وتشرب من رحيق خليق ان يلقب بالخلوق
كان الكاس في يدها وفيها عقيق في عقيق في عقيق

ومثل ذلك قول القايل وانا اشك هل هو لابي نواس او ابن المعتز

فتوى والمدام ولون خدي شقيق في شقيق في شقيق

باب التوشيع

هو من الوشيعة وهي الطريقة في البرد المطلق فكان الشاعر اهمل البيت كله الا اخره فانه اتى فيه بطريقة تعد من المحاسن وهو عند اهل الصناعة عبارة عن ان ياتي المتكلم او الشاعر باسم مثنى في حشو العجز ثم ياتي تلوه باسمين مفردين هما عين ذلك المثنى يكون الاخير منهما قافية بيته او سجعة كلامه كانهما تفسير له وقد جا من ذلك في السنة ما لا يلحق بلاغة وهو قوله عليه السلم يشيب ابن ادم وتشب منه خصلتان الحرص وطول الامل ومن امثلة هذا الباب في الشعر قول الشاعر

امسي واصبح من تذكاركم وصبا يرثي لي المشفقان الاهل والولد

قد خدد الدمع خدي من تذكركم واعتادني المضنيان الوجد والكمد

وغاب عن مقلتي نومي لغيبتكم وخانني المسعدان الصبر والجلد

لا غرو للدمع ان تجري غواربه وتحته المضرمان القلب والكبد

كانما مهجتي شلو بمسبعة ينتابها الضاريان الذيب والاسد

لم يبق غير خفي الروح في جسدي فدى لك الباقيان الروح والجسد

وهذه الابيات جيدة لو لم يقع في البيت الاول منهما تقصير عما يجب في مثله على الطريقة المحمودة من طريق التشبيب حيث قال يرثي لي المشفقان فانه ليس من الكلام البليغ قول من يشكو محنة قد رثي لي المشفق منها وابلغ منه قول من يقول رثى لي العدو ورق لي الصخر واشباه ذلك وما بشعر قلته في هذا المعنى من باس وهو

ي محنتان ملام في هوى بهما رثى لي القاسيان الحب والحجر

لولا الشفيقان من امنية واسى اودى بي المرديان الشوق والفكر

ويحسن ان يسمى ما وقع في بيتي تطريف التوشيع اذ وقع التوشيع في طرفي كل بيت منهما في اوله واخره والله اعلم

باب العكس والتبديل

وهو ان ياتي الشاعر الى معنى لنفسه او لغيره فيعكسه ومثال ما عكس الشاعر من المعاني لغيره قول ابي العتاهية يشبه الرايات بالسحاب

ورايات يحل النصر فيها تمر كانها قطع السحاب

فعكسه علي بن الجهم فقال يشبه السحابة بالرايات

ومرت تفوت الطرف حتى كانها جنود عبيد الله ولت بنودها

وما ادري كيف وصف ابن الجهم جنود ممدوحه بالتولي في الحرب وهو من صفات اللئام قال الله سبحانه ولا تولوهم الادبار وقال علي عليه السلم وقد قيل له ورأى عليه درع وهي صدر بلا ظهر الا وقيت ظهرك فقال ان وليت فلا وألت ٥

ومن هذا القسم قول الشاعر

قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

فعكسه غيره فقال

وربما فات بعض القوم امرهم مع التاني وكان الحزم لو عجلوا

سمع هذا البيت اعرابي فقال هلا قال بعده

وربما ضر بعض الناس بطوهم

وكان خيرا لهم لو انهم عجلوا

ومن القسم الثاني وهو عكس الشاعر معنى نفسه قول الاول

واذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا

ومثله قول الاخر

منعمة الأطراف زانت عقودها بأحسن مما زينتها عقودها
ولبعض الشعراء فيمن مدحه فتغير عليه ومطله
هاك غدا من ثياب الشعر في كفن وقد تعفت معاني وجهه الحسن
وكان يعرض عني حين أبصره فصرت أعرض عنه حين يبصرني
والبيت الثاني أردت ومن هذا الباب قول بعضهم
فإن أك في شراركم قليلا فإني في خياركم كثير
ويروى للرشيد هرون
لساني كتوم لأسراركم ودمعي بسري نموم مذيع
فلولا دموعي كتمت الهوى ولولا الهوى لم تكن لي دموع
والبيت الأول أردت وكقول أبي نواس
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر
ومن مليح العكس والتبديل قول عبد الله بن الزبير الأسدي
رمى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا
وقد استشهد قوم بهذا البيت على المطابقة وهو بهذا الباب أولى لأن فيه من عكس مطابقة
عجزه لصدره وتبديل الطباق في العجز والصدر معا والله أعلم

باب الإغراق

الإغراق فوق المبالغة ودون الغلو ولا يقع شيء من الإغراق والغلو في الكتاب العزيز
ولا الكلام الفصيح إلا مقرونا بما يخرجه من باب الاستحالة ويدخله في باب الإمكان
مثل كاد وما يجري مجراها ومن أمثلته قول ابن المعتز

صببنا عليها ظالمين سياطنا فطارت بها أيد سراع وأرجل
فموضع الإغراق من البيت قوله ظالمين يعني أنها أسرعت جهدها في العدو فما
ضربناها إلا ظلما فلا جرم أنها خرجت من الوحشية إلى الطيرية ولو لم يقل ظالمين
لما حسن قوله فطارت ولكنه بذكر الظلم جاءت الاستعارة كأنها حقيقة وقد
أنشد بعض المؤلفين بيتين في هذا الباب مستحسنا لهما وهما
أليس عجيبا بأن امرءا شديد الجدال دقيق الكلم
يموت وما علمت نفسه سوى علمه أنه ما علم
وعندي أن هذين البيتين ليس فيهما إغراق البتة بل لو قيل إنهما ليس فيهما مبالغة
لما رد هذا القول لأن الشاعر أخبر عن نفسه أو نفس من قصده بذلك أنه عارف
بجهله وأنه يموت وما علم سوى ذلك من نفسه وهذا أصدق الشعر الذي
استحسنه أكثر الفحول وجاءت أكثر أشعارهم عليه ولو كان قال إنه يموت
وما علم بجهله لكان ذلك إغراقا ولي في هذا المعنى بيت من أبيات ما به من بأس
وهو من أمثلة الباب
جهلت ولم تعلم بأنك جاهل فمن لي بأن تدري بأنك لا تدري
وبيت امرئ القيس في صفة النار الذي قدمت ذكره في باب المبالغة هو
بالإغراق أولى وقد أشرت إلى ذلك متقدما عند ذكره وهو
تنورتها من أذرعات وأهلها بيثرب أدنى دارها نظر عال

باب الغلو

وقد رأيت من لا يفرق بين الغلو والإغراق ويجعل التسميتين لباب واحد
وعندي أن معنى البابين مختلف كاختلاف اسميهما لأن الإغراق أصله في النزع

واصل الغلو بعد الرمية وذلك ان الرامي ينصب غرضا يقصد اصابته فيجعل بينه
وبينه مدى يمكن معه تحقيق ذلك الغرض فاذا لم يقصد غرضا معينا ورمى السهم الى
غاية ما ينتهي اليه بحيث لا يجد مانعا يمنعه من استيفاء السهم قوته في البعد سميت هذه
الرمية غلوة فالغلو مشتق منها ولما كان الخروج عن الحق الى الباطل يشبه خروج
هذه الرمية عن حد الغرض المعتاد الى غير حد سمي غلوا قال الله سبحانه يا اهل الكتاب
لا تغلوا في دينكم غير الحق وهو لا يعد من المحاسن الا اذا اقترن به ما يقربه من الحق كقد
للاحتمال ولو للامتناع وكاد للمقاربة وآداة التشبيه وآلة التشكيك واشباه
ذلك من القراين اللفظية وقد يكون الغلو حقا من جهة المعنى كالغلو في الدين فانه قسمان
حق وباطل فالحق شدة فحص الانسان عن دينه وافراط ورعه وتحرجه كقول بعضهم
انما الزهد في الحلال والغلو الباطل كقول النصارى في المسيح عليه السلم وفي قوله
تعالى لا تغلوا في دينكم غير الحق دليل على ان من الغلو ما هو حق وهو ما اشرنا اليه
ومن شواهده المستحسنة قول مهلهل

فلولا الريح اسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور

وقد قيل ان هذا البيت اكذب بيت قالته العرب وان بيت امرى القيس في صفة النار
اقرب منه الى الحق لان فيه ما يخلص به من الطعن وهو اعترافه ببعد مسافة النار
نبه مواتها لم يبنها الا النظر العالي وقالوا حاسة البصر اقوى من حاسة السمع لان اقوى سمع
واصحه انما يسمع اعظم صوت من ميل واحد بشرط حمل الريح ذلك الصوت الى
جهة السامع في الليل عند هدو الاصوات وسكون الحركات وحاسة البصر
تبصر الجواهر الشفافة والجواهر الصقيلة والاجرام المضيئة من بعد يتجاوز الحد بغير
واسطة ورؤية النيران العظيمة المرتفعة مواقدها للناظر المرتفع مكانه ممكنة من
البعد ما لم يمنع من ذلك ضوء النهار او يحل مخروط ظل الارض دونها ٥

وقد كانت زرقاء اليمامة ترى الجيوش خيلها ورجلها وتحزر اعدادها من مسيرة ثلثة
ايام وتنذر بها قومها ويقع الامر على ما اخبرت به وقد تواتر الخبر عنها بذلك وضرب
بها المثل وقد تقدم ذكر المبالغة لما في قصة الحمام فلهذا رجحوا بيت امرى القيس
على بيت مهلهل وعندي ان بيت مهلهل اقرب الى الصدق والاستحسان من بيت امرء
القيس على شرطهم فانهم شرطوا ان كل كلام تجاوز المتكلم فيه حد المبالغة الى
الاغراق والغلو واقترن بما يقربه من الامكان خرج من حد الاستقباح الى حد
الاستحسان وقد تقدم في بيت مهلهل لولا وهي من الحروف التي زعموا ان الكلام
باقترانها يبعد من العسبة وليس في بيت امرى القيس شئ من ذلك مع انه قد
صرح في البيت الذي قبله ان النار انما شبت في وجه النهار عند رجوع المغيرة
من المغار حيث قال تشب لقفال وضوء النهار يمنع من رؤية
النيران والكواكب وجميع الاجرام المضيئة والجواهر الشفافة وهذا القدر يدخل
بيت امرى القيس في باب الاستحالة مع خلوه مما يقربه من الامكان والبيت الذي
هو عندي من عيوب هذا الباب لمجي الافراط فيه غير مقترن بما يخلصه من ذلك
وليس مما يحتمل تاويلا يقربه لمن الصدق بيت النمر بن تولب الذي يشبه فيه
نفسه بالسيف حيث قال

ابقى الحوادث والايام من نمر اسباد سيف صقيل اثره باد
تظل تحفر عنه ان ضربت به بعد الذراعين والساقين والهادي

وقد تاول بعضهم هذا البيت تاويلا لو صح تخلص به قايله من العيب وهو ان قوله
بعد الذراعين والساقين والهادي لم يرد انك تحفر عنه بعد حفر الى هذه الاعضاء
فانه لم يرد الا اعضاء المضروب لا اعضاء الضارب وهذا عندي لا يخلصه فانه على
هذا التاويل لم يخرج عن كونه غلوا غير مقترن بما يخلص والذي هو اقرب منه

الاسباد البقايا جمع سبد
والاثر فرند السيف

بحيث لا يجوز أن يؤتى به في باب الغلو ولا يخرج عن كونه مبالغة قول النابغة في صفة

الشيوف

يقد السلوقي المضاعف نسجه ويوقدن في الصفاح نار الحباحب

وما تجاوز حد المبالغة فهو غلو لا سيما وهو غير مقترن واذا ثبت ان بيت النابغة

احسن احواله ان يعد من المبالغة لا من الاغراق وان بيت النمر قد تجاوز حده فهو

من الغلو ولما كان ما جاء من الغلو مستحسنا لا يكون الا باقترانه بما تقدم

وما جاء منه غير مقترن مستقبحا وجاء بيت النمر غير مقترن علم انه من الغلو

المستقبح والله اعلم ٥

باب القسم

وهو ان يريد الشاعر الحلف على شيء فيحلف بما يكون له مدحا وما يكسبه فخرا او ما

يكون هجاء لغيره او جاريا مجرى التغزل والترقق فاما الاول فمثاله قول

الاشتر النخعي

بقيت وفري وانحرفت عن العلى ولقيت اضيافي بوجه عبوس

ان لم اشن على ابن هند غارة لم تخل يوما من نهاب نفوس

وابيات الاشتر تضمنت فخره وعيد العدو وقول ابي علي البصير

اكذبت احسن ما يظن مؤملي وهدمت ما شادته لي اسلافي

وعدمت عاداتي التي عودتها قدما من الاتلاف والاخلاف

وصحبت اصحابي بعرض معرض متحكم فيه ومال واف

وغضضت من ناري ليخفى ضوءها وقريت عذرا كاذبا اضيافي

ان لم اشن على علي حلة تضحي قذى في اعين الاشراف

وقد يقسم الشاعر بما يريد الممدوح مدحا كقول القايل

آثار جودك في الخطوب تؤثر وجميل بشرك بالنجاح يبشر

ان كان لي امل سواك اعده مكفرت نعمتك التي لا تكفر

واما ما جاء من القسم في التشبيب فكقول الشاعر

جنى وتجنى والفؤاد يطيعه فلا ذاق من يجني عليه كما يجني

فان لم يكن عندي كسمعي وناظري فلا نظرت عيني ولا سمعت اذني

ومما جاء في الغزل من القسم قول ابن المعتز

لا والذي سل من جفنيه سيف ردى قد سل من عذاريه حمايله

ما صارمت مقلتي دمعا ولا وصلت غمضا ولا سالمت قلبي بلابله

وهذا احسن ما وقع في الغزل اذ القسم والمقسم عليه كله داخل في باب الغزل

لولا ما وقع لجميل بن معمر العذري فانه امر ما تحسن العبارة تفصح عن لطفه وهو

قوله على لسان محبوبته

فلئن وعيش اخي وحرمة والدي لانبهن الحي ان لم تخرج

فخرجت خيفة قولها فتبسمت فعلمت ان يمينها لم تلجج

تمتزج صح

فنعم رحم الله جميلا لقد ظرف في هذين البيتين ما شاء لانه اتى بهما من باب الهزل الذي

يراد به الجد واغرب في القسم فيهما وادمج في القسم حسن الادب وايتلاف اللفظ

مع المعنى وعلق الافتنان بالادماج لكونه افتخر بميل محبوبته اليه فاتى بمعنى لا يقدر

قدره ولا يوفيه واصف حقه ومن احسن ما سمعت في القسم على المدح قول ابن خرداذبه

لكون القسم زهدا

حلفت بمن سوى السماء وشادها ومن مرج البحرين يلتقيان

ومن قام في المعقول من غير رؤية فاثبت من ادراكه كل عيان

لما خلقت كفاك الا لاربع عقايل لم تخلق لهن ثوان

لتقبيل أفواهٍ وإعطاءِ نائلٍ وتقليب هنديٍّ وحبس عنانِ

وإذا انتهيتَ إلى بلاغة الكتاب العزيز انتهيتَ إلى نهاية البلاغة ومنه قوله تعالى فوربّ السماء والأرض إنه لحقّ مثل ما أنكم تنطقون فإنه قسمٌ يوجب الفخر لتضمّنه التمدّح بأعظم قدرةٍ وأكمل عظمةٍ الحاصل من ربوبيّة السماء والأرض وتحقيق الوعد بالرزق حيث أخبر سبحانه أن الرزق في السماء وأنه ربّ السماء فيلزم من ذلك قدرته على الرزق الموعود به دون غيره فعلم الأرزاق سواه وأنه لا يحرم رزقه من خلقه والله أعلم

باب الاستدراك والرجوع

وهو على قسمين قسمٌ يتقدّم الاستدراكَ فيه تقريرٌ لما أخبر به المتكلم وتوكيدٌ وقسمٌ لا يتقدّمه ذلك فمن أمثلة الأول قول القائل

وإخوانٍ تخذتهم دروعًا فكانوها ولكن للأعادي
وخلتهم سهامًا صائباتٍ فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوبٌ وقد صدقوا ولكن من ودادي

ولم أسمع في هذا الباب أحسن من أبيات ابن الدويدة المعرّي في من أودع عنده وديعة فادّعى ضياعها فقال فيه

إن قال قد ضاعت فيصدق أنها ضاعت ولكن منك يعني لو تعي
أو قال قد وقعت فيصدق أنها وقعت ولكن منه أحسن موقع

ومن هذا الباب قول القاضي الأرّجاني وهو لطيف جدًّا

غالطتني إذ كست جسمي ضنًى كسوةً أعرت من الجلد العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى مثل عيني صدقت لكن سقاما

والبيت الثاني أردت ولقد لطف القائل في شكوى الزمان

ولي فرسٌ من نسل أعوجَ سابقٌ ولكن على قدر الشعير يحمحم
وأقسم ما قصّرت فيما يزيدني علوًّا ولكن عند من أتقدّم

فهذه كلها شواهد القسم الأول من الاستدراك وأما شواهد القسم الثاني وهو الذي لا يتقدّم الاستدراك فيه تقرير ولا توكيد فمثل قول زهير

أخو ثقةٍ لا تهلك الخمرُ ماله ولكنه قد يهلك المالَ نائله

ومتى لم يكن في الاستدراك والاستثناء معنًى من المحاسن غير ما وضعا له لا يعدّان من البديع ومن ذلك قول زهير

ولكنه قد يهلك المال نائله

فإنه لو اقتصر على صدر البيت دلّ على أن ماله موفور وتلك صفة ذمٍّ فاستدرك ما يزيل هذا الاحتمال ويخلص الكلام للمدح المحض ومن ذلك في القرآن قوله تعالى قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا فإنه سبحانه لو اقتصر على قوله قل لم تؤمنوا لكان فيه تنفيرٌ لكونهم ظنّوا الإقرار بالشهادتين من غير اعتقادهما إيمانًا فأوجبت البلاغة أن يستدرك ما استدركه ليعلمهم أن حقيقة الإيمان موافقة الجنان اللسان بالتصديق بدليل قوله ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم فلمّا تضمّن الاستدراك إيضاح ما أشكل عليهم عدّ من المحاسن إذ صار الكلام به موصوفًا بحسن البيان لما أقامه من الحجة عليهم ٥

باب الاستثناء

الاستثناء استثناءان لغويّ وصناعيّ فاللغويّ إخراج القليل من الكثير وقد فرغ النحاة من ذكره مفصّلًا في كتبهم والصناعيّ هو الذي يفيد بعد إخراج القليل من الكثير معنًى زائدًا يعدّ من محاسن الكلام يستحق به الإثبات في أبواب البديع كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس فإن في هذا الكلام معنًى زائدًا على مقدار الاستثناء وذلك لعظيم أمر الكبيرة التي أتى بها إبليس من كونه خرق

اجماع الملايكة وفارق جمع الملاء الاعلى بخروجه تمادى خلوفيه من السجود لادم
وذلك بمثابة قولك امر الملك بكذا وكذا فاطاع امره جميع الناس
من امير ووزير الا فلانا فان الاخبار عن معصية هذا العاصي بهذه الصيغة
مما يعظم امر معصيته ويفخم مقدارها كبيرة بخلاف قولك امر الملك بكذا
فعصاه فلان وفي ضمن ذلك وصف الله سبحانه وتعالى بالعدل فيما قضاه
على ابليس من خزي الدنيا وحتمه عليه من عذاب الاخرة ومثال ذلك قوله
سبحانه وتعالى فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فان في الاخبار عن المدة
بهذه الصيغة تهويلا على السامع لتمهيد عذر نوح عليه السلم في الدعاء على قومه
وحكمة الاخبار عن المدة بهذه الصيغة تعظيم المدة ليكون اول ما يباشر السمع
ذكر الالف واختصار اللفظ فان لفظ القران اخصر من قولنا تسع مايه وخمسون
عاما كيف ما قدرت اللفظتين ولان لفظ القران يفيد حصر العدد المذكور ولا يحتمل
الزيادة عليه ولا ان ينقص منه فان اخبارك عمن سكن دار البلدة يوما بانه سكن عشرين
يوما صادق لانه سكن العشرين وزيادة بخلاف قولك سكن اربعين يوما الا عشرة
ايام فان هذا اللفظ لا يحتمل الزيادة وكقوله سبحانه فاما الذين شقوا ففي النار
لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان
ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض
الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فانه سبحانه لما علم ان وصف الشقاء يعم المومن
العاصي والكافر استثنى من خلوده في النار بلفظ مطمع حيث اتى بالاستثناء واكده المطلق
بقوله تعالى ان ربك فعال لما يريد اى انه لا اعتراض عليه في اخراج اهل الشقاء من النار
ولما علم ان السعادة لا خروج لهم من الجنة استثنى من خلودهم بما ينفي الاستثناء حيث اهل
قال عطاء غير مجذوذ اى غير منقطع ليعلم ان عطاءه لهم الجنة غير منقطع والله اعلم

وهذه المعاني زايدة على الاستثناء اللغوي ومن امثال الاستثناء البديعي في الشعر
قول النميري

فلو كنت بالعنقاء او باسومها لخلتك الا ان تصد تراني

فان هذا الاستثناء يتضمن زيادة مدح الممدوح وذلك ان هذا الشاعر يقول انني
لو كنت في حال العدم البحت لان العرب تضرب المثل بالعنقاء لكل شي متعذر
الوجود لخلتك متمكنا من رويتي ليس لك مانع يمنعك منها الا من جهتك فانت
في القدرة على غير مغالب وهذا نهاية المدح وكقول ابي نواس

لمن طلل عاري المحل دفين عفا اية الا الخوالد الجون

فهذا الاستثناء تضمن تعظيم الشاعر لما فيه من تعظيم احبابه ودل على شرف
نفسه وعلو همته اذ لا يسمو الا لحب الكرماء من الناس وذلك انه استثنى من
ايات الطلل ذكر الخوالد الجون وهو يريد الاثافي فكونه وصفها بالخلود يدل
على عظمها وعظمها دليل على عظم القدور وعظم القدور دليل على عظم الكرم
واكد ذلك بجعلها جونا اى سودا لكثرة الوقود عليها وان كان الجون يطلق
على الابيض والاسود لكن القرينة ها هنا خلصته الى السواد فتم للشاعر من
الفخر بالميل الى اهل هذا الطلل ما اراد وهذا مثل قول عمر بن ابي ربيعة

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل ابوها واما عبد شمس وهاشم

وفي هذا البيت اشكال من جهة تخصيص هاتين البطنين من قريش لانه لم يقل ان
هاتين البطنين مختصتان بطول الاعناق دون بقية العرب وساير الامم ولا منفردتان
بلبس يشابهما القرطة دون المثرين من جميع الناس ٥ ومن الاستثناء نوع وقع
في قسمته استثناء الحصر وهو غير الاستثناء الذي يخرج القليل من الكثير كقول القايل

اليك والا ما تحث الركايب وعنك والا فالمحدث كاذب

فان خلاصة هذا البيت قول الشاعر للممدح لا تحث الركائب الا اليك ولا يصدق
المحدث الا عنك ولا يحصل هذا الحصر من الاستثناء الاول فان قوله تعالى فلبث
فيهم الف سنة الا خمسين عاما لا يمنع ان يقال الا خمسين عاما وعاما لولا توخي الصدق
في الخبر ولان هذه الصيغ التي قدرها المعترض لا يقع مثلها وقوله سبحانه فسجد
الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ورهطه مثلا لولا مراعاة الصدق في الخبر ولان
هذه الصيغ التي قدرها المعترض لا يقع مثلها في الكلام الفصيح لانها عبارة اهل
العي والفهاهة والله اعلم

باب جمع المختلفة والموتلفة

رايت من المولفين من فسر هذه التسمية بما لا يليق بها واستشهد عليها
بشواهد من جنس ما فسره به فاطرحت ذلك وفسرتها بما يليق بها واستشهدت عليها
بشواهد مطابقة لتفسيري وكذلك فعلت في اكثر الابواب ومن وقف على
كتابي وكتب الناس في هذا الشان علم صدق دعواي والذي اقول في هذه التسمية
انها عبارة عن ان يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين فياتي بمعان موتلفة في
مدحهما ويروم بعد ذلك ترجيح احدهما على الاخر بزيادة فضل لا ينقص بها مدح
الاخر فياتي لاجل الترجيح بمعان تخالف معاني التسوية كقول الخنساء في اخيها
وقد ارادت مساواته بابيها مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الوالد

جارى اباه فاقبلا وهما يتعاوران ملاءة الحضر
وهما وقد برزا كانهما صقران قد حطا الى وكر
حتى اذا نزت القلوب وقد لزت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس ايهما قال المجيب هناك لا ادري

برقت صفيحة وجه والده ومضى على غلوائه يجري
اولى فاولى ان يساويه لولا جلال السن والكبر

واول من فتح باب هذا المعنى فيما اظن زهير حيث قال

هو الجواد فان يلحق بشاوهما على تكاليفه فمثله لحقا
او يسبقاه على ما كان من مهل فمثل ما قدما من صالح سبقا

لكن لشعر الخنساء من الفضل في هذا المعنى ما لا لغيره وتداول الناس هذا المعنى بعدها
وابتذله الشعراء فكان فيه اول تابع من المولدين ابو نواس حيث يقول

ثم جرى الفضل والثنى قدما دون مداه بغير ترهيق
فقيل ان شاسهما نراد به الغاية والفضل سابق الفوق

وقال البحتري لابن ابي سعيد الثغري

جل لجد اي سعيد انه ترك السماك كانه لم يشرف
قاسمته اخلاقه وهي الردى للمعتدي وهي الندى للمعتفي
فاذا جرى من غاية وجريت من اخرى التقى شاواكما في المنصف

ومعنى البحتري هذا خالف فيه معاني من تقدمه من ابي نواس والخنساء وزهير فانهم
رجحوا الاول في الفضل على الثاني ترجيحا لا ينقص من فضل الثاني ولا يغض منه والبحتري
ساوى بين الثاني والاول من غير ترجيح وكذلك قوله ايضا

واذا رايت شمايل ابني صاعد ادتك شمايل ابني مخلد
كالفرقدين اذا تامل ناظر لم تعل رتبة فرقد عن فرقد

ومقطوعا البحتري ليسا من شواهد هذا الباب لما فيهما من المساواة دون الترجيح
وانما ساق ذكرهما ذكر المعنى الذي الم به البحتري من المعنى الاول والله اعلم
ومن جمع المختلفة والموتلفة ضرب ياتي الشاعر فيه باسماء موتلفة ثم يصفها

الثواني واشانيهم بشين مهملة وضم
المعنى المراد تفضيلها دون الشين المعجم

بصفات مختلفة كقول الشاعر

لله ليلتنا اذ صاحباي بها بدر وبدر سماوي وارضي
اذ الهوى والهواء الطلق معتدلا هذا وهذا ربيعي طبيعي
بتنا جميعا وكل في السماع وفي شرب المدام حجازي عراقي
اسقي واسقى بما غاب ثالثنا فالدور منا يميني شمالي

ومن جمع المؤتلفة والمختلفة قول العباس الاحنف

وصالكم صرم وحبكم قلى وعطفكم صد وسلمكم حرب

فان الوصل والحب والعطف والسلم من المؤتلفة والصرم والقلى والصد والحرب من المختلفة والله اعلم ٥

باب التوهيم

وهو ان ياتي المتكلم في كلامه بكلمة توهم ما بعدها من الكلام ان المتكلم اراد تصحيفها ومراده على خلاف ما يتوهمه السامع فيها كقول المتنبي

وان الفيام التي حوله لتحسد ارجلها الاروس

فان لفظة الارجل اوهمت السامع ان لفظة الفيام بالقاف لا بالفاء ومراد الشاعر الفيام بالفاء التي هي الجماعات هكذا روي هذا البيت والمبالغة تقتضيه فان البيت لو روي بالقاف لذهبت منه المبالغة اذ القيام بالقاف يصدق على اقل الجمع من العدد والفيام بالفاء الجماعات واقل ما يكون كل جماعة اقل الجمع فمفهومها اكثر من مفهوم الاولى وما في ذكر القيام بالقاف من تعظيم الممدوح بقيام الناس على راسه حاصل من عجز البيت في قوله لتحسد ارجلها الاروس فان مفهوم ذلك قيام من عاد الضمير من ارجلها عليه ٥ ومن التوهيم قسم اخر وهو ان ياتي المتكلم بلفظة

يتوهم بها ان في كلامه لحنا فاذا انتقد من جهة المعنى وجد فيه ضربا من البلاغة بصحة وتمشيه على طريق الاعراب كقول الرسول عليه السلام ما من ايام العمل الصالح فيهن احب الى الله تعالى من هذه الايام العشرة فان لفظة العشر توهم انها جاءت على غير الصواب اذ كانت مؤنثة والمعدود بها مذكر والانفصال عن هذا الاشكال انه لما كان العمل في العشر لا يخص الايام دون الليالي والمراد التحضيض على العمل فيهما اقتضت البلاغة الاتيان بما يدل عليهما فصرح بلفظ الايام ليدل بها على طرف الصيام وابدل منها لفظا مؤنثا ليدل به على طرف القيام ولما كان لفظ الايام مؤنثا ساغ ان يبدل منه المؤنث لكون الصناعة لفظية ولهذا الموضع من البدل نظاير في القران منها قوله تعالى اياما معدودات وقوله سبحانه وتلك الايام نداولها بين الناس والله اعلم وقد يخالف طريق الاعراب لاجل صحة المعنى المراد ومن ذلك قوله تعالى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون فالقياس ان تكون ينصرون مجزومة لانها معطوفة على مجزوم لكن لما كان المراد الاخبار بانهم لا ينصرون ابدا الغي العطف وابقى صيغة الفعل على حالها لتدل على الحال والاستقبال ولو جزم لما دل الا على الحال والله اعلم ومن التوهيم توهيم يوهم انه طباق او تورية او غير ذلك من المحاسن وليس عند التحقيق كذلك كقول ابي تمام

تردى ثياب الموت حمرا فما اتى لها الليل الا وهي من سندس خضر

فان قوله حمر وخضر يوهم ان ذلك طباق وليس بطباق اذ الاحمر لا يضاد الاخضر فهذا شاهد توهيم المطابقة واما شاهد توهيم التورية فكقولي

ذمي ولا وتر عندي قوس حاجبه قلبي فقدت ان القوس موتور

فان لفظة موتور توهم ان فيها تورية وليست بتورية لان الصحيح الذي يقال قوس موترة لا موتورة لانها من فعل رباعي والموتور هو الذي نار لطلب وتره والترة والتار بمعنى وقد جاء التوهيم في القران الكريم قوله تعالى ومن يكرههن

فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم فان لفظ غفور رحيم يوهم ان الغفران والرحمة
للمكره لهن وهما في الحقيقة لهن وانما ظاهر اللفظ يوهم الاول قبل التدبر والله اعلم

باب الاطراد

وهو ان يطرد للشاعر اسماء متتالية يزيد الممدوح بها تعريفا لانها لا تكون
الا اسماء آبائه تاتي منسوقة صحيحة التسلسل غير منقطعة من غير ظهور كلفة
على النظم ولا تعسف في السبك بحيث يشبه تحدرها باطراد الماء لسهولته
وانسجامه ومتى جاء على ذلك دلت على قوة عارضة الشاعر وقدرته كقول الاعشى

اقيس بن مسعود بن قيس بن خالد وانت الذي ترجو حباءك وائل

واحسن من هذا البيت قول دريد لكون الاسماء المطردة جات في عجز البيت

قتلنا بعبد الله خير لداته ذؤاب بن اسماء بن زيد بن قارب

حتى قال عبد الملك بن مروان لما سمع هذا البيت لولا القافية بلغ به آدم ٥ ومن
هذا الباب قول الحرث بن دوس الايادي

وشباب حسن اوجههم من اياد بن نزار بن معد

وقد ازرى على هؤلاء الشعراء بعض العالمين

من يكن رام حاجة بعدت عنه واعيت عليه كل العياء
فلها احمد المرجى بن يحيى بن معاذ بن مسلم بن رجاء

فلو لم يقع في هذا البيت التضمين والفصل بين الاسماء بلفظة المرجى لكان غاية لا تدرك
وعقيلة لا تملك هكذا اعظم المولفون قبلي امر هذا البيت واثنوا عليه بما حكيته
عنهم وعندي انه دون بيت دريد بطبقات وهي ان دريدا اطردت له اربعة اسماء سهلة
السبك مسلسلة الالفاظ بغير فصل في اربعة اجزاء من الطويل جزان خماسيان

وجزان سباعيان وهذا الشاعر اطردت له خمسة اسماء في ستة اجزا سباعية
من الخفيف مع الفصل والتكلف والتضمين ولي في هذا الباب بيت لا باس به وهو

اجل ملك الى العلياء منسوب محمد بن ابي بكر بن ايوب

وهو وان قلت الاسماء فيه الا انه كونه في ابتداء القصيدة وهو مصرع يحسن
ان يكون من امثلة الباب هذه شواهد ما جاء من الاطراد باسماء اذا فصلت
من الاضافة استقل المضاف اليه بنفسه واما ما جاء الاطراد فيه باسماء
اذا فصلت من الاضافة لم يستقل المضاف اليه بنفسه فكقول ابي تمام

لملبث ربع ربيعة المهمي لها ووردن ظل ربيعة الممدودا
بكريها علويها صعبيها الحصني شيبانيها الصند يدا
ذهليها مريها مطريها يمنى يديها خالد بن يزيدا
نسب كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا

والبيتان الاوسطان اردت والله اعلم ٥

باب التكميل

وهو ان ياتي المتكلم او الشاعر بمعنى من معاني المدح او غيره من فنون الشعر واغراضه
ثم يرى مدحه بالاقتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل فيكمل بمعنى اخر كمن اراد مدح
انسان بالشجاعة وراى مدحه بالاقتصار عليها دون الكرم مثلا غير كامل فكمله بذكر
الكرم او بالباس دون الحلم وما اشبهه وقد جاء منه في الكتاب العزيز قوله تعالى
فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين فانظر الى
هذه البلاغة فانه سبحانه وتعالى علم وهو اعلم انه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين
وان كانت صفة مدح اذ وصفهم بالرياضة لاخوانهم المؤمنين والانقياد لاموريهم

كان المدح غير كامل فكمل مدحهم بان وصفهم بالعزة على الكافرين فاتى بالامتناع
منهم والغلبة لهم وكذلك قوله سبحانه محمد رسول الله والذين معه اشداء على
الكفار رحماء بينهم ومثال التكميل في الشعر قول كعب بن سعد الغنوي

حليم اذا ما الحلم زين اهله مع الحلم في عين العدو مهيب

فقوله حليم مدح حسن وقوله اذا ما الحلم زين اهله اي هو حليم في الموضع الذي
يحسن فيه الحلم احتراس لولاه لكان المدح مدخولا اذ بعض التغاضي قد يكون
عن عجز يوهم انه حلم فان التجاوز لا يكون حلما محققا الا اذا كان عن قدرة وهو
الذي قصده الشاعر بقوله اذا ما الحلم زين اهله ويعضد هذا التفسير قول
سالم بن وابصة

وحلم ذي العجز ذل انت عارفه والحلم عن قدرة ضرب من الكرم

ثم رأى ان المدح بمجرد الحلم لا يكمل به المدح لان من لم يعرف منه الا الحلم ربما
طمع فيه عدوه ونال منه ما يذم بسببه فكمل مدحه بان قال

مع الحلم في عين العدو مهيب

ولقد احسن هذا الشاعر في احتراسه
في صدر البيت وعجزه معا باحتراسين حسنين اما الذي في الصدر فقد تقدم
تنبيهنا عليه وهو قوله اذا ما الحلم زين اهله واما الذي في العجز فقوله

مع الحلم في عين العدو مهيب

لان المهابة قد تكون مع الجهل
ومن مليح التكميل قول السموأل

وما مات منا سيد في فراشه ولا طل منا حيث كان قتيل

فانه لو اقتصر على صدر البيت كان مدحا غير كامل لان موت الجميع قتلى وان اقتضى
وصفهم بالصبر فهو يحتمل ان يكون عن ضعف وقلة جلد في الحرب فاحترس عن ذلك
بان قال ولا طل منا حيث كان قتيل

واحسن من ذلك كله قوله حيث كان فانه ابلغ وصف في الشجاعة ٥
ومن التكميل في النسيب قول كثير

لو ان عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موفق لقضى لها

فقوله عند موفق تكميل حسن الا انه دون الاول وانما كان مثل هذا تكميلا لانه
لو قال عند محكم لتم المعنى لكن في قوله عند موفق زيادة كمل بها حسن البيت
والسامع يجد لهذه اللفظة من الموقع الحلو في النفس ما ليس للاولى اذ ليس كل
محكم موفقا فان الموفق من الحكام من قضى بالحق لاهله وفي ذلك اشارة الى
ان عزة تستحق الحسن دون شمس الضحى فتكون في البيت بهذه اللفظة مع التكميل
مبالغة والتكميل ههنا من تكميل المعاني النفسية لا تكميل المعاني البديعية
ومن التكميل الحسن قول ابي الحسين المتنبي

اشد من الرياح الهوج بطشا واسرع في الندى منها هبوبا

فانه فطن الى انه لو اقتصر على وصفه بشدة البطش دون ان يضيف الى البطش
الكرم كان المدح غير كامل فكمل المدح في عجز البيت بذكر الكرم ولم يتجاوز في
ذلك كله وصفي الريح التي شبه ممدوحه بها في حالتي بطشه وكرمه وما
حسن بيت ابي الطيب الا لانه اشرقت عليه انوار اوصاف كلام النبوة فانه نظر
الى الحديث الذي يرويه ابن عباس رضي الله عنه حيث يقول كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اجود الناس وكان اجود ما يكون في شهر رمضان كان كالريح المرسلة
ومما وهم فيه المولفون في هذا الموضع انهم خلطوا التكميل بالتتميم اذ ساقوا في باب التتميم
شواهد التكميل لان كلا منهم ذكر قول عوف بن محلم الشعدي

ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان

من شواهد التتميم ومعنى البيت تام بدون لفظة وبلغتها واذا لم يكن المعنى ناقصا فكيف

يُسمى هذا تتميماً وانما هو تكميلٌ وما غلطهم الا من كونهم لم يفرقوا بين تتميم الالفاظ
وتتميم المعانى فلو سموا مثل هذا تتميماً للوزن لكان قريباً وانما ساقوه على انه من تتميم
المعانى البديعية وكذلك اتوا بقول المتنبى

وتحتقر الدنيا احتقار مجرّبٍ يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا

فى باب التتميم وهو مثل الاول وان زاد على الاول ادنى زيادةٍ لما فى لفظة حاشاك بعد
ذكر الفناء من حسن الادب مع الممدوح وربما سومح بان يجعل هذا البيت فى شواهد
التتميم بهذه اللفظة واما الاول فمحض التكميل ولا مدخل له فى التتميم اللهم الا ان يكون
مرادهم بالتتميم تتميم الوزن لا تتميم المعنى فيجوز بهذا الاعتبار ان يسمى كل ما ورد من
الحشو الحسن سواء كان متمماً للمعنى او مكملاً تتميماً لانه به تم الوزن ويكون من
قسم تتميم الالفاظ وما قدمناه من تتميم المعانى ومن مليح التكميل قول النابغة
الذبيانى فى وصف حمارٍ واتانٍ وحشيين

فان هبطا سهلاً اثارا عجاجةً وان علوا حزناً تشظت جنادل

فانه لو اقتصر على وصف صلابة حوافرهما بالمشى فى السهل كان المدح لهما غير كاملٍ حتى
يصفهما بالمشى فى الحزن فلا جرم انه لما اراد تكميل المدح واوجبت عليه الصناعة فيه
ان يقول فى عجز البيت الحزن كما قال صدره السهل فوصفهما بما يوجب لهما بلوغ
الغاية فى صلابة الحوافر هذا ما نقلته من كلام الناس على هذا البيت و فيه
ما فيه لان الاقتصار على وصفهما بالمشى فى السهل وهو يريد وصفهما بصلابة الحوافر
نقص تام فى المعنى المراد فبقية البيت على هذا تتميم لا تكميل والله اعلم والفرق
بين التكميل والتتميم ان التتميم يرد على المعنى الناقص فيتممه والتكميل يرد على المعنى
التام فيكمله اذ كان الكمال امراً زائداً على التمام والتتميم لا يكون الا فى المعانى دون
الفنون اعنى بالمعانى معانى النفس لا معانى البديع التى هى انواعه واعنى بالفنون اغراض

المتكلم ومقاصده والتكميل يكون فيهما معاً هذا اذا لم يرد بالتتميم تتميم الوزن كما قدمت
ومن احسن التكميل تكميل وقع فى قول شاعر الحماسة

لو قيل للمجد حد عنهم وخلهم بما احتكمت من الدنيا لما حادا

فقوله بما احتكمت من الدنيا من التكميل العجيب والله اعلم

باب المناسبة

المناسبة على ضربين مناسبة فى المعانى ومناسبة فى الالفاظ فالمعنوية ان يبتدى
المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ كقول الله سبحانه لا تدركه
الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير فانه سبحانه لما قدم نفى ادراك
الابصار له عطف على ذلك قوله وهو يدرك الابصار اللطيف خطاباً للسامع بما يفهم
اذ معتبر من العادة ان كل لطيف لا تدركه الابصار الا ترى ان حاسة البصر لا
تدرك الا اللون من كل متلون والكون من كل متكون فادراكها انما هو للمركبات
دون المفردات وكذلك لما قال وهو يدرك الابصار عطف على ذلك قوله وهو
الخبير تخصيصاً لذاته سبحانه بصفة الكمال لانه ما كل من ادرك شيئاً كان خبيراً
بذلك الشى ومثل ذلك قوله عز وجل قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً الى
يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بضياءٍ افلا تسمعون لما كان سبحانه هو الفاعل
الاشياء على الحقيقة واضاف جعل الليل سرمداً الى يوم القيمة صار الليل كانه سرمد
بهذا التقدير وظرف الليل ظرف مظلم لا ينفذ فيه البصر لا سيما وقد اضاف
الاتيان بالضياء الذى تنفذ فيه الابصار الى غيره وغيره ليس بفاعل على الحقيقة
فصار الليل كانه معدوم اذ نسب وجوده الى غير موجدٍ والليل كانه لا موجود

سواء اذ جعل كونه سرمدا منسوبا اليه سبحانه فاقتضت البلاغة ان يقول افلا تسمعون
لمناسبة ما بين السماع والظرف الليلي الذي يصلح للاسماع ولا يصلح للابصار وكذلك
قال في الاية التي تليها قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة
من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون لانه ايضا لما اضاف جعل النهار
سرمدا اليه صار النهار كانه سرمد وهو ظرف مضيء تنور فيه الابصار واضاف
الاتيان بالليل الى غيره وغيره ليس بفاعل على الحقيقة فصار الليل كانه معدوم اذ
نسب وجوده الى غير موجد والنهار كانه لا موجود سواه اذ جعل وجوده سرمدا
منسوبا اليه فاقتضت البلاغة ان يقول افلا تبصرون اذ الظرف مضيء صالح للابصار
وهذا من دقيق المناسبة المعنوية ومنها قوله تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا
من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات افلا يسمعون اولم يروا انا نسوق
الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون
فانظر الى قوله سبحانه في صدر الاية التي الموعظة فيها سمعية اولم يهد لهم ولم
يقل اولم يروا وقال تعالى بعد ذكر الموعظة السمعية افلا يسمعون وكيف قال في
صدر الاية التي موعظتها مرئية اولم يروا وقال بعد الموعظة افلا يبصرون وكذلك
قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المومنين القتال
وكان الله قويا عزيزا فان الكلام لو اقتصر فيه على قوله وكفى الله المومنين القتال
اوهم ذلك بعض الضعفاء موافقة الكفار في اعتقادهم ان الريح التي حدثت كانت
سبب رجوعهم ولم يبلغوا ما ارادوا وقد ربما توهموا ان النصر لا يكون من عند الله وانما
يقع اتفاقا كما يجري في حروب الكفار بعضهم لبعض فاخبر في فاصلة الاية عن نفسه
بالقوة والعزة ليعلم المومنين ويزيدهم يقينا وثباتا على انه الغالب الممتنع وان
جنده كذلك وانما هو نوع النصر للمومنين ليزيدهم ايمانا بعميم قدرته فينصرهم

مرة بالقتال كيوم بدر وتارة بالريح كيوم الاحزاب ومرة بالرعب كبني النضير وطورا
ينصر عليهم كيوم احد وحينا يعلمهم ان الكثرة لا تغني شيا وان النصر من عنده كيوم حنين
وامثال ذلك في الكتاب العزيز كثير لمن استقراه ومن امثلة المناسبة المعنوية في
الشعر قول المتنبي

على سابح موج المنايا بنحره غداة كان النبل في صدره وبل

فان بين لفظة السباحة ولفظة الموج ولفظة الوبل تناسبا معنويا صار البيت به
متلاحما شديد ملاومة الالفاظ واحسن منه قول ابن رشيق القيرواني

اصح واقوى ما رويناه في الندى من الخبر الماثور منذ قديم
احاديث ترويها السيول عن الحيا عن البحر عن جود الامير تميم

وهذا احسن شعر سمعته في المناسبة المعنوية لانه ناسب فيه بين الصحة والقوة والرواية
والخبر الماثور والقدم مناسبة معنوية اذ هذه الالفاظ يناسب بعضها بعضا وكذلك
ناسب في البيت الثاني بين الاحاديث والرواية والعنعنة مناسبة معنوية ايضا ان
واحسن من المناسبة الواقعة في البيتين ما وقع في البيت الثاني من صحة ترتيب العنعنة
حيث اتى بها صاغرا عن كابر واخرا عن اول كما يقع سند الاحاديث ان السيول
فرع الحيا اصله ولذلك جعلها تروي عن الحيا اذ هي بمنزلة الولد وهو بمنزلة
الوالد وكذلك الحيا فرع البحر اصله ولذلك جعل الحيا يروي عن البحر اذ الحيا
بمثابة الولد والبحر بمثابة الوالد ثم نزل البحر بمنزلة الولد وجود الممدوح
بمنزلة الوالد لقصد المبالغة في المدح ولذلك جعل البحر راويا عن جود الممدوح
وهذا الذي يقتضيه الصناعة من الادب مع الممدوح وحسن المبالغة في وصف
جوده واما المناسبة اللفظية فهي توخي الاتيان بكلمات متزنات وهي على
ضربين تامة وغير تامة فالتامة ان تكون الكلمات مع الاتزان مقفاة والاخرى

ليست بمقفاة فالتقفية غير لازمة للمناسبة ومن شواهد المناسبة التي ليست بتامة
في الكتاب العزيز قوله تعالى ق والقران المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون
هذا شي عجيب ومن شواهد التامة قوله سبحانه ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة
ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون ومن شواهد التامة في السنة قول الرسول
صلى الله عليه وسلم مما كان يرقي به الحسنين عليهما السلم اعيذكما بكلمات الله
التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة فقال صلى الله عليه وسلم لامة
ولم يقل ملمة وهي القياس لمكان المناسبة اللفظية التامة ومثله قوله عليه السلم
ارجعن مازورات غير ماجورات والمستعمل موزورات لانه من الوزر غير مهموز
فلفظ به صلى الله عليه وسلم مهموزا لمكان المناسبة اللفظية التامة واما ما جا في
السنة من امثلة المناسبة الناقصة فكقوله صلى الله عليه وسلم ان احبكم الي
واقربكم مني مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا فناسب صلى الله
عليه وسلم بين اخلاق واكناف مناسبة اتزان دون تقفية ومما جمع بين المناسبتين
قوله صلى الله عليه وسلم في بعض ادعيته اللهم اني اسالك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع
بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غايبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني
بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسالك الفوز في القضا
ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء ٥ فناسب صلى الله عليه وسلم
بين قلبي وامري وغايبي وشاهدي مناسبة غير تامة في الزنة دون التقفية ثم ناسب
بين القضاء والشهداء والسعداء والاعداء مناسبة تامة بالزنة والتقفية
وكقوله صلى الله عليه وسلم في المناسبة التامة التي وقع فيها نوع من التصريع
لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك ومن امثلة المناسبتين الناقصة والتامة
الشعرية قول ابي تمام

مها الوحش الا ان هاتا اوانس ... قنا الخط الا ان تلك ذوابل

فناسب حبيب بين مها وقنا مناسبة تامة وبين الوحش والخط واوانس وذوابل مناسبة
غير تامة وهذا البيت من افضل بيوت المناسبة لما انضم اليها فيه من المحاسن فان
فيه مع المناسبتين التشبيه بغير اداة والمساواة والاستثناء والطباق اللفظي
وائتلاف اللفظ مع المعنى والتمكين فاما المناسبة فقد ذكرناها واما التشبيه
ففي قوله مها وقنا فان التقدير كمها وكقنا وحذف الاداة ليدل على قرب
المشبه من المشبه به واما الاستثناء البديعي ففي قوله الا ان هاتا اوانس وقوله
الا ان تلك ذوابل ليثبت للموصوفات التانيس والتحجب وينفي عنهن النفار
والتوحش وكذلك فعل في الاستثناء الثاني فانه اثبت به لهن اللين واللدونة
ونفى عنهن اليبس والصلابة فاثبت لهن بالاستثناء من الصفات ما يستحسن ونفى
عنهن ما يستهجن واما المطابقة ففي قوله الوحش والاوانس وهاتا وتلك فان
هاتا للقريب وتلك للبعيد واما المساواة فلان لفظ البيت لا يفضل عن معناه
ولا يقصر عنه واما الائتلاف فلكون الفاظه من واد واحد متوسطة بين الغرابة
والاستعمال وكل لفظة منها لايقة بمعناها لا يكاد يصلح موضعها غيرها ٥
واما التمكين فلان قافية البيت مستقرة في موضعها غير نافرة من محلها من غير ان
يتقدمها شي من لفظها ما يدل عليها كما يقع في التوشيح والتصدير وقد غلط الامدي
في تغليط ابي تمام في هذا البيت حيث زعم انه نفى عن النساء لين القدود معتقدا
ان الرماح سميت ذوابل للينها والمعروف عند اهل اللسان ضد ذلك لان العرب
تقول رمح ذابل اذا كان صلب الكعوب ومن ذلك قولهم ذبلت شفتاه
اذا يبستا ولا تعرف العرب الذابل الا اليابس الذي جفت رطوبته وكذلك قولهم
نواة ذابلة اذا جف ماؤها واخذت في اليبس وابو تمام لا يشك احد انه

ابصر من الآمدي باللغة واقعد منه بمعرفة اللسان العربي ويقرب من هذا البيت قول البحتري

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا واقدم لما لم يجد عنك مهربا

فناسب بين احجم واقدم مناسبة تامة وكذلك بين قوله فيك وعنك ومطمعا ومهربا الا ان مناسبة ما بين الجملتين غير تامة وقد حصل في هذا البيت ايضا المطابقة في احجم واقدم والمساواة والايتلاف والتمكين فقد استوى مع بيتي ابي تمام فيما ذكرنا وزاد عليه بيت ابي تمام بالتشبيه والاستثناء ففضل بيتا ابي تمام بالمعاني وفضل بيت البحتري بالالفاظ لان الفاظه اكثر استعمالا واعذب مذاقا وللمناسبة التامة فيه بضاعة وظهور اكثر من المناسبة التي في بيتي ابي تمام واذا قست ما بين البيتين بما قدمت من كلام الرسول سقطا دون كل جملة منه اذ كل جملة تلي بعض مفردات الالفاظ تشير الى معان شتى والا انظر الى قوله عليه السلم تهدي بها قلبي وما حصل من منافع الدنيا والاخرة ويتوقى من مضار الدنيا والاخرة بهداية القلب والى قوله وتجمع بها امري وما يكون مع اجتماع الامر من عدم التذبذب في كل شيء وحصول التثبت والى قوله صلى الله عليه وسلم وتصلح بها غايبي وما تشير هذه الجملة اليه من اصلاح الباطن وما يكون في ذلك من الاخلاص وكذلك قوله وترفع بها شاهدي فان من اصلح الله سبحانه باطنه اصلح الله تعالى للناس ظاهره وما وقع في ضمن ما بين الجملتين مع المناسبة من المطابقة بين غايبي وشاهدي وبذلك فاعتبر بقية الدعاء وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم الفوز بالقضاء فانه رب قضاء نزل بغير صابر محتسب فاوبقه وقل من يفوز عند نزول القضاء وكذلك قوله ونزل الشهداء اي منزلتهم وهي ارفع المنازل وما اعدلهم ومثله قوله وعيش السعداء والنصر على الاعداء فالحظ بدقيق النظر ما اشتملت عليه

هذه الالفاظ من المعاني تجدها لا تدخل تحت الاحصاء الى سلاسة هذا النظم وعذوبة هذا اللفظ وعلوه مع كونه مستعملا معروفا وفصاحته على انه متداول مالوف ووضوح معانيه وحسن البيان فيه بحيث لا يفتقر احد الى السؤال عن لفظة فيه قد استوى في فهمه الذكي والبليد والقريب من العلم والبعيد وما فيه من الماء والديباجة التي لا توفي العبارة بها ولا يقدر البليغ على ان يصفها وهذا امر يدركه كل ذي ذوق سليم وذهن مستقيم والله اعلم ٥

باب التفريع

التفريع نوعان احدهما ان يبدأ الشاعر بلفظة هي اما اسم واما صفة ثم يكررها في البيت مضافة الى اسماء وصفات تتفرع من جملتها انواع من المعاني في المدح وغيره كقول ابي الطيب المتنبي

انا ابن اللقاء انا ابن السخاء انا ابن الضراب انا ابن الطعان
انا ابن الفيافي انا ابن القوافي انا ابن السروج انا ابن الرعان
طويل النجاد طويل العماد طويل القناة طويل السنان
حديد اللحاظ حديد الحفاظ حديد الحسام حديد الجنان

وهذا النوع لم اسبق الى استخراجه وانما لم اثبته فيما ابتكرته من الابواب لكونه نوعا من التفريع والذي يجب ان يسمى به تفريع الجمع لان كل بيت ينطوي على فروع من معان شتى من المدح تفرعت من اصل واحد والنوع الآخر من التفريع وهو الذي تقدمني الناس باستخراجه وتسميته انما يتفرع منه معنى واحد من اصل واحد اما في بيت او ابيات واما في جملة من الكلام او جمل وهو ان يصدر الشاعر او المتكلم كلامه باسم منفي بما خاصة ثم يصف الاسم المنفي باعظم اوصافه

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور بابرا
١١٧٥ وكفى عبده

اللائقة به اما في الحسن او القبح ثم يجعله اصلا ليفرع منه معنى في جملة من جار ومجرور
متعلقة به تعلق مدح او هجاء او فخر او نسيب او غير ذلك يفهم من ذلك مساواة
المذكور بالاسم المنفي الموصوف كقول الاعشى

ما روضة من رياض الحزن معشبة غناء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما باطيب منها طيب رائحة ولا باحسن منها اذ دنا الاصل

وقد سمى بعض المتاخرين هذا القسم من التفريع النفي والجحود لتقدم حرف النفي
على جملته واكثر ما يقع الاصل في بيت والتفريع منه في بيت اخر اما قريبا منه
واما بعيدا عنه وقد يقع منه ما يكون الاصل والفرع معا في بيت واحد كقول
ابي تمام

ما ربع مية معمورا يطيف به غيلان ابهى ربى من ربعها الخرب
ولا الخدود وان ادمين من خجل اشهى الى ناظري من خدها الترب

ومن التفريع نوع غير النوعين الاولين وهو تفريع معنى من معنى من غير تقدم نفي
ولا جحود كقول ابن المعتز

كلامه اخدع من لحظه ووعده اكذب من طيفه

وهو مختص بمعاني النفس دون معاني البديع والله اعلم

باب التكرار

وهو ان يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتاكيد الوصف او المدح او الذم او التهويل
او الوعيد فاما ما جاء منه للذم فكقول عبيد بن الابرص

هلا سالت جموع كندة يوم ولوا اين اينا

وكقول مهلهل بن ربيعة اخي كليب

يا لبكر انشروا لي كليبا يا لبكر اين اين الفرار

واما ما جا منه للمدح فكقول كثير في عمر بن عبد العزيز

فاربح بها من صفقة لمبايع واعظم بها اعظم بها ثم اعظم

وكقول ابي تمام

بالصريح الصريح والاروع الاروع منهم وباللباب اللباب

واما ما جا منه في النسيب وهو لطيف جدا فلبعض المحدثين قوله

يقلن وقد قيل اني هجعت عسى ان يلم بروحي الخيال
حقيق حقيق وحلت السلو فقلت لهن محال محال

وقد يجي التكرار بالاسماء المضمرات والمبهمات كما يجي بالمظهرات كقول الهذلي

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وانكرت الوجوه هم هم

واما ما جا منه للمدح في الكتاب العزيز فكقوله سبحانه والسابقون السابقون
اولئك المقربون واما ما جا منه للتهويل والوعيد فكقوله تعالى الحاقة ما الحاقة
وقوله عز وجل القارعة ما القارعة واما ما جا منه للاستبعاد فكقوله تعالى
هيهات هيهات لما توعدون ومما جا في السنة من التكرار قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم حكاية عن ام زرع ابو زرع وما ابو زرع في معرض المدح
والله اعلم

باب نفي الشي بايجابه

وهو ان يثبت المتكلم شيا في ظاهر كلامه وينفي ما هو من سببه مجازا والمنفي في
باطن الكلام حقيقة هو الذي اثبته كقوله سبحانه وتعالى الهم اعين يبصرون
بها ام لهم آذان يسمعون بها فان ظاهر هذا الكلام يقتضي نفي هذه الجوارح

وملزومه يقتضي اثبات الالهية لمن يكون له مثل هذه الجوارح وباطن الكلام يوجب
نفي الالهية عمن تكون له فضلا عن من لا تكون له لانه المراد وكقوله سبحانه لا يسألون
الناس الحافا فالظاهر نفي الالحاف في المسئلة لا نفي المسئلة والباطن نفي المسئلة
البتة وعليه اجماع المفسرين وهو منقول عن ابن العباس رضي الله عنهما وكقوله تعالى
ولا شفيع يطاع فالظاهر نفي شفيع مطاع والمراد نفي الشفيع مطلقا والله اعلم
ومن امثلة هذا الباب الشعرية قول امرء القيس

على لاحب لا يهتدى بمناره اذا سافه العود النباطي جرجرا

وظاهر هذا الكلام يقتضي اثبات منار لهذه الطريق ونفي الهداية به مجازا وباطنه
في الحقيقة يقتضي نفي المنار جملة وتقدير المعنى ان هذه الطريق لو كان لها منار كان
لا يهتدى به فكيف ولا منار لها كما تقول لمن تريد ان تسلبه الخير ما اقل خيرك فظاهر
كلامك يدل على اثبات خير قليل وباطنه نفي الخير كثيره وقليله ومن امثلة هذا
الباب ايضا قول الزبير بن عبد المطلب يمدح عميلة بن عبد الدار وكان نديما له

صبحتهم طلقا يراح الى الندى اذا ما انتشى لم تحتضره مفاقره
ضعيفا بحث الكاس قبض بنانه كليلا على وجه النديم اظافره

فظاهر البيتين يقتضي ان للممدوح مفاقر لم تحتضره اذا انتشى وان له اظافر
تخمش وجه نديمه خمشا خفيفا وباطن الكلام في الحقيقة نفي المفاقر جملة
والاظافر البتة ومن هذا الباب قسم يوجب فيه المتكلم لنفسه شيئا وينفيه
بعينه عن غيره او ينفي عن موصوف ما صفة يوجبها لموصوف اخر كقول السموأل

وننكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

وكقول الاخر

هضيم الحشا لا يملأ الكف خصرها ويملأ منها كل حجل ودملج

باب الايداع

هذا الباب تسميه من لا يعرف اصطلاح اهل هذه الصناعة تضمينا وكذلك
يسمي الباب الذي بعده وقد تقدم الفرق بين هذه الابواب في باب التضمين
وشرح هذه التسمية ان يعمد الشاعر او المتكلم الى نصف بيت لغيره يودعه
شعره سواء كان صدرا او عجزا واما الناثر فان اتى في نثره بنصف بيت لغيره
سمي ايداعا وان كان لنفسه سمي تفصيلا ومثال ما وقع من ذلك في الكتاب
العزيز قوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب
وقدور راسيات وان وقعت الفصاحة مثل هذا غير مقصود وكان من الادب
الا نذكر هذا والله اعلم والموهم انه مودع في الكتاب العزيز قول امرء القيس

وجفان كالجوابي وقدور راسيات

ان صحت الرواية انه كذلك وان روي بالتقديم والتاخير فبطل ذلك وفي
النثر قول علي عليه السلام في جواب كتاب لمعوية ثم زعمت اني لكل الخلفاء حسدت
وعلى كلهم بغيت فان يكن ذلك كذلك فليست الجناية عليك فيكون
العذر اليك   وتلك شكاة ظاهر عنك عارها   ايضا
وهذا عجز بيت تمثل به عبد الله بن الزبير وقد قال له اهل الشام يا ابن ذات
النطاقين على سبيل المعيرة لها بذلك نظرا الى انها كانت خادمة لا مخدومة
على طريقة الجاهلية في مدح النساء وذمهم فانشد

وعيرها الواشون اني احبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

لان هذا الاسم من فخر اسماء رضي الله عنها فانه سماها به رسول الله صلى الله
عليه وسلم عندما اخرجت له ولابيها رضي الله عنه زاد الهجرة فاخذ الامام
عجز هذا البيت فاودعه كلامه بعد ان وطا له توطية لايقة به ملايمة له

ومن شواهده في الشعر قول ابي نواس

تغنى وما دارت له الكاس ثالثا تعزى بصبر بعد فاطمة القلب

وقد يجتمع الايداع والتضمين في شعر واحد كقول علي بن الجهم في فضل الشاعرة وبنان المغني

كلما غنى بنان اسمعي او خبرينا

انشدت فضل الا حييت عنا يا مدينا

عارضت معنى بمعنى والذي عاقلونا

ووقع التضمين في البيت الاول والايداع في البيت الثاني وكنت نظرت الى بيت ابي الطيب وهو

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق

فاودعت كل قسيم منه بيتا من قصيدة مطلعها

اعز مقلتي ان كنت خير مرافق دموعا لتبكي فقد حي مفارق

فقد نضبت يوم الوداع مدامعي وشابت لتشتيت الفريق مفارقي

والبيتان منها

اذا الوهم ابدى لي لماها وثغرها تذكرت ما بين العذيب وبارق

ويذكرني من قدها ومدامعي مجر عوالينا ومجرى السوابق

باب الاستعانة

وهو ان يستعين الشاعر ببيت لغيره في شعره بعد ان يوطي له توطية لايقة به بحيث لا يبعد ما بينه وبين ابياته وخصوصا ابيات التوطية له وقد شرط بعض النقاد التنبيه عليه ان لم يكن البيت مشهورا وبعضهم لم يشترط ذلك وهو

الصحيح فان اكثر ما رأينا ذلك في اشعار الناس غير منبه عليه واما الناثر فان اتى في اثناء نثره ببيت لنفسه سمي ذلك تشهيرا وان كان البيت لغيره سمي استعانة كقول علي عليه السلم في خطبته المعروفة بالشقشقية بينا هو يستقيلها في حياته اذ عقدها لاخر بعد وفاته

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان اخي جابر

فهذا البيت للاعشى استعان به علي عليه السلم كما ترى ومثال الاستعانة في الشعر قول الحارثي

وقايلة والدمع سكب مبادر وقد شرقت بالماء منها المحاجر

وقد ابصرت حمان من بعد انسها بنا وهي منا موحشات دواثر

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر

فقلت لها والقلب مني كانما يقلبه بين الجوانح طاير

بلى نحن كنا اهلها فاباد نا صروف الليالي والجدود العواثر

فاستعار هذا الشاعر بيتي خرقة بنت تبع وارشق من هذا واخصر قول ابي نواس

حتى تغنى وما تم الثلث له حلو الشمايل محمود السجيات

يا ليت حظي من مالي ومن ولدي اني اجالس ليلي بالعشيات

ووقع لي من ظريف الاستعانة ابيات هجوت بها متطببا يهوديا

راينا ابا الخير اليهودي ممسكا بقارورة كالورس راق حليبها

وقد دش منها فوق صفحة وجهه وقال لقد احيا فوادي طيبها

فقلت له ما هذه قال بولة لاسود يشفي الداء مني قضيبها

قريبة عهد بالحبيب وانما هوى كل نفس حيث حل حبيبها

ولا يضر تصحيف الحرف ولا تحريفه من الكلام المتقدم ليدخل في معنى الكلام المتاخر

عند الاستعانة كما فعلت ببيت من الحماسة حيث قلت

اذا ما خليل صد عنك ملالة واصبح من بعد الوفا وهو غادر

فلا تحتفل واستغن بالله انه على ان ترى عنه غنيا لقادر

وهبه كشي لم يكن او كنازح به الدار او من غيبته المقابر

فان هذا البيت كان نسيبا وكان اوله وهبها فحرفت ضمير التانيث لضمير التذكير حتى دخل في معناي وربما عكس المتاخر بيت المتقدم واستعان به كقول العباس بن الوليد بن عبد الملك لعمه مسلمة بن عبد الملك

لقد انكرتني انكار خوف يضم حشاك عن شتمي واكلي

كقول المرء عمرو في القوافي لقيس حين خالف كل عدل

عذيرك من خليلك من مراد اريد حيوته ويريد قتلي

البيت لعمرو بن معدي كرب يقوله لابن اخيه قيس بن زهير والبيت

اريد حيوته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وما رويت في الاستعانة احسن من قول ابن الرومي

وسائلة عن الحسن بن وهب وعما فيه من كرم وخير

فقلت هو المهذب غير اني اراه كثير ارخاء الستور

واكثر ما تغنيه فتاه حسين حين يخلو بالسرور

فلولا الريح اسمع من بنجد صليل البيض تقرع بالذكور

فانك الله ما كان مهملا قال هذا البيت الاخير الا له ليستعين به في هذا المعنى والفرق بين هذا القسم من الاستعانة وبين الموازنة ان الموازنة تكون في كلام المتكلم نفسه والاستعانة لا تكون الا بكلام غيره ٥

باب الموازنة

وهي ان تاتي الجملة من الكلام او البيت من الشعر متزن الكلمات متعادل اللفظات في التسجيع والتجزئة معا في الغالب كقول امرئ القيس

افاد وشاد وقاد وذاد وساد وجاد وزاد وافضل

وكقول الاخر

وهوب مهيب رحيب الفنا ربيع مريع رفيع الذرا

والفرق بين الموازنة والمماثلة التزام التسجيع في الموازنة وخلو المماثلة عنه والفرق بينهما اعني الموازنة والتجزئة مخالفة تسجيع اجزاء التجزئة ومشابهة تسجيع اجزاء الموازنة ٥

باب التذييل

وهو ان يذيل المتكلم كلامه بجملة يحقق بها ما قبلها من الكلام وتلك الجملة على قسمين قسم لا يزيد على المعنى الاول وانما يؤتى به للتوكيد والتحقيق وقسم لا بد فيه مع كون مفهومه مفهوم المعنى الاول من زيادة وهي اما ان يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله واما ان يكتفي بما يتضمن من زيادة المعنى والفرق بينه وبين التكميل ان التكميل يرد على معنى محتاج الى الكمال ولا كذلك معنى التذييل ومما جاء من ذلك في الكتاب العزيز متضمنا القسمين معا قوله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقران ومن اوفى بعهده من الله ففي هذه الاية الكريمة تذييلان احدهما قوله تعالى وعدا عليه حقا فان الكلام قد تم قبل ذلك ثم اتى سبحانه بتلك الجمل ليحقق ما قبلها والاخر قوله سبحانه ومن اوفى بعهده من الله فخرج هذا الكلام مخرج

المثل السائر لتحقيق ما تقدمه فهو تذييل ثان للتذييل الاول وقد جاء في السنة
من هذا الباب قول الرسول صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له
حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه فان عملها
كتبت عليه سيئة واحدة ولا يهلك على الله الا هالك فقوله صلى الله عليه وسلم
ولا يهلك على الله الا هالك تذييل في غاية الحسن تخرج الكلام فيه مخرج المثل
ومن هذا الباب في الشعر قول النابغة الذبياني

ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب

فقوله اي الرجال المهذب من احسن تذييل وقع في شعر لانه خرج مخرج المثل
وكقول بعض العرب

ودعوا نزال فكنت اول نازل وعلام اركبه اذا لم انزل

فعجز هذا البيت كله تذييل حسن وكلا التذييلين من بيت الاعرابي وبيت
النابغة من القسم الثاني من التذييل وهو الذي خرج الكلام فيه مخرج المثل وتذييل
النابغة من القسم الوجيز من البلاغة لاختصار لفظه وتذييل الاعرابي من القسم
البسيط منها وانما بسط الكلام فيه لما تضمن مع التذييل من المطابقة في قوله اركبه
وانزل وتذييل النابغة خال عن ذلك ولقد احسن بعض المحدثين في هذا الباب
حيث قال

صدقتكم الود ابغي الوصال وليس المكاذب كالصادق

فجازيتموني بطول البعاد وكم اخجل الحب من واثق

فكل من عجزي البيتين تذييل من القسم الثاني لخروج الكلام فيهما مخرج المثل
واحسن من ذلك كله قول الحطيئة

تزور فتى يعطي على الحمد ماله ومن يعط اثمان المحامد يحمد

فان عجز البيت كله تذييل خرج مخرج المثل السائر في غاية الحسن لان
صدر البيت استقل بالمعنى المراد على انفراده وفيه مع اتصاله بالعجز تعطف
حسن في قوله يعطي ويعط وبالتعطف صار بين العجز والصدر ملاحمة
وملاومة شديدة ورابطة وثيقة مع ان العجز اذا انفرد استقل مثلا
وتذييلا كما ان الصدر اذا انفرد استقل بالمعنى المقصود من جملة البيت
والغرض المطلوب والتمثيل ايضا وقل ان يوجد بيت بين صدره وعجزه مثل
هذا التلاحم على استقلال كل قسم بنفسه وتمام معناه ولفظه ومن التذييل
الحسن قول ابي الشيص

واهنتني فاهنت نفسي عامدا ما من يهون عليك ممن اكرم

فعجز البيت كله تذييل في ضمنه مطابقة لذكره الهوان والكرامة ومن
بديع التذييل قول ابن نباتة السعدي

لم يبق جودك لي شيئا اؤمله تركتني اصحب الدنيا بلا امل

فانه انقضى ما اراده من المدح بقوله لم يبق جودك لي شيئا اؤمله
ثم احتاج الى تتميم البيت واراد اتمامه بتكرار المعنى المتقدم فيه استحسانا
وتوكيدا وكره التكرير لا لمعنى زائد وعلم ان لا مزيد على معناه في بابه فاخرجه
مخرج المثل حيث قال تركتني اصحب الدنيا بلا امل
ليحصل ما اراده من التوكيد وزيادة المعنى لان المدح اذا خرج مخرج المثل كان اسير
في الارض وفي ضمن ذلك لهج الناس بالمدح الخارج مخرج المثل وهذا البيت
وان نظر فيه الى قول المتنبي

تمشي الاماني صرعى دون مبلغه فما يقول لشيء ليت ذلك لي

فبيت ابن نباتة افضل من بيت المتنبي لانه احسن الادب مع ممدوحه فلم يجعله

في حيز من يتمنى شيئاً وجعل قدرته وجوده اصاراً ما دحه قد بلغ كل امنيته فلم
يبق له امل وان كان في بيت المتنبي زيادة من جهة المبالغة في قوله دون مبلغه
واستعارة في اللفظ لقوله يتمنى الاماني صرعى ففي بيت ابن نباتة ان كلها جعله
المتنبي للممدوح جعله ابن نباتة لشاعر الممدوح من نعمته وزيادة المبالغة في
المدح بكونه اخرج المدح مخرج المثل كما بيّنا فهو اشهر وابقى واذا
انصف الناظر في البيتين وجد معنى بيت المتنبي في صدر بيت ابن نباتة لان
حاصل بيت المتنبي ان الممدوح قدر على كل الاماني وهذا قد استقل به صدر
بيت ابن نباتة والذي في صدر البيت هو الذي في عجزه لانه ملزومه اعني بيت
المتنبي وكله في قول ابن نباتة   لم يبق جودك لي شيئاً اؤمله
وعجز بيت ابن نباتة ملزوم صدره لان من نال كل امل صحب الدنيا بلا امل غير ان
ابن نباتة لكونه اخرج العجز مخرج المثل صار كانه قد استانف معنى اخر
مستقلاً بجميع معنى بيت المتنبي مع كونه زاد بان جعل للمادح ما للممدوح
حسن ادب معه وبالغ باخراج المدح مخرج المثل فقد ترجح بيت ابن نباتة
على بيت المتنبي من وجوه شتى والله اعلم   وقد تختلط على بعض الناس
هذه الابواب الاربعة وهي باب الايغال والتكميل والتمكين والتذييل وانا
اشير الى الفرق بينها فاقول الايغال لا يكون الا في الكلمة التي فيها الروي
وما يتعلق بها وهو ايضاً مما ياتي بعد تمام المعنى كالتكميل والتذييل واما
التمكين فيفارق هذه الابواب من كونه عبارة عن استقرار القافية في
مكانها لكنها لا تزيد معنى البيت شيئاً ومتى حذفت القافية نقص المعنى مع
كونها غير نافرة من البيت والتكميل وان اتى بعد تمام المعنى فهو يفارق الايغال
من وجهين احدهما كونه ياتي في الحشو والمقاطع والايغال والتذييل لا

يكونان الا في المقاطع دون الحشو والايغال والتذييل لا يخرجان عن معنى الكلام
المتقدم والتكميل لا بد ان ياتي بمعنى يكمل الغرض المتقدم اما تكميلاً بديعياً
او تكميلاً عرضياً لانه يكون بمعاني البديع كمطابقة يكمل جناساً او مبالغة
يكمل تشبيهاً او بالفنون والفنون عند اهل الصناعة هي ما ينتحلها المتكلم من
الاغراض والمقاصد كالمديح والهجاء والرثاء والفخر والوصف وغير ذلك
والتذييل يفارق الايغال لكونه يزيد على الكلمة التي تسمى ايغالاً احد الى البيت
من الجزء الذي هو الضرب الى اول العجز والله اعلم ٥

باب المشاكلة

وهي ان ياتي المتكلم في كلامه او الشاعر في شعره باسم من الاسماء المشتركة في
موضعين فصاعداً من البيت الواحد ولذلك الاسم في كل موضع من الموضعين
مسمى غير الاخر تدل صيغته عليه فتشاكل احدى اللفظتين الاخرى في
الخط واللفظ ومفهومهما مختلف ومن انشادات التبريزي في هذا الباب قول
ابي سعيد المخزومي

حدق الآجال آجال والهوى للمرء قتال

وانشد فيه قول الشماخ

كادت تساقطني والرحل ان نطقت ورقاء حين دعت ساقاً على ساق

وقال التبريزي ولفظة الاجال الاولى اسراب البقر الوحشية والثانية
منتهى الاعمار وبينهما مشاكلة في الخط واللفظ وكذلك ساق الاولى التي هي
ذكر الحمام والثانية التي هي ساق الشجرة وعلى ان ما انشده التبريزي في
هذا الباب داخل في احد قسمي التجنيس المماثل والذي ينبغي ان تفسر به المشاكلة

قولنا ان الشاعر ياتي بمعنى مشاكل لمعنى في شعر غير ذلك الشعر او في شعر غيره
بحيث يكون كل واحد منهما وصفا او تشبيها او غير ذلك من الفنون غير ان
كل صورة ابرز المعنى فيها غير الصورة الاخرى فالمشاكلة بينهما من جهة
الغرض الجامع لهما والتفرقة بينهما من جهة صورتيهما اللفظية ومثال
مشاكلة الشاعر نفسه قول امرئ القيس في صفة الفرس

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل

وقوله في صفة الفرس ايضا

اذا ما جرى شأوين وابتل عطفه تقول هزيز الريح مرت باثاب

ويروى شاذين

فامرؤ القيس في هذين البيتين قاصد وصف الفرس بشدة العدو غير انه
ابرز المعنى الاول في صورة الارداف حيث قال قيد الاوابد فجعله بذلك
الوحوش ادراك المطلق للمقيد وابرز الثاني في صورتي وصف وتشبيه
بغير اداة اذ شبه عدوه بعد جريه شوطين وعرقه بهزيز الريح تمر
بهذا الشجر الذي يسمع للريح فيه هزيز كحفيف الفرس الجاد اذا خرق
الريح بشدة عدوه فكل معنى من هذين المعنيين مشاكل لصاحبه اذ الجامع
بينهما وصف الفرس بشدة العدو غير ان قدرة الشاعر تلاعبت به فابرزته
في صور مختلفة فهذا ما شاكل الشاعر فيه نفسه واما ما شاكل فيه
غيره فكقول جرير

ان العيون التي في طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن اضعف خلق الله اركانا

فان مشاكله قول عدي بن الرقاع

وكانها بين النساء اعارها عينيه احور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

فالمشاكلة بين الرجلين من جهة ان كلا منهما وصف العيون بالمرض
والفتور فابرز معناه في صورة غير الصورة الاخرى بحسب قوة عارضته
في السبك وحسن اختيار اللفظ وجودة ذهنه في الزيادة والنقص
وفي التفضيل بين هذين الشعرين شعر جرير وعدي بحث لا يسعه هذا
المكان وقد اعترض على بيت عدي الاول بما اعترض به على بيت ابي تمام
الذي يقول فيه

جذبت نداه غدوة السبت جذبة فخر صريعا بين ايدي القصائد

فان بعض الناس قال طباء جاسم كظباء غيرها من المواضع فليس لذكرها فائدة
الا كونها قافية ليصير بها الكلام بيتا من الشعر كما ان غدوة السبت في بيت
ابي تمام كغدوة الاحد وغيره من الايام فذكرها دون غيرها لا يفيد معنى
زايدا واذا لم يفد معنى علم انه حشو جيء به لاقامة الوزن وقد اعترض على قول
امرئ القيس وريضت فذلت صعبة اي اذلال

باعتراض ظاهره يشبه الاعتراض على بيتي عدي وابي تمام وباطنه يخالفهما
فان ابن سنان الخفاجي خطا ابا هاشم في كونه ذهب الى ان بيت امرئ القيس
معيب بالحشو الذي لا يفيد معنى لانه قال صعبة حشو او لفظة فذلت وسبب ابا هاشم
اقبح سبب والصواب مع ابي هاشم لان الذي قاله الخفاجي يرد به عليه قوله لو
قال الشاعر وريضت فذلت لم يكن في الكلام دليل على ان ثم صعوبة وهذا
عين الخطاء من الخفاجي لانه دل على وجود الصعوبة مرتين بقوله وريضت
وبقوله فذلت اذ لا يراض الا الصعب ولا يذل الا ما كان ذا صعوبة
ولو لم يكن ثم صعوبة لكان قوله فذلت خطا لان تمالبس يصعب فهو دليل اذا

والسطة بين الذل والصعوبة فبيت امرئ القيس معيب بخلاف بيتي عدي وابي تمام
والرد على هذا المعترض الذي اعترض على بيتي عدي وابي تمام بان يقال ذكر عدي
جاسمًا دون غيرها من المواضع لانها معروفة بادم الظباء وادمة اللون دليل
على الحرارة واليبس وذلك يوجب شدة سواد العيون ونقاء بياضها ولهذا
قال احور والحور نقاء بياض العين وشدة سوادها وكذلك ذكر ابي تمام
غدوة السبت وهو الوقت الذي وقعت فيه عطية الممدوح دليل على تعظيم
العطية وتفخيم امرها وجعلها من الغرايب التي لم يقع قبلها مثلها فلاجل ذلك
ارخ يوم وقوعها اذ لا يورخ الا الكواين العظام والحوادث الجسام ولو لم
يذكر وقت وقوعها معينًا باسمه لم تحصل هذه المبالغات التي تزيد الممدوح
مدحًا فدل على انه قصدها افادة هذه المعاني لا اقامة الوزن ولو قصد اقامة
الوزن فحسب لما اقتصر على غدوة السبت دون غيرها مما يسد مسدها فانه
لو قال جذبت نداه بالمدايح جذبة استقام له الوزن لو لم يكن اراد
ما ذكرت وقد عيب من هذا البيت قوله جذبت نداه وما ناسبها من
الفاظ البيت فانهم قالوا هذا دليل على ان نداه عسر على طالبه صعب على
محاوله كما عابوا على ليلى الاخيلية قولها

ومخرق عنه القميص تخاله بين البيوت من الحياء سقيما
حتى اذا رفع اللواء رايته تحت اللواء على الجيوش زعيما

وقالوا لا يحتاج الى ان يجذب لقضاء الحوايج حتى يتخرق قميصه الا المتقاعد عن
الحوايج وهذا الاعتراض غير جارٍ على طريق الحق فان المعطي لا بد وان يعطي بسبب
من نفسه عشقًا في العطاء فلا يحتاج الى جاذب يجذبه ولا سبب يستجلبه
واما ان يعطي بسبب من خارج والاول مطاوع لغرض نفسه مسكن لغليل

قلبه لبيت عليه مشقة في عطيته والاجر على قدر المشقة وقد تقدم ذكر
هذا الفصل ونحن هاهنا مفتقرون الى اعادته والمشكور كل الشكر من غالب
نفسه الامارة وارغم انف شيطانه واعطى كما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان المتصدق لا يخرج الصدقة حتى يفك بها من لحيي سبعين شيطانًا
او كما قال وقال صلى الله عليه وسلم انما الصدقة ان تتصدق وانت صحيح
شحيح تخاف الفقر وتامل الغنى وخير المعطين من كان السبب الذي
يجذبه للعطاء سماع المدح والثناء فقد ثبت ان بيتي عدي وابي تمام مبرآن
مما وصما به من العيب وكذلك بيتا الاخيلية وهو يزيد عليهما بما تضمن من
وصف الممدوح بالصبر على اذى ارباب الحوايج والرضى من العيش بادنى ملبس
وادنى عيش مع القدرة التي دلت عليها بقولها رايته تحت اللواء على الجيوش
زعيما فلزم من ذلك ان لذته في اقتناء المحامد لا في انتخاب الملابس
وما قيل انه احوج ذوي الحاجات الى تخريق قميصه مدفوع بوصفها الممدوح
بافراط الحياء فان من كان بهذه المثابة كان اسرع الى قضاء حوايج
المحتاجين حال رؤيتهم ويحمل تخريق القميص اما على كثرة المطالبين
وازدحام المحتاجين او على ما قدمناه من الرضى بادنى العيش والله اعلم ٥

باب الموارده

وهي توارد الشاعرين المتعاصرين اللذين تجمعهما طبقة واحدة على معنى واحد
اما مجردًا او ببعض الفاظه او باكثرها او كلها فان كان احدهما اقدم
او طبقته ارفع حكم له على صاحبه بالسبق وقد رايت من يجعل اتفاق
الشاعرين من طبقتين مختلفتين في عصرين متباينين اذ تقارب ما بينهما بعض

التقارب في الامرين او في القوة والقدرة توارداً فمثال الاول قول امرئ القيس بن حجر

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وقول طرفة

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد

ومثال ما جاء من القسم الثاني ما جرى لابن ميادة وقد انشد محمد بن زياد الاعرابي قوله

ونوازع ميل الى الشمس ظاهره

فقال له محمد اين يذهب بك هذا للحطيئة فقال ابن ميادة الآن علمت اني شاعر حين وافقته والله اعلم

باب التهذيب والتأديب

التهذيب عبارة عن ترداد النظر في الكلام بعد عمله لينقح ويتنبه منه لما مر على الناثر او الشاعر حين يكون مستغرق الفكر في العمل فيغير منه ما يجب تغييره ويحذف ما ينبغي حذفه ويصلح ما يتعين اصلاحه ويكشف عما يشكل عليه من غريبه واعرابه ويحرر ما لم يتحرر من معانيه والفاظه حتى تتكامل صحته وتروق بهجته فانه من رزق من ارباب البلاغة واصحاب الفصاحة جودة ذهن وغوص فكر وكمال عقل واعتدال مزاج وحسن اختيار ووقف على اقوال النقاد في حقيقة البلاغة وكنه الفصاحة وما علم من محاسن الكلام وعيوبه ووقي شح نفسه بحيث تسمح بطرح ما لا يقدر على تغييره من كلامه كان كلامه موصوفاً بالمهذب منعوتاً بالمنقح وان قل ابتكاره للمعاني وقد كان زهير معروفاً بالتنقيح فانه

روى انه كان يعمل القصيدة في شهر وينقحها في احد عشر شهراً حتى سمي شعره الحولي المحكك ولا جرم انه قلما يسقط منه شيء ولهذا اشار ابو تمام بقوله

خذها ابنة الفكر المهذب في الدجى والليل اسود رقعة الجلباب

فانه انما خص تهذيب الفكر بالدجى لكون الليل تهدأ فيه الاصوات وتسكن الحركات فيكون الفكر فيه مجتمعاً والخاطر خالياً ولا سيما في وسط الليل عندما تاخذ النفس حظها من الراحة وتنال قسطها من النوم ويخف عليها ثقل الغذاء فحينئذ يكون الذهن صحيحاً والصدر منشرحاً والقلب نشيطاً واختيار وسط الليل دون السحر مع ما فيه من رقة الهواء وخفة الغذاء واخذ النفس سهمها من الراحة لما يكون في السحر من انتباه اكثر الحيوان الناطق والبهيم وارتفاع معظم الاصوات وجرس الحركات وتقشع الظلماء بطلائع الاضواء وببعض ذلك يتقسم الفكر ويتذبذب الخاطر ويشتغل القلب ويتفرق مجتمع الهم ووسط الليل خال عما ذكرنا ولهذا خص ابو تمام تهذيب الفكر بالدجى عادلاً عن الطرفين لما فيهما من الشواغل التي ذكرناها وانما دخلت لفظة الدجى على وسط الليل لانها جمع دجية وطرفا الليل لقربهما من الشمس لا يكون غيهبهما شديد الظلمة والدجى شدة الظلمة لانه مجموع ظلمات وان كان الدجى قد يطلق على الليل كله سواء كان مظلماً او مقمراً لكنه اطلاق مجازي وحقيقته ما ذكرناه وابو تمام اراد ههنا الحقيقة لا المجاز لقصد المبالغة ولما لحظ ابو تمام ان لفظة الدجى لعمومها وصلاحيتها في حالتي المجاز والحقيقة الى ان يكون اسماً لليل كائناً ما كان احترس من ذلك بما جاء به من التذييل حيث قال

والليل اسود رقعة الجلباب   ليتخلص من الاشتراك الحاصل
من لفظة الدجى على انفرادها وليتبين انه اراد الليالي السود التي سمتها العرب
بالدآدي لا الليالي البيض ولا غيرها من الليالي التي فيها وقت مضيء في الجملة
فرارا من ليل لا يخلو من الاصوات والحركات مبالغة في وصف الفضيلة
بالتنقيح المرضي في الوقت المختار لذلك وقد جمع الكتاب العزيز هذه المعاني
واتى بها في اوجز لفظ واجزله حيث قال سبحانه ان ناشئة الليل هي اشد
وطأ واقوم قيلا   واعلم ان التهذيب لا شاهد له يخصه لانه وصف
يعم كل كلام منقح محرر الا انا نلخص ما يعرف به وهو ان يقول كل
كلام قيل فيه لو كان موضع هذه الكلمة غيرها او لو تقدم هذا المتاخر
او تاخر هذا المتقدم او لو تم هذا النقص او تكمل هذا الوصف او لو حذفت
هذه اللفظة بتة او لو طرح هذا البيت جملة او لو وضح هذا المقصد او
تسهل هذا المطلب لكان الكلام احسن والمعنى ابين فهو خال من التهذيب عار
من التنقيح والتاديب   ومن امثلة ما ذكرناه قول سيف الدولة
ابن حمدان يخاطب اخاه ناصر الدولة

وما كان لي عنها نكول وانما تجاوزت عن حقي ليغدو لك الحق

فان سيف الدولة كما قيل كان قد عمل اولا   وما كان عنها لي نكول
ثم فطن الى ان هذا السبك يستثقل لقرب الحروف المتقاربة المخارج بعضها
من بعض واذا قدم لفظة لي على لفظة عنها سهل التركيب وحصل التهذيب
مقول وما كان لي عنها نكول لفصل لفظة عنها بين لي وبين نكول ٥
ومن الامثلة المبينة لهذا الباب قول القاضي السعيد

تغنى عليها حليها طربا بها وفاحت فقلنا هذه الروضة الغنا

فانه لو لم يقدم في صدر البيت لفظة مشتقة من الغناء حصل بها في البيت
من الرونق ما لا يحصل بدونها لكان البيت خاليا من التهذيب فان
بوجودها حصل في البيت تصدير وتجنيس وائتلاف وتهذيب وانتفى
عنه من العيوب عدم الائتلاف وقلق القافية وبذلك تقدم التهذيب
وذلك انه لو كان قال

زهت بازاهير الجمال وحسنها وفاحت فقلنا هذه الروضة الغنا

فانت ترى قلق هذه القافية وتمكن تلك القافية الاولى بسبب ما في
البيت من التصدير ومما جاء في الكتاب العزيز من امثلة هذا الباب قوله
تعالى لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك
فان حسن الترتيب في نظم الكلام البليغ امر مطلوب ومن حسن الترتيب في
الجمل الفعلية تقديم الفعل وتعقيبه بالفاعل ثم الاتيان بالمفعول فان كان
في الكلام مفعولان احدهما يتعدى الفعل بنفسه والاخر يتعدى اليه بغيره
قدم ما تعدى اليه الفعل بنفسه واذا علم ذلك كان لقائل ان يقول لم توخي
حسن الترتيب في عجز الاية دون صدرها والجواب ان حسن الترتيب منع
منه في صدر الاية مانع قوي وهو مخافة ان تتوالى ثلثة احرف متقاربات المخارج
فيثقل الكلام بسبب ذلك فانه لو جاء الكلام فيه مرتبا لقيل لئن بسطت
يدك الي والطاء والتاء والياء متقاربات المخارج فلذلك حسن تقديم
المفعول الذي تعدى الفعل اليه بالحرف على المفعول الذي تعدى اليه بنفسه ولما
امن هذا المحذور في عجز الاية بما اقتضته البلاغة من الاتيان باسم الفاعل
معا في موضع الجملة الفعلية لتضمنه معنى الفعل الذي تصح فيه المقابلة
جاء الكلام على ترتيبه من تقديم المفعول الذي تعدى الفعل اليه بنفسه على

المفعول الذي تعدى الفعل اليه بالحرف وهذا من احسن شواهد التهذيب والترتيب
والله اعلم وكنت قد اطلعت على وصية وصى بها ابو تمام ابا عبادة البحتري في عمل
الشعر كان ابا تمام ارتجلها فجاءت محتاجة الى تحرير بعض معانيها وايضاح ما
اشكل منها وزيادات تفتقر اليها فحررت منها ما يجب تحريره واضفت اليها ما
تعين اضافته وذكرتها في كتابي المنعوت بالميزان في الترجيح بين كلام قدامة
وخصومه وعلمت ان هذا الباب من هذا الكتاب احوج اليها من ذلك فاثبتها هاهنا
بعد ان رايت تقديم مقدمة يحتاج اليها ويجب الاعتماد عليها وهي
الذي يجب على من كان له ميل الى عمل الشعر وانشاء النثر ان يعتبر اولا نفسه
ويمتحنها بالنظر في المعاني وتدقيق الفكر في استنباط المخترعات فاذا وجد
لها فطرة سليمة وجبلة موزونة وذكاء وقادا وخاطرا سمحا وفكرا
ثاقبا وفهما سريعا وبصيرة مبصرة والمعية مهذبة وقوة حافظة وقدرة
حاكية وهمة عالية ولهجة فصيحة وفطنة صحيحة وان كانت بعض هذه الاوصاف
غير لازمة لرب الانشاء ولا يضطر اليها اكثر الشعراء لكنها اذا كملت في
الشاعر والكاتب كان موصوفا في هذه الصناعة بكمال الاوصاف النفيسة
التي اذا اضيفت اليها الصفات الدرسية تكمل وتجمل من حفظ اللغات العربية
وتوابعها من العلوم الادبية كالنحو والتصريف والعروض والقوافي وما سوغ
به الشعراء من الضرورات التي تلجئ اليها ضيق الوزن والتزام التقفية ليعلم
ما يجوز له استعماله وما يجب عليه اهماله وليتعمق النظر في كتب البلاغة
ليعرف محاسن اللفظ مفردا ومركبا ومعانيه ويحيط بما يتفرع من اصول
النقد من البديع الذي هو قوام الكلام ونتائج مقدمات الافهام وليجعل
عمدته على كتاب الله العزيز وليميز اعجازه ادق تمييز فانه البحر الذي لا

تفنى عجائبه ولا يظمأ فيه راكبه منه استخرجت درر المحاسن واستنبطت عيون
المعاني وعرف كنه البلاغة وتحقق سر الفصاحة وكذلك سنة الرسول
عليه الصلوة والسلم فان صاحبها بعث بجوامع الكلم وبدايع الحكم صلى الله
عليه وسلم وليحفظ اشعار العرب وامثالها وانسابها وايامها وساير
اخبارها ومحاسن اثارها ومقاتل فرسانها الانجاد ونوادر سمحائها الاجواد
ولا غنى به عن معرفة النجوم والانواء وعلم هيئة السماء وتعقل الاثار
العلوية والحوادث الارضية والمشاركة في الطب والطبايع والحساب
وما يحتاج اليه الكتاب من الفقه والحديث ونقل التاريخ الصحيح ٥
ويكون ذلك المكتسب من وراء اشياء لا تكتسب ولا تحصل بالطلب بل
هي مما يجبل عليه الانسان من مواهب الرحمان من عقل راجح وذهن صاف
وراي سديد ينتج ذلك مزاج معتدل ليحسن اختياره ويجود انتخابه
فيتخير الالفاظ الرقيقة والمعاني الرشيقة ويتقن تاليف الكلام وترتيب
الالفاظ وما بايراد ابيات قلتهن في هذا المعنى من باس وهي

انتخب للقريض لفظا رقيقا كنسيم الرياض في الاسحار
فاذا اللفظ رق شف عن المعنى فابداه مثل ضوء النهار
مثل ما شفت الزجاجة جسما فاختفى لونها بلون العقار

واحسن من قولي ومن كل ما قيل على ما بلغني في هذا المعنى قول ابي تمام في الحسن بن وهب

لم يتبع شنع اللغات ولا مشى رسف المقيد في طريق المنطق
تنشق في ظلم المعاني ان دجت منه تباشير الكلام المشرق

وكقول البحتري فيه

واذا دجت اقلامه ثم انتحت برقت مصابيح الدجى في كتبه

فاللفظ يقرّب فهمه في بعده منّا ويبعد نيله في قربه
حكم سحائبها خلال بنانه هطالة وقليبها من قلبه
كالروض مؤتلفا بحمرة نوره وبياض زهرته وخضرة عشبه
وكأنها والسمع معقود بها شخص الحبيب بدا لعين محبه

هذا اذا اراد المتكلم ان ينعت فاضلا او يسمى اديبا كاملا فيعلو بين العلماء درجته وتطير بين الفضلاء سمعته وتقبل فتواه في لفظ كل كلام ومعناه وليحذر من ان يقف خاطره بسبب معاندة الزمان وتواتر صروف الحدثان وتعذر المكسب وعز المطلب وتقدم الجهال واختصاص الاراذل بالاموال فيكون ذلك داعيا له الى ترك الاشتغال وسببا في فتور عزمه عن تحصيل العلوم وذريعة لقعوده عن رياضة نفسه واستعمال خاطره فيلحق بالاخسرين اعمالا والمخطئين افعالا واقوالا بل يكون له في ذلك اجتهاد راغب في الكمال شديد الانفة من مساواة الجهال عاشق في تركيب نفسه مايل للتقدم بنفس العلم على ابناء جنسه وما احسن قول القايل

تعلم فليس المرء يولد عالما وليس اخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده صغير اذا التفت عليه المحافل

ولا بد للمجتهد من يوم تحمد فيه عاقبة اجتهاده ويحصل فيه على مراده وان كان قصير الهمة مهين النفس قد اوتي طبعا في العمل سليما وذهنا مستقيما فظن انه يستغني بذلك عن الاشتغال ويبعد عن مماثلة الجهال ادلالا بطبعه واتكالا على حذقه كاكثر شعراء زماننا وكتابه والمنتظمين في سلك ارباب ادابه حاشى من احتفل بالادب احتفالا واوجب لذوي الاداب الانتفاع بهذا الكتاب فلا يانف من عرض ما يسمح به خاطره على من يحسن الظن

بمعرفته ويتحقق ان مرتبته في العلم فوق مرتبته ولا يهمل ذلك فان خطره عظيم وفوق كل ذي علم عليم هذا وان كنت في ذلك كمن يصف الدواء ولا يستعمله ويامر بالعرف ولا يمتثله غير ان انهج الطريق واحض على الوثوق لتحصل لي مثوبة الدلالة واكتسب اجر الهداية فان الدال على الخير كفاعله والمحرض على العمل كعامله وليعتمد الراغب في نظم الشعر وانشاء النثر في وقت العمل على وصية الامام ابي تمام التي وعدت سالفا بنشرها وهذا اوان ذكرها وهي ما اخبر به الثقة عن ابي عبادة البحتري الشاعر انه قال كنت في حداثتي اروم الشعر وكنت ارجع فيه الى طبع سليم ولم اكن وقفت على تسهيل ماخذه ووجوه اقتضابه حتى قصدت ابا تمام وانقطعت اليه واتكلت في تعريفه عليه فكان اول ما قال لي يا ابا عبادة تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم ان العادة في الاوقات اذا قصد الانسان تاليف شي او حفظه ان يختار وقت السحر وذلك ان النفس تكون قد اخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخف عنها ثقل الغذاء وصفا من اكثر الابخرة والادخنة جسم الهواء وسكنت الغماغم ورقت النسايم وتغنت الحمايم وتغن بالشعر فان الغناء مضماره الذي يجري فيه واجتهد في ايضاح معانيه فان اردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا واكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكابة وقلق الاشواق ولوعة الفراق والتعلل باستنشاق النسايم وغناء الحمايم والبروق اللامعة والنجوم الطالعة والتبرم بالعذل والعواذل والوقوف على الطلل الماحل واذا اخذت في مدح سيد ذي اياد فاشهر مناقبه واظهر مناسبه وابن معالمه وشرف مقاومه وارهف من عزايمه ورغب في

مكارمه وتقاض المعانى واحذر المجهول منها واياك ان يسبر شعرك العبارة
الرثة والالفاظ الوحشية وناسب بين الالفاظ والمعانى فى تاليف الكلام
وكن كانك خياط تقدر الثياب على مقادير الاجسام واذا عارضك الضجر
فارح نفسك ولا تعمل الا وانت فارغ القلب واجعل شهوتك لقول الشعر
الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين ٥ وجملة الحال ان تعتبر شعرك
بما سلف من اشعار الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما استقبحوه فاجتنبه
ترشد ان شاء الله تعالى   وكنت قد جمعت فصولا
يحتاج اليها العامل فى البلاغتين والواضع فى الصناعتين من علق كتب من
كتب البلاغة وحذفت منها ما لا يحتاج اليه ونقحتها وحررتها وها انا اسوقها
خاتمة لهذا الباب والله الموفق للصواب وهي   ينبغي لك ايها الراغب فى
العمل السائل عن اوضح السبل ان تحصل المعنى عند الشروع فى تحبير الشعر
وتحرير النثر قبل اللفظ والقوافى قبل الابيات ولا تكره الخاطر على وزن
مخصوص وروى مقصود وتوخ الكلام الجزل دون الرذل والسهل دون
الصعب والعذب دون المستكره والمستحسن دون المستهجن ولا تعمل نظما
ولا نثرا عند الملل ولا تؤلف كلاما وقت الضجر فان الكثير معه قليل
والنفيس به خسيس والخواطر ينابيع اذا رفق بها جمت واذا عنف عليها نزحت
واكتب كل معنى يسنح وقيد كل فائدة تعرض فان نتائج الافكار تعرض
كلمعة البرق ولمحة الطرف ان لم تقيد شردت وندت وان لم تستعطف
بالتكرار عليها صدت والترنم بالشعر مما يعين عليه قال الشاعر

تغن بالشعر اما كنت قائله   ان الغناء لقول الشعر مضمار

وقد يحبل الشاعر حينا ويستعصي عليه زمانا كما روي عن الفرزدق انه قال

لقد يمر على الزمن وان قلع ضرس من اضراسي لاهون علي من ان اقول بيتا واحدا
فاذا كان كذلك فاتركه حتى يجيبك عفوا وينقاد اليك طوعا واياك وتعقيد
المعانى وتقصير الالفاظ واعمل فى احب الاغراض اليك وفيما وافق طبعك
فالنفوس تعطي على الرغبة ما لا تعطي على الرهبة واعمل الابيات متفرقة بحسب
ما يجود بها الخاطر ثم انظمها فى الاخر واحترس عند جمعها من عدم الترتيب
وتوخ حسن النسق عند التهذيب ليكون كلامك بعضه اخذا باعناق
بعض فهو اكمل لحسنه وامتن لرصفه وحسن المبدا والمخلص والمقطع فان ذلك
اصعب ما فى القصيد واجتهد فى تجويد هذه المواضع وتجنب معارض ارباب
الخواطر فيها ونوادرهم عليها وميز فى فكرك محط الرسالة ومصب القصيد
قبل العمل فان ذلك اسهل عليك واشعرها اولا ونقحها ثانيا وكرر التنقيح
وعاود التهذيب ولا تخرجها عنك الا بعد تدقيق النقد وانعام النظر
فقد كان الحطيئة يعمل القصيدة فى شهرين وينقحها فى شهرين اقتداء بزهير
فانه كان راويته وقد كان زهير يعمل القصيدة فى شهر واحد وينقحها
فى حول كامل حتى قيل لشعره المنقح الحوليات او الحولي المحكك واحذر
اذا كاتبت من الاسراف فى الشكر فانه ابرام يوجب للكلام ثقلا ولا تطل
الدعاء فانه يورث مللا ولا تجعل كلامك مبنيا على السجع كله فتظهر
عليه الكلفة ويتبين فيه اثر المشقة وتتكلف لاجل السجع ارتكاب المعنى الساقط
واللفظ النازل بل اصرف كل النظر الى تجويد الالفاظ وصحة المعانى
واجتهد فى تقويم المبانى فان جاء الكلام مسجوعا عفوا من غير قصد وتشابهت
مقاطعه من غير كسب كان وان عز ذلك فاتركه وان اختلفت
اسجاعه وتباينت فى التقفية مقاطعه فقد كان المتقدمون لا يحفلون

بالسجع جملة ولا يقصدونه بتة الا ما اتت به الفصاحة في اثناء الكلام واتفق عن
غير قصد ولا اكتساب وانما كانت كلماتهم متوازنة والفاظهم متناسبة
ومعانيهم ناصعة وعباراتهم رائقة وفصولهم متقابلة وجمل كلامهم متماثلة
وتلك طريقة الامام علي عليه السلم ومن اقتفى اثره من فرسان الكلام كابن المقفع
وسهل بن هرون وابي عثمن الجاحظ وغير هولاء من الفصحاء والبلغاء ولا
تجعل كل الكلام شريفا عاليا ولا وضيعا نازلا بل فصله تفصيل العقود
فان العقد اذا كان كله نفيسا لا يظهر حسن فرائده ولا يبين كمال واسطته
وانظر الى نظم القران العزيز كيف جمع طبقات البلاغة الثلث ليظهر
فضل كل طبقة في بابها ويبين محكم اسبابها ويعلم ان ادناها بالنسبة اليها
يعلو على اعلى الطبقات من كلام البلغاء ويربى عليها فان الكلام اذا كان منوعا
افتنت الاسماع فيه ولم يلحق النفوس ملل من الفاظه ومعانيه واعلم ان الالفاظ
اجساد والمعاني ارواح فاذا قويت الالفاظ فقوّ المعاني واذا اضعفتها
فاضعفها لتتوازن قوى الكلام وتتناسب في الافهام وافضل القوافي السهلة
المستحسنة دون المستصعبة المستهجنة والاوزان المستعملة الحلوة دون
المهجورة الكزة فان الشعر كالجواد والقوافي حوافره والالفاظ صورته
والمعاني سرعته والاوزان حملته واجعل كلامك كله كالتوقيعات
وعليك بالمقطعات فانها في القلوب احلى واكمل وفي المجالس ارشق واجول
وبالاسماع اعلق وبالافواه اعبق واذا نثرت منظوما فغير قوافي شعره
الى قوافي سجعه واذا اخذت معنى بيت من بيت فتجنب الالفاظ جملتها ما
استطعت او معظمها وغير الوزن والقافية وزد في معناه وانقص من لفظه
واحترس مما طعن عليه به لتكون املك له من قائله وان كان التفضيل

قد يقع بغير ما ذكرت ومما يقدم به المتكلم على غيره حسن الادب مع الممدوح
كقول ابن نباتة السعدي في سيف الدولة بن حمدان

لم يبق جودك لي شيا اوملّه تركتني اصحب الدنيا بلا امل

فانه احسن الادب مع ممدوحه بخلاف المتنبي فان المتنبي قال في هذا المعنى

تمشي الاماني صرعى دون مبلغه فما يقول لشي ليت ذلك لي

فان المتنبي جعل ممدوحه ممن يصح منه التمني لو كانت بقيت له امنية
وابن نباتة جعل ممدوحه يجعل مادحه لم يبق له امنية ورفعه عن ان يكون
هو ممن يصح ان يتمنى شيا فكل ما جعله المتنبي للممدوح جعله ابن نباتة لشاعر
ممدوحه وهذا الادب من قول الله تعالى على لسان ابرهيم عليه السلم الذي
خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين
فاسند افعال الخير كلها لله تعالى واسند فعل الشر لنفسه حسن ادب مع ربه
صلى الله عليه وسلم ومثل ذلك قوله تعالى ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي
الذين احسنوا بالحسنى مقتضى الصناعة ان يوتى بتجنيس الازدواج في صدر الاية
كما اتى به في عجزها لكنه منع منه توخي التاديب والتهذيب في نظم الكلام
وذلك انه لما كان الضمير الذي في ليجزي عائدا على الله سبحانه وجب ان
يعدل عن لفظ المعنى الخاص الى ردفه حتى لا تنسب السيئة الى الله تعالى
فقال سبحانه في الموضع الذي ينبغي ان يقول فيه بالسيئة بما عملوا فعوض
عن تجنيس المزاوجة بالارداف لما في الارداف من حسن الادب مع الله تعالى
ليعلمنا ذلك ولما كان قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها قد امن فيه
هذا المحذور جاء الكلام فيه على مقتضى الصناعة والله اعلم ٥
واذا تقاربت الديار تقاربت الافكار ولهذا قيل الشعر مجة يقع فيها الخاطر

على الخاطر كوقوع الحافر على الحافر واعلم ان من الناس من شعره في البديهة ابدع
منه في الروية ومن هو مجيد في رويته وليست له بديهة وقلما يتساويان
وفيهم من اذا خاطب ابدع واذا كاتب قصر ومنهم بضد ذلك ومن قوي
نظمه ضعف نثره ومن قوي نثره ضعف نظمه وقلما يتساويان وقد يبرز الشاعر
في معنى من معاني مقاصد الشعر دون غيره من المقاصد ولهذا قيل اشعر
الناس امرؤ القيس اذا ركب وزهير اذا رغب والنابغة اذا رهب وعنترة
اذا كلب والاعشى اذا طرب واياك وتعقيد المعاني بسوء التركيب
واستعمال اللفظ الحوشي فان خير الكلام ما سبق معناه الى القلب قبل وصول
جملته الى السمع ٥ قال على عيسى الرماني اسباب الاشكال ثلثة
وكلها يغير الكلام عن الاغلب كالتقديم والتاخير وسلوك الطريق
الابعد وايقاع المشترك وقد جمع هذه الاسباب الثلثة قول الفرزدق

وما مثله في الناس الا مملكا ابو امه حي ابوه يقاربه

فان الممدوح ابرهيم بن هشام بن عبد الملك فاما التقديم والتاخير ففي قوله
وما مثله البيت لان صحته وما مثله في الناس حي يقاربه الا مملكا ابو امه
ابوه فلما قدم واخر حصل التعقيد واما سلوك الطريق الابعد فقوله ابو امه
وكان يجزيه قوله جده واما المشترك ففي قوله حي لصلاحية اللفظ لضد الميت
وللقبيلة انتهى كلام الرماني ٥ وليكن كلامك سليما من التكلف بريا
من التعسف وليحط لفظك بمعناك وتشتمل عبارتك على مغزاك واحذر الاطالة
الا فيما تحمد فيه فان البلاغة لمحة دالة وقيل سرعة جواب في صواب وقيل
ان تقول فلا تبطي وان تصيب فلا تخطي والصحيح من حدها انها ايضاح المعنى
باقرب الطرق واسهلها والعي اكثار من مهذار واخطاء بعد ابطاء

كما جاء في المثل سكت الفا ونطق خلفا وقدر اللفظ على قدر المعنى لا زايدا
عليه ولا ناقصا عنه كما قيل في مدح بعض البلغاء كانت الفاظه قوالب لمعانيه
وقيل في اخر كان اذا اخذ شبرا كفاه وان اخذ طومارا املاه ٥
واستعمل التطويل في مكانه والتقصير في مكانه فقد قيل اذا كان الايجاز
كافيا كان التطويل عيا واذا كان التطويل واجبا كان التقصير
عجزا ولهذا حد بعضهم البلاغة بانها ايجاز من غير اخلال واطناب من
غير املال وما احسن بيتا انشده الجاحظ في هذا المعنى

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء

واياك ان تفرط فان فرطت قصرت او تفرط فان افرطت كثرت
والا فانظر الى قصص الكتاب العزيز كيف اتت تارة وجيزة ومرة
بسيطة كما قلت في وصفه في القصيدة التي مدحت بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم

به قصص تاتيك طورا بسيطة ليفهمها من بسطها المتبلد
وطورا بايجاز يبث لذي حجى له زند فهم ثاقب ليس يصلد

وعلى الجملة مهما كان الايجاز كافيا والمعنى به واضحا فالاطالة ان لم تكن
عيا كانت عبثا ولم يزل اجلاء المتقدمين يحمدون ذلك ويذمون ما
سواه ويدلك على اختيار هذا المذهب ما يحكى عن احمد بن يوسف الكاتب
فانه قال دخلت على المامون وفي يده كتاب وهو يعاود قراءته تارة بعد يوما
اخرى ويصعد نظره فيه ويصوبه قال فلما مرت على ذلك مدة التفت
الي وقال يا احمد اراك مفكرا فيما تراه مني فقلت نعم وقى الله امير المؤ
المكاره واعاذه من المخاوف فقال انه لا مكروه في الكتاب ولكني قرات

فيه كلاما وجدته نظير ما سمعت الرشيد رحمه الله يقوله في البلاغة فاني
سمعته يقول البلاغة التباعد من الاطالة والتقرب من البغية والدلالة
بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى وما كنت اتوهم ان احدا يقدر
على المبالغة في هذا المعنى حتى قرات هذا الكتاب ورمى به الي وقال هذا
كتاب عمرو بن مسعدة الينا قال فقراته فاذا فيه كتابي الى امير المؤمنين
ومن قبلي من قواده وسائر اجناده في الانقياد والطاعة على احسن ما
تكون عليه طاعة جند تاخرت ارزاقهم وانقياد كفاة تراخت اعطياتهم
فاختلت لذلك احوالهم والتاثت معه امورهم قال فلما قراته قال يا احمد
ان استحساني هذا الكلام بعثني على ان امرت للجند قبله بعطياتهم لسبعة اشهر
وانا على مجازاة الكاتب بما يستحقه محله من صناعته وروي ايضا عن
المامون انه امر عمرو بن مسعدة الكاتب هذا ان يكتب لرجل يعنى به الى
بعض العمال بالوصية عليه وان يختصر كتابه ما امكنه حتى يكون ما
يكتبه في سطر واحد فكتب اليه عمرو بن مسعدة كتابي اليك
كتاب واثق بمن كتب اليه معني بمن كتب له ولن يضيع بين الثقة والعناية
حامله ان شاء الله تعالى وقد كان جعفر بن يحيى مع تقدمه في هذه
الصناعة يقول لكتابه ان استطعتم ان يكون كلامكم كله مثل
التوقيعات فافعلوا ٥ واما قول قيس بن خارجة لما قيل له ما عندك
في حمالات داحس فقال عندي قرى كل نازل ورضى كل ساخط وخطبة
من لدن تطلع الشمس الى ان تغرب امر فيها بالتواصل وانهى عن التقاطع
فان ذلك لم يخرجه مخرج المدح للاطالة المذمومة لان الاطالة المذمومة
هي اطالة العبارة عن المعنى الواحد بالالفاظ الكثيرة وانما اراد قيس

الايثار من المعاني فاذا كثرت المعاني احتاج المتكلم الى كثرة الالفاظ للعبارة
عنها ولا يضاجعها ولبوس في مقصوده فيها ومتى طال الكلام لذلك كانت
الاطالة بلاغة لا عيا فان حقيقة البلاغة ايجاز من غير اخلال واطناب
من غير املال لا سيما لخطب الاملاكات والسجلات التي تقرا على
رؤس الجماعات فالمحمود في هذه المواضع الاطناب والمذموم الاسهاب
وقد شفيت الغليل في هذا الباب وخرجت فيه عن شرط الكتاب لاحتياج
العامل اليه واعتماد الناقد عليه ٥

باب حسن النسق

حسن النسق من محاسن الكلام وهو ان تاتي الكلمات من النثر والابيات من
الشعر متتاليات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا لا معيبا ولا مستهجنا
والمستحسن من ذلك ان يكون كل بيت اذا افرد قام بنفسه واستقل معناه
بلفظه وان ردفه مجاوره صارا بمنزلة البيت الواحد بحيث يعتقد السامع
انهما اذا انفصلا تجزا حسنهما ونقص كمالهما وتقسم معناهما وهما ليسا
كذلك بل حالهما في كمال الحسن وتمام المعنى مع الانفراد والافتراق كحالهما
مع الالتيام والاجتماع ومن شواهد هذا الباب في الكتاب العزيز قوله تعالى
وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت
على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين فانت ترى اتيان هذه الجمل
معطوفا بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة لانه
سبحانه بدا بالاهم اذ كان المراد اطلاق اهل السفينة من سجنها ولا يتهيا
ذلك الا بانحسار الماء عن الارض فلذلك بدا بالارض فامرها بالابتلاع

ثم علم سبحانه ان الارض اذا ابلعت ما عليها من الماء ولم تنقطع مادة السماء تاذى
بذلك اهل السفينة عند خروجهم منها وربما كان ما ينزل من السماء مخلفا
بعيض في الارض فلا يحصل الانحسار فامر سبحانه السماء بالاقلاع بعد
امره الارض بالابتلاع ثم اخبر بغيض الماء عند ماذهب ما على الارض وانقطعت
مادة السماء وذلك يقتضي ان يكون ثالث الجملتين المتقدمتين ثم قال تعالى وقضي
الامر اي هلك من قدر هلاكه ونجا من قضيت نجاته وهذا كنه الاية
وحقيقة المعجز ولا بد وان تكون معلومة لاهل السفينة ولا يمكن علمهم بها الا
بعد خروجهم منها وخروجهم موقوف على ما تقدم فلذلك اقتضت البلاغة
ان تكون هذه الجملة رابعة الجمل وكذلك استواء السفينة على الجودي اي
استقرارها على المكان الذي استقرت فيه استقرارا لا حركة بعده لتبقى
آثارها اية لمن ياتي بعد اهلها وذلك يقتضي ان يكون بعد ما ذكرنا
وقوله سبحانه وقيل بعدا للقوم الظالمين وهذا دعاء اوجبه الاحتراس
ممن يظن ان الهلاك ربما شمل من لا يستحق فدعا سبحانه على الهالكين ووصفهم
بالظلم احتراسا من هذا الاحتمال وذلك يقتضي ان يكون بعد كل ما تقدم
والله اعلم   فانظر الى حسن هذا النسق كيف وقع القول فيه وفق
الفعل سواء ومن شواهد هذا الباب الشعرية قول زهير

ومن يعص اطراف الزجاج فانه مطيع العوالي ركبت كل لهذم

فانه نسق على هذا البيت اثني عشر بيتا كل بيت منها معطوف على ما قبله
بالواو عطف تلاحم من غير تضمين وحسن النسق تارة يكون في الابيات
بحيث يعطف بيت على بيت كما قدمنا من شعر زهير وتارة في البيت الواحد
كقول ابن شرف القيرواني

جاوز عليا ولا تحفل بحادثة اذا ادرعت فلا تسال عن الاسل

سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد ملء المسامع والافواه والمقل

فالحظ حسن هذا النسق وصحة هذا الترتيب فيه واستيعاب هذا التقسيم ووضوح
هذا التفسير وما رايت من شواهد حسن النسق مما هو داخل في القسم الاول منه
كقول ابي نواس

واذا جلست الى المدام وشربها فاجعل حديثك كله في الكاس

واذا نزعت عن الغواية فليكن لله ذاك النزع لا للناس

فان حسن النسق لاءم بين فنين متضادين في هذين البيتين وهما المجون والزهد
حتى صارا كانهما فن واحد والله اعلم ٥

باب الانسجام

وهو ان ياتي الكلام متحدرا كتحدر الماء المنسجم سهولة سبك وعذوبة الفاظ
حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون وقع في النفوس وتاثير في القلوب
ما ليس لغيره مع خلوه من البديع وبعده عن التصنع واكثر ما يقع الانسجام
غير مقصود كمثل الكلام المتزن الذي ياتي به الفصاحة في ضمن النثر
عفوا كامثال اشطار وانصاف وابيات وقعت في اثناء الكتاب العزيز
ورويت عن الرسول صلى الله عليه وسلم فان وقع من ذلك في غير القران بيتان
فصاعدا اسمي ذلك شعرا وان لم يقصد واما القران العزيز فلم يقع فيه الامثال
النصف او البيت الواحد والبيت المفرد لا يسمى شعرا وعلى ذلك ادلة لا يتسع
هذا المكان لذكرها وقد اتيت بها مستقصاة في كتابي المنعوت بالميزان
الذي شرعت في عمله ارجح فيه بين كلام قدامة وبين كلام خصومه ولم اكمل

ومثال الانسجام الذي وقع في الأشعار المقصودة قول البحتري

فيا لايمي في عبرة قد سفحتها لبين واخرى قبلها للتجنب
تحاول مني شيمة غير شيمتي وتطلب مني مذهبا غير مذهبي

وكقول اسحق بن ابرهيم الموصلي

على عصر ايام الصبابة والصبا ووصل الغواني والتداني بالشرب
سلام امرئ لم ابق منه بقية سوى نظر العينين او شهوة القلب

ومن هذا الباب للمتقدمين اكثر لامية الشنفري كقوله

وفي الارض منأى للكريم عن الاذى وفيها لمن خاف القلى متحول

وكقول امرئ القيس

اغرك مني ان حبك قاتلي وانك مهما تامري القلب يفعل

وكقول شاعر الحماسة

الا ليقل من شاء ما شاء انما يلام الفتى فيما استطاع من الامر
قضى الله حب المالكية فاصطبر عليه فقد تجري الامور على قدر

وقد يحصل الانسجام مع البديع الذي اتت به القريحة عفوا من غير استدعاء ولا
كلفة كقول ابي تمام

ان شئت ان لا ترى صبرا لمصطبر فانظر على اي حال اصبح الطلل

فانت ترى انسجام هذا الكلام مع كون البيت قد وقع فيه المبالغة والتعليق
والاشارة فانه علق انتفاء صبر المصطبرين برؤية الطلل على تلك الحالة واشار
بقوله على اي حال اصبح الى احوال كثيرة لو عبر عنها بلفظها لاحتاج الى الفاظ
كثيرة وعلق احد الامرين بالاخر اذ جاء بلفظ الشرط والمشروط والله اعلم ٥

باب براعة التخلص

وهو امتزاج ما يقدمه الشاعر على المدح من نسيب او فخر او وصف او ادب
او زهد او مجون او غير ذلك باول بيت من المدح وقد يقع ذلك في بيتين
متجاورين وقد يقع في بيت واحد وهذه وان لم تكن طريقة المتقدمين في
غالب اشعارهم فان المتاخرين قد لهجوا بها واكثروا منها وهي لعمري من
المحاسن واول من احسن في ذلك من القدماء في غالب ظني زهير حيث قال

ان البخيل ملوم حيث كان ولكن الكريم على علاته هرم

ولقد اتفق له في هذا البيت اتفاق صالح حيث جاء مدمجا من جهة عروضه
فامتزج المعنيان والقسمان امتزاجا كليا لفظيا ومعنويا مع ما
وقع في البيت من المطابقة اللفظية ثم اتى المتاخرون في ذلك
فمن مجيد مبرز ومن ضعيف مقصر فمن المجيدين في ذلك الذي اتى فيه
بما لا يلحق سبقا مسلم بن الوليد حيث قال

اجدك ما تدرين ان رب ليلة كان دجاها من قرونك تنشر
سريت بها حتى تجلت بغرة كغرة يحيى حين يذكر جعفر

فان التخلص وقع في بيت واحد وهو احسن وتشبيه الى ما جاء في البيت
من التعليق وهو الاشارة الى افراط حب يحيى لولده جعفر وهو الممدوح وفي
ذلك مدحه بالبر لابيه الذي اوجب له ذلك عليه وفي وصفه بالبر
لابيه جماع خير الدنيا والاخرة فادمج المبالغة في التعليق ومن المجيدين
في ذلك ايضا ابو نواس حيث يقول

تقول التي من بيتها خف محملي بعزيز علينا ان نراك تسير
اما دون مصر للغنى متطلب بلى ان اسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر جرت فجرى في اثرهن عبير

دعني اكثر حاسديك برحلة الى بلد فيه الخصيب امير

وكقول ابي تمام

لا والذي هو عالم ان النوى صبر وان ابا الحسين كريم
ما زلت عن سنن الوداد ولا غدت نفسي على الف سواك تحوم

وكقوله حيث يقول

لقد انست مساوي كل دهر محاسن احمد بن ابي دواد

وكقوله معتذرا وقد وصف الابل

سترت تحمل العتبى الى العتب والرضى الى السخط والعذر المبين الى الحقد

وكقوله

يقول في قومس صحبي وقد اخذت منا السرى وخطا المهرية القود
امطلع الشمس تبغي ان تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود

ومما تقدم فيه غيره قوله

اساءة الحادثات استبطني نفقا فقد اظلك احسان ابن حسان

وكقوله

لم يجتمع قط في مصر ولا طرف محمد بن ابي مروان والنوب

وكقوله

فالارض معروف السماء قرى لها وبنو الرجاء لهم بنو العباس

على ان ابا الطيب المتنبي هداني في هذا الباب بما لا يقصر به عن لحاق ابي تمام ولا امثاله من المجيدين ويكفيه من ذلك قوله

مرت بنا بين تربيها فقلت لها من اين جانس هذا الشادن العربا
فاستضحكت ثم قالت كالمغيث يرى ليث الشرى وهو من عجل اذا

واذا وصلت الى ابن حجاج في هذا الباب فانك تصل الى ما لا تدركه الالباب فمن ذلك قوله

وقد بادلتها فمنا لها الى بمشورة الهوى ولها قذا لي (اسنها صح)
كما لابن العميد جميع مدحي ودنيا ابن العميد جميعها لي

وكقوله

فبهم قد امنت خوف معادي وبهذا الوزير خوف زماني

باب الحل

وهو ان يعمد الكاتب الى شعر فيحل منه عقد الوزن فيصيره منثورا كما روي عن ابرهيم بن العباس الصولي انه قال ما اتكلت قط في مكاتباتي الا على ما يجلبه خاطري ويجيش به صدري الا قولي فابدلوه آجالا من آمال فاني حللت قول مسلم

موف على مهج في يوم ذي رهج كانه اجل يسعى الى امل

وقولي وقد صار ما يحرزهم يبرزهم وما يعقلهم يعقلهم فاني حللت فيه قول ابي تمام

فان باشر الاصحار فالبيض والقنا قراه واحواض المنايا مناهله
وان يبن حيطانا عليه فانما اولئك عقالاته لا معاقله

والبيت الثاني اردت ٥

باب العقد

وهو ضد الحل لانه عقد النثر شعرا ومن شرائطه ان يوخذ المنثور

بجملة لفظه او بمعظمه فيزيد فيه او ينقص منه او يحرف بعض كلماته ليدخل به في
وزن من اوزان الشعر ومتى اخذ معنى المنثور دون لفظه كان ذلك نوعا من
انواع السرقات بحسب الاخذ الذي يوجب استحقاق الاخذ للماخوذ ولا
يسمى عقدا الا اذا اخذ المنثور برمته وان غير منه شي بطريق من الطرق
التي قدمناها كان المبقي منه اكثر من المغير بحيث تعرف من البقية صورة
الجمع كما فعل ابو تمام في كلام عزى به علي عليه السلم الاشعث بن قيس في ولده
فعقده ابو تمام شعرا فقال

وقال علي في التعازي لاشعث وخاف عليه بعض تلك الماثم
اتصبر للبلوى عزاء وحسبة فتوجر ام تسلو سلو البهايم

ومنه قول ابي العتاهية

ما بال من اوله نطفة وجيفة اخره يفخر

فانه عمد الى قول علي بن ابي طالب عليه السلم ما لابن ادم والفخر وانما اوله نطفة
واخره جيفة لا يرزق نفسه ولا يدفع عنه حتفه فعقده شعرا
وكقوله اعني ابا العتاهية

كفى حزنا بدفنك ثم اني نفضت تراب قبرك عن يديا
وكانت في حياتك لي عظات فانت اليوم اوعظ منك حيا

فانه عقد قول بعض الحكما في الاسكندر حين مات ان كان الملك امس
انطق منه اليوم فهو اليوم اوعظ منه امس والله اعلم

باب التعليق

وهو ان ياتي المتكلم بمعنى في غرض من اغراض الشعر ثم يعلق به معنى اخر من

ذلك الغرض يقتضي زيادة معنى من معاني ذلك الفن كمن يروم مدحا الانسان
بالكرم فيعلق بالكرم شيا يدل على الشجاعة بحيث لو اراد ان يخلص ذكر
الشجاعة من الكرم لما قدر ومن امثلة التعليق قول المتنبي

الى كم ترد الرسل عما اتوا له كانهم فيما وهبت ملام

فعلق الكرم بالشجاعة لكونه شبه رسل العدو بالملام في الهبة فهو كثيرا
ما يردهم عما يطلبون منه ثنيا وتابيهم سلمهم وشجاعة عليهم ويسرعا الى حربهم
ورغبة فيها دون سلمهم ثم حصل من التشبيه الذي علق به الكرم بالشجاعة
وصفه بغاية الكرم اذ دل على انه عاشق في الجود لا يسمع فيه ملاما ولا
يصغي العاذل وما سمعت في ذلك احلى من قول بعض العراقيين في بعض
القضاة وقد شهد عنده برؤية هلال الفطر فلم يجز الشهادة

اترى القاضي اعمى ام تراه يتعامى
سرق العيد كان العيد اموال اليتامى

تعلق خيانة القاضي في اموال اليتامى بما قدمه من خيانته في امر العيد
ومن مليح التعليق قول المتنبي في صفة الليل

اقلب فيه اجفاني كاني اعد به على الدهر الذنوبا

فانه علق فن عتاب الزمان بفن الغزل اللازم من فن الوصف بواسطة اداة
التشبيه فاحسن ما شاء ومن احسن ما سمعت في التعليق قول ابي نواس

لهم في بيتهم نسب وفي وسط الملا نسب
لقد زنو عجوزهم ولو زنيتها غضبوا

فانه علق هجائهم بفجوراتهم بدعوتهم في النسب وظرف ما شاء بقوله
ولو زنيتها غضبوا ومنه قوله ايضا

فأعرض معل لما رأى كأني قد هجوت الأدعياء

فقد آليت لا أهجو دعيا ولو بلغت مروته السماء

ومن لطيف تهكمه في هذا البيت قوله ولو بلغت مروته السماء وقد أدمج الافتنان في التهكم لأن معناه أني لا أهجو الا من بلغت مروته الغاية القصوى وهذا فخر مدمج في الهجاء الذي أخرجه مخرج التهكم وكذلك فضلاء الشعراء وعقلاء البلغاء يتخيرون لهجائهم كما يتخيرون لمديحهم وقد وقع لي في هذا الباب من المدح ما لا بأس بذكره وهو

تخيل ان القرن وافاه سائلا فقابله طلق الاسرة ذا بشر

ونادى فرند السيف دونك نحره فأحسن ما تهدى اللآلي الى النحر

فاني علقت ذكر الكرم بذكر الشجاعة حيث وصفت الممدوح بطلاقة وتهلله استبشارا بالقرن لما تخيله سائلا واهدائه فرند السيف وهو جوهره الى نحره لما تخيل الفرند لآلئ هذا الا ما وقع في البيت الثاني من التورية بذكر النحر والترشيح بذكر اللآلئ ومن التعليق العجيب قولي أيضا مما علقت فيه الاستعطاف بالعتب

أإخواننا بالله ما الجفا بكم غدا الى بعد السلم وهو مصالت

أحين أمنتم من ملامي وأيقنت نفوسكم أني مدى الدهر ساكت

تخليتم عني وخنتم مواثقا لها بعد توكيد العهود تهافت

وأقررتم عين الحسود عليكم فسرت نفوس بالبعاد شوامت

سأصبر حتى ينفد الصبر كله وينطق حالي والقوافي صوامت

وأعطفكم بالشعر حتى ذرى شارق واخلبكم بالنثر ما عج فائت

وأعذر ان عرضت يوما بعتبكم ليحيى وداد بالتجنب مائت

وها أنا موصيكم وصية ناصح لكم وده عند الحفيظة ثابت

بأن تتحاموا عن فوات بوادري فإن بعيدا رد ما هو فائت

وأن تهدموا ما قد بنيتم وتعطشوا من الود غرسا قد غدا وهو نابت

ومن التعليق نوع يسمى تعليق الشرط وهو أن يعلق المتكلم مقصوده على شرط يلزم من تعليقه مبالغة في ذلك المعنى أو نوع من أنواع المحاسن زائد على وقوع المشروط لوقوع الشرط وذلك كقول أبي تمام

فإن أنا لم يحمدك عني صاغرا عدوك فاعلم أنني غير حامد

فعلق صحة حمده لممدوحه على حمد عدوه له صاغرا ليتبين ان الكلام الممدوح عدوه صاغرا لا يكون الشاعر له حامدا وقد استقصيت الكلام على هذا البيت في باب المقارنة والفرق بين التعليق والتكميل شدة ملاحمة الفنين في التعليق واتحادهما وان وجد لفظهما فيه وتخليص أحدهما من الآخر في التكميل ولأن من التعليق تعليق الشرط والله أعلم

باب الادماج

وهو أن يدمج المتكلم غرضا له في ضمن معنى قد نحاه من جملة المعاني ليوهم السامع أنه لم يقصده وإنما عرض في كلامه لتتمة معناه الذي قصد اليه كقول عبيد الله بن عبيد الله لعبيد الله بن سليمن بن وهب حين وزر للمعتضد وكان ابن عبيد الله قد اختلت حاله فكتب لابن سليمن

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا وأسعفنا فيمن نحب ونكرم

فقلت له نعماك فيهم أتمها ودع أمرنا ان المهم المقدم

فأدمج شكوى الزمان وشرح ما هو عليه من الاختلال في ضمن التهنئة وتلطف

في المسئلة وَدقّق التحيّل لبلوغ الغرض مع صيانة نفسه عن التصريح بالسّؤال وحمايته من الإذلال لاجرم ان ابن سليمن فطن لذلك ووصله واستعمله ومن لطيف الادماج قول ابن نباتة السعدى

ولا بدّ لى من جهلة فى وصاله فمن لى بخلّ اودع الحلم عنده

فانه ادمج الفخر فى الغزل حتى جعل حلمه لا يفارقه بتة ولا يرغب نفسه عنه جملة وانما عزم على ان يودعه اذا كان لا بدّ له من وصل هذا المحبوب لانّ الودايع تستعاد ثم استفهم عن الخلّ الصّالح ان يستودع الحلم بلفظ يشعر بالاستبعاد والتعذر فيكون مفهوم الخطاب بقيا حلمه لعدم من يصلح لان يودعه عنده ثم ادمج فى ضمن الفخر الذى ادمجه فى الغزل شكوى الزمان لتغيّر الاخوان بحيث انهم لم يبق منهم من يستصلح لمثل هذا الشّان ومثل هذا الادماج ما وقع لبعض الاندلسيين فى قوله

هذا البيت لبعض شعراء المغرب

اارضى ان تصاحبنى بغيضا مجاملة وتحملنى ثقيلا

وحقك لا رضيت بذا لانّى جعلت وحقك القسم الجليلا

والبيت الثانى اردت لانه ادمج فيه الغزل فى العتاب من الفنون والمبالغة فى القسم من البديع ومن شواهد الادماج فى الكتاب العزيز قوله تعالى وله الحمد فى الاولى والاخرة فانّ هذه الجمله ادمج فيها المبالغة فى الحمد فى ضمن المطابقه اذا افرد نفسه سبحانه بالحمد حيث لا يحمد سواه اذ قال وهو اعلم وله الحمد فى الاخرة والفرق بين التعليق والادماج ان التعليق يصرّح فيه بالمعنيين المقصودين على شدة اتحادهما والادماج يصرّح فيه بمعنى غير مقصود قد ادمج فيه المعنى المقصود والله اعلم ٥

باب الازدواج

وهو ان ياتى الشاعر فى بيته من اوله الى آخره بجمل كل جملة منها كلمتان مزدوجتان كل كلمة اما مفردة او جملة واكثر ما يقع هذا النوع فى اسماء مثناة مضافة كقول ابى تمام

وكانا جميعا شريكى عنان رضيعى لبان خليلى صفاء

ومن الازدواج نوع يؤتى فيه بكلمتين صورتهما واحدة ومفهومهما واحد كقول بعض العرب

ومطعم النصر يوم النصر مطعمه اَنّى توجّه والمحروم محروم

فقوله ومطعم النصر مطعمه والمحروم محروم ازدواج والفرق بينه وبين التجنيس المماثل اختلاف معنى الكلمتين فى التجنيس واتفاقهما فى الازدواج على انّ الرمانى قد عدّ الازدواج تجنيسا وذكر منه قول الله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وافرده غير الرمانى بابا واستشهد عليه بغير ذلك والله اعلم ٥

باب الاتّساع

وهو ان ياتى الشاعر ببيت يتّسع فيه التاويل على قدر قوى الناظر فيه وبحسب ما يحتمل الفاظه كقول امرئ القيس

اذا قامتا تضوّع المسك منهما نسيم الصّبا جاءت بريّا القرنفل

فان هذا البيت اتسع النقاد فى تاويله فمن قايل تضوّع مثل المسك منهما بنسيم الصبا ومن قايل تضوّع نسيم الصبا منهما ومن قايل تضوّع المسك منهما تضوّع نسيم الصبا وهذا هو الوجه عندى ومن قايل تضوّع المسك منهما بفتح الميم يعنى الجلد بنسيم الصّبا وكقوله فى صفة الفرس

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل
لان الحجر يطلب جهة السفل لكونها مركزه اذ كل شيء يطلب مركزه بطبعه الذي
جبل عليه فالحجر يسرع انحطاطه الى السفل من العلو من غير واسطة فكيف
اذا اعانته قوة دفاع السيل من عل فهو حال تدحرجه ترى وجهه في
الآن الذي ترى فيه ظهره لسرعة تقلبه وبالعكس ولهذا قال الشاعر
مقبل مدبر معا يعني يكون ادباره واقباله مجتمعين في المعية لا يعقل الفرق
بينهما وحاصل الكلام وصف الفرس بلين الراس وسرعة الانحراف في صدر
البيت وشدة العدو في عجزه وقيل انه جمع وصفي الفرس بحسن الخلق وشدة
العدو لكونه قال في صدر البيت انه حسن الصورة كامل البنية في حالتي
اقباله وادباره وكره وفره ثم شبهه في عجز البيت بجلمود صخر حطه السيل
من العلو لشدة العدو فهو في الحالة التي ترى فيها لببه ترى فيها كفله
وبالعكس هذا ولم تخطر هذه المعاني بخاطر الشاعر في وقت العمل وانما
الكلام اذا كان قويا من مثل هذا الفحل احتمل لقوته وجوها من التاويل
بحسب ما تحتمل الفاظه وعلى مقدار قوى المتكلمين فيه ولذلك قال الاصمعي
خير الشعر ما اعطاك معناه بعد مطاولة وقد غلط بعض الناس في تفسير
هذا الكلام وغلط الاصمعي فيه بسوء تفسيره لانه توهم ان الاصمعي اراد الشعر
الذي ركب من وحشي الالفاظ او وقع فيه من تعقيد التركيب ما اوجب له
غموض معناه ولو كان كذلك كان ذلك شر الشعر وانما اراد الاصمعي الشعر
القوي الذي يحتمل مع فصاحته وكثرة استعمال الفاظه وسهولة تركيبه وجودة
سبكه معاني شتى يحتاج الناظر فيه الى تاويلات عدة وترجيح ما يترجح منها
بالدليل والله اعلم

باب المجاز

المجاز عبارة عن تجوز الحقيقة بحيث ياتي المتكلم لاسم موضوع لمعنى فيختصره
اما بان يجعله مفردا بعد ان كان مركبا او غير ذلك من وجوه الاختصار
او يذكر ما هو متعلق به او كان من سببه والمجاز جنس يشتمل على انواع
كثيرة كالاستعارة والمبالغة والاشارة والارداف والتمثيل والتشبيه
وغير ذلك مما عدل فيه عن الحقيقة الموضوعة للمعنى المراد فهذه الانواع
وان كانت من المجاز فلكونها متعددة جعل لكل نوع منها اسم يعرف به
ويميزه عن غيره من جنسه كما جعل لانواع جنس الحيوان من الاسماء التي تعرف
انواعها بالفصول كالفرس والجمل والطائر والانسان وغير ذلك
من قسمي الناطق والبهيم وقد خص النقاد نوعا من انواع المجاز بابقاء
اسم المجاز عليه وهو اقسام منها حذف الموصوف وابقاء الصفة تدل عليه
كقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله فان المراد هو الذي ارسل محمدا رسوله وحذف
الفاعل الذي فعله المسند اليه دال عليه كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب
ومنها حذف الاجوبة كقوله تعالى في حذف جواب لو ولو ان قرانا سيرت به الجبال
الاية ومنها الاتيان بجواب عن سؤال مقدر لدلالة الجواب عليه كقوله سبحانه
قيل ادخل الجنة فان المعنى كان قائلا قال فما كانت عاقبة هذا الذي نصر
الحق وبذل نفسه في ذات الله فيقال قيل له ادخل الجنة ومنها الاسم
المضاف وهو الذي حذف المضاف منه واقيم المضاف اليه مقامه كقوله تعالى
واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل وقوله تعالى ويا سماء اقلعي اي ويا مطر
السماء او يا سحاب السماء او يا سحاب لكونه بالنسبة للمخاطب عاليا وكل ما
علا الانسان من سقف وسحاب وغيره يسمى سماء وقد تجاوزت العرب

حذف المضاف الى حذف مضاف ثان بعد حذف المضاف الاول كقول جرير

اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا

فقوله اذا نزل السماء يريد مطر السماء وهذا القسم الاول من المجاز وقوله رعيناه يريد رعينا ما ينبته مطر السماء وهذا من القسم الثاني من المجاز وانما ابقوا اسم المجاز على هذا القسم لخلوه عن معنى زائد عن تجوز الحقيقة بليق ان يكون تسميته من جنسه كالاستعارة والتشبيه والمبالغة والارداف والاشارة وغير ذلك فلما لم يكن في هذا القسم غير تجوز الحقيقة اختصارا افرد باسم المجاز اذ لا يليق به غيره وقد عمل الشريف الرضي الشاعر رحمه الله كتاب مجاز القران فلم يات فيه الا بنوعين او ثلثة من انواع المجاز ولم يستوعب وقصدت تذييل الكتاب بتقصي جميع انواع مجاز القران فعاقت عن ذلك عوايق والله اعلم

باب الايجاز

الايجاز اختصار بعض الفاظ المعاني ليأتي الكلام وجيزا من غير حذف لبعض الاسم ولا عدول عن لفظ المعنى الذي وضع له فان الاختصار ان كان بحذف بعض الاسم كما قدمناه فهو مجاز وان كان بتغيير لفظ المعنى بوجه من وجوه التغيير كان من انواع المجاز التي قدمنا ذكر بعضها كالاستعارة والاشارة والارداف وغير ذلك ومثاله ان يقتص المتكلم قصة بحيث لا يغادر منها شيا في الفاظ قليلة موجزة جدا بحيث لو اقتصها غيره ممن لم يكن في مثل طبقته من البلاغة اتى بها في اكثر من تلك الالفاظ واكثر قصص الكتاب العزيز من هذا القبيل كقصة موسى عليه السلام في طه فان معانيها اتت بالفاظ الحقيقة تامة غير مخل بها وهي مستوعبة في تلك الالفاظ وقد رايت اكثر العلماء

على تقديم الاعشى في اقتصاصه قصة السموال في ادراع امرئ القيس الشاعر التي اودعها عنده لما قصد قيصر ووفاء السموال بها حتى سلمها لاهل امرئ القيس وبذل دونها دم ولده وهو يشاهده وهي

كن كالسموال اذ طاف الهمام به في جحفل كسواد الليل جرار
بالابلق الفرد من تيماء منزله حصن حصين وجار غير غدار
اذ سامه خطتي خسف فقال له مهما تقول فاني سامع حار
فقال غدر وثكل انت بينهما فاختر فما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له اقتل اسيرك اني مانع جاري
ان له خلفا ان كنت قاتله وان قتلت كريما غير عوار
مالا كثيرا وعرضا غير ذي دنس واخوة مثله ليسوا باشرار
جروا على ادب مني بلا نزق ولا اذا شمرت حرب باغمار
وسوف يخلفه ان كنت قاتله رب كريم وبيض ذات اطهار
لا سرهن لدينا ضايع هدرا وكاتمات اذا استودعن اسراري
فقال تقدمة اذ قام يقتله اشرف سموال فانظر للدم الجاري
اقتل ابنك صبرا او تجي بها طوعا فانكر هذا اي انكار
فشك اوداجه والصدر في مضض عليه منطويا كاللذع بالنار
واختار ادراعه ان لا يسب بها ولم يكن عهده فيها بختار
وقال لا اشتري عارا بمكرمة واختار مكرمة الدنيا على العار
والصبر منه قديما شيمة خلق وزنده في الوفاء الثاقب الواري

فانظر كيف اغنى الاعشى عن حفظ القصة بطولها من يريد حفظها بهذه الابيات التي استوعبها فيها مع ما انطوت عليه الفاظها التي خرجت لها مخرج الحقيقة

من المدح للسموأل بالوفاء ولابنه بالصبر على البلاء والتحريض للممدوح على التخلق
بمثل هذا الخلق ليبقى له مثل هذا الذكر والاحتراس في البيت الذي يقول فيه

اقتل ابنك صبرا او تجئ بها … فانه لما اضمر فيه ذكر الادراع

وظن ان البيت مفتقر الى شرح ان لم يؤت به توقف السامع في فهمه فاحترس
عن ذلك بقوله … واختار ادراعه ان لا يسب بها ليوضح ان الضمير في البيت الذي
قبله يعود على الادراع فتلافى ذلك الخلل واستغنى عن الشرح المطول وقد
ذكر الحاتمي في الحلية بعد هذه الابيات قول بعض العرب يمدح بني كعب
بقوله

لعمري لنعم الحي حي بني كعب … اذا نزل الخلخال منزلة القلب

وقال الحاتمي اذا نعت رتبة الخلخال فابدت ساقها للهرب فتكون قد
انزلت الخلخال منزلة القلب في الظهور لان عادة المراة من العرب ان
تبدي معصمها وتستر ساقها ولا عار عليها في ذلك وحاصل هذا الكلام
مدح هذا الحي بالمحاماة وشدة الباس عند الخوف وقد قيل فيه غير
ذلك وهو ان المراة من الروعة تذهل فتلبس الخلخال موضع القلب دهشا
وحيرة والمرجع في التفسير الى مقصد واحد ٥ وعندي ان هذا البيت
لا يصلح ان يكون من شواهد الايجاز لان حقيقة الايجاز اخراج المعاني
في قوالب الفاظها الحقيقة الموضوعة لها فان الايجاز ايجازان ايجاز مجازي
وايجاز حقيقي فما كان منه حقيقيا بقي عليه اسم الايجاز وما كان مجازيا
وضعوا لكل قسم منه اسماء تخصه وتناسب اشتقاقه فان المجاز ايجاز
وهو حذف بعض الكلام لدلالة الباقي عليه او للاستغناء بالقرينة كقوله تعالى
واسأل القرية التي كنا فيها … والاشارة والارداف والتمثيل ايجاز لكن

هذه الابواب تجيء بغير الفاظ المعاني الموضوعة لها وقول هذا الشاعر

اذا نزل الخلخال منزلة القلب … وهو يريد اذا ارتاعت فلبست

خلخالها في معصمها او ذهلت للخوف عن خفرها معلوم انه غير لفظ المعنى
الخاص وهذا بالاشارة اولى فان شئت جعلته من شواهد الاشارة او
من شواهد الاتساع ثم ذكر اعني الحاتمي بيتي لبيد وهما

وبنو الديان اعداء لـ لا وعلى السنهم ذلت نعم
زينت احسابهم انسابهم وكذاك الحلم زين للكرم

ولفظ البيت الاول لفظ الارداف فلا يصلح ان يكون من شواهد الايجاز لانه
اراد ان يقول بنو الديان اجواد فعدل عن هذا اللفظ الى لفظ هو ردفه وهو
ذكر معاداتهم لـ لا ليبالغ في وصفهم بالجود والبيت الثاني جاء بلفظ
الاشارة اذ التزيين يكون بضروب من المحاسن فان قيل اذا كان المجاز
نوعا من الايجاز جاز ان يسمى كل صنف من ذلك النوع ايجازا ٥ قلت
التسميات علامات تعرف بها المسميات ومن سمى النوع باسم الجنس فهو
غير معرف لذلك النوع فانك لو قلت في حد الانسان هو حيوان من غير
ذكر الفصل لكنت غير معرف لحقيقته لكونك لم تأت الا بالقدر
المشترك دون القدر المميز ولما كان من الايجاز ما يدل على المعنى بلفظ
المعنى الموضوع له ومنه ما يدل على المعنى بلفظ هو ردف لفظه تارة وبلفظ
هو مثل لفظه اونة وبلفظ مستعار من لفظه حينا والحقيقة اصل والمجاز
فرع والايجاز اصل بقي الاسم الاصلي على الكلام الذي دل لفظه على معناه
بظاهره وسمي ما دل على معناه بالتاويل باسماء مجازية اذ كانت تسميتها
مجازية ومن امثلة الايجاز قول النابغة الذبياني في اقتصاصه قصة الزرقاء

للنعمن

فاحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت الى حمامٍ سراعٍ واردِ الثمد
يحفه جانبا نيق وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
قالت الا ليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا ونصفه فقد
فحسبوه فالفوه كما حسبت تسعا وتسعين لم تنقص ولم تزد
وكملت مائة فيها حمامتها واسرعت حسبة في ذلك العدد

فان النابغة سرد هذه القصة بالفاظ الحقيقة عرية عن الحشو الحسن والمعيب ولم تغادر منها شيئا ويروى البيت الاول سراع بسين مهملة وهو ابلغ في نظر الزرقاء ويدل على صحة هذه الرواية ان قوله وارد الثمد يغني عن قوله شراع بشين معجمة فلم يبق الا سراع بسين مهملة لما يدل عليه من المبالغة في حدة نظر الزرقاء بدليل قوله بعد هذا البيت واسرعت حسبة فان قيل فما الفرق اذا بين الايجاز والمساواة قلت المساواة لا تكون الا في المعنى المفرد يعبر عنه بلفظ مساوله لا يزيد عليه ولا ينقص عنه والايجاز يكون في ذكر القصص والاخبار التي تضمنت معاني شتى متعددة وخلاصة ذلك ان المساواة في معاني الجمل التي تركب منها الابيات والفصول والايجاز في الابيات والفصول ومن الايجاز نوع يختصر فيه بعض اللفظ ويأتي بلفظ الحقيقة كقوله سبحانه والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم فان تقديره تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كما تقول علفتها تبنا وماء باردا وكما قال الشاعر

ورأيت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا

اي ومعتقلا رمحا ومن ايجاز الكتاب العزيز قوله سبحانه وتعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون فانه عز وجل امر في اول الاية بكل معروف ونهى

وصفه

بعد ذلك عن كل منكر ووعظ في آخرها ابلغ موعظة وذكر الطف تذكرة بالفاظ اتفق فيها ضروب من المحاسن مع كونها الفاظ الحقيقة وهي صحة الاقسام لانها استوعبت جميع اقسام اجناس المعروف والمنكر والطباقان اللفظي والمعنوي وحسن النسق والتسهيم وحسن البيان والايجاز وائتلاف لفظ الكلام مع معناه والمساواة وصحة المقابلة وتمكين الفاصلة فاما استيعاب الاقسام فلانه سبحانه امر بالعدل وهو معاملة المكلف نفسه وغيره بالانصاف ثم امر بعد العدل بالاحسان وهو اسم عام يدخل تحته التفضل بعد العدل وقدم ذكر العدل لان العدل واجب وتلاه بالاحسان لان الاحسان مندوب اليه ليقع وضع الكلام على احسن ترتيب وخص ذا القربى بالذكر بعد دخوله في عموم من امر بمعاملته بالعدل والاحسان لبيان فضل ذي القربى وفضل الثواب عليه ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي بصيغة تعريف الجنس ليستغرق كل ما يجب ان ينهى عنه كما استغرق كل ما يجب ان يؤمر به والمطابقة اللفظية في قوله تعالى يامر وينهى والمعنوية في قوله سبحانه العدل والاحسان وايتاء ذي القربى وقوله الفحشاء والمنكر والبغي فان الثلثة الاخر اضداد الثلثة الاول لان الاول من الفعل الحسن والاخر من الفعل القبيح فطابق بين الحسن والقبح مطابقة معنوية وحسن النسق في ترتيب عطف الجمل بعضها على بعض كما ينبغي حيث قدم العدل وعطف عليه الاحسان الذي هو جنس عام وخص منه نوعا خاصا وهو ايتاء ذي القربى وعطفه عليه ثم اتى بالامر مقدما وعطف عليه النهي بالياء ثم رتب جمل المنهيات كما رتب جمل المامورات في العطف بحيث لم يتاخر في الكلام

ما يجب تقديمه ولم يتقدم فيه ما يجب تأخيره وأما التسهيم فهو أن صدر الآية يدل على عجزها كما يدل صدر البيت المسهم على عجزه وأما حسن البيان فلأن لفظ الآية لا يتوقف في فهم معناه أحد إذ سلم من التعقيد في نظمه فقد دل على معناه دلالة واضحة بأقرب الطرق واستوى في فهمه الذكي والبليد والقريب من هذه الصناعة والبعيد وأما الإيجاز فهو دلالة الألفاظ القليلة الحقيقية على المعاني الكثيرة من غير إشارة ولا إرداف ولا تمثيل ولا حذف وأما ائتلاف لفظ الكلام مع معناه فلأن كل لفظة لا يصلح مكانها غيرها وأما المساواة فلأن ألفاظ الكلام قوالب لمعانيه لا يزيد عليها ولا ينقص عنها وأما صحة المقابلات فلأن النهي قابل الأمر والمنهيات قابلت المأمورات مع مراعاة الترتيب وأما تمكن الفاصلة فلأن مقطع الآية مستقر في مكانه مطمئن في موضعه معناه متعلق بما قبله إلى أول الكلام لأنه لا تحسن الموعظة إلا بعد الأمر والنهي فإن الوعد والوعيد لا يقعان إلا بعد امتثال الأمر أو مخالفته والتذكرة بعد الموعظة ومن إيجاز الكتاب العزيز أيضا قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة لأنه قد أجمع النقاد على أن أبلغ كلام قيل في هذا المعنى قول القائل القتل أنفى للقتل وإذا نظرت بين هذا الكلام وبين لفظ القرآن وجدت هذا الكلام ليس فيه من ضروب البديع سوى الإيجاز مع كونه لم يخل من عيب ووجدت لفظ القرآن قد جمع الإيجاز والإيضاح والإشارة والكناية والطباق وحسن البيان والإبداع وسلم من العيب الذي جاء في ذلك الكلام فأما الإيجاز فلأن اللفظ المماثل من لفظ القرآن للأول هو قوله تعالى القصاص حياة هو عشرة أحرف والأول أربعة عشر حرفا وأما الإيضاح فأن

لفظة القصاص أوضحت المعنى المراد إذ هو قتل مقيد لا قتل مطلق وأما الإشارة ففي قوله سبحانه حياة فإن هذه اللفظة أشارت إلى أن القتل الذي أوجبه العدل يكف القتل الذي يأتي به العدوان وفي ذلك حياة الأحياء والكناية في قوله تعالى القصاص فإنه كنى بهذه اللفظة عن الموت المستحق الذي يوجبه العدل وأما الطباق ففي قوله القصاص حياة لأن القصاص الموت فكأنه سبحانه قال الموت حيوة وهذا طباق معنوي وأما حسن البيان فلكون المخاطب فهم المراد من هذا النظم من غير توقف وأما الإبداع فلأن في كل لفظة من البديع عدة من المحاسن وأما السلامة من العيوب بالنسبة فلأن الكلام خلا عن التكرار الذي وقع في الكلام الأول فإن قيل لا نعد التكرار الذي وقع في قول القائل القتل أنفى للقتل عيبا لاختلاف المعنى قلت لكن اللفظ إذا اختلف معناه واتحدت صيغته اتحادا لا يعد تجنيسا كان الكلام به معيبا فهذا عيب لفظ الكلام الأول الذي سلم منه لفظ القرآن وأما عيب المعنى فلأن القائل سمى الخاص باسم العام فإن مطلق القتل صالح للقصاص ولغيره كما أنه صالح للعدوان ولغيره وهذه العبارة موجبة للبس المضاد لحسن البيان الذي هو خارج مخرج العدوان ولفظ القرآن مخلص للعدل واعلم أن الإيجاز على ضربين ضرب بسيط وضرب مختصر يكون البسيط مختصرا بالنسبة لغيره فالبسيط كقصة يوسف عليه السلام من قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص إلى آخر القصة والمختصر مثل قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي فإنه اختصر القصة كلها

في هذه الآية لأنه ذكر أصول الأسباب المستلزمة جميع المسببات التي هي
جملة القصة فإن قوله هذا تأويل رؤياي من قبل اقتصر على ذكر رؤياه التي كانت
سبب حسد إخوته حتى فعلوا به ما فعلوا وذكر خروجه من السجن الذي كان
سببا في الملك الذي كان سببا في اجتماعه بأبيه وإخوته فكأنه قد اقتص
جميع القصة مختصرة لمن شارك في علمها فالأول يعلم تفاصيلها والثاني يعلم
جملها وهذا أحسن إيجاز وقع في كلام والله أعلم ٥

باب سلامة الاختراع من الاتباع

وهو أن يخترع الأول معنى لم يسبق إليه ولم يتبع فيه كقول عنترة في وصف
الذباب

هزجا يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم

وكقول ابن الرقاع في تشبيه قرن الخشف

تزجي أغن كأن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها

وكقول ذي الرمة في تشبيه الليل

وليل كجلباب العروس ادرعته بأربعة والشخص في العين واحد

وكقول النابغة الذبياني في وصف النسور

تراهن خلف القوم زورا عيونها جلوس الشيوخ في مسوك الأرانب

فهذه من اختراعات المتقدمين التي سبقوا إليها ولم يلحقوا فيها ٥ ومن
اختراعات المولدين التي سبق إليها ولم يتبع فيها قول السيد الحميري
في علي عليه السلام

لكن أبو حسن والله أيده قد كان عند اللقا للطعن معتادا

إذا رأى معشرا حربا أتاهم إتاحة الريح في أبياتها عادا

قال الحاتمي بعد إيراد هذين البيتين في هذا الباب لم يسبق السيد إلى
هذا المعنى ولم يتبع فيه فإنا ما سمعنا من شبه إنسانا بالريح غيره ٥ وهذا وهم
من الحاتمي لأن هذا المعنى لعبد الله بن العباس رضي الله عنه في الحديث الصحيح
الذي وصف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجود في كل زمان وخصوصا
في شهر رمضان حيث قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس
وكان أجود ما يكون في شهر رمضان كان كالريح المرسلة ٥ فغاية ما
فعله السيد أنه نقل المعنى من الوصف بالجود إلى الوصف بالشجاعة والاتفاق
المعنى في الموضعين تشبيه الإنسان بالريح غير أن السيد أخذ المعنى نثرا
فعقده بالوزن شعرا فله هذه الفضيلة لا فضيلة الاختراع وعلى هذا يكون
باب حسن الاتباع أحق بهذا الشعر من باب سلامة الاختراع ومن العجب
كيف ذهب ذلك على الحاتمي مع تقدمه في الأدب وحذقه بالنقد ٥
ومن اختراعات المحدثين قول ابن الرومي في تشبيه الرقاقة حين يبسطها
الخباز في القطعة المشهورة التي أولها

لا أنس ما أنس خبازا مررت به يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر

إلى قوله

إلا بمقدار ما تنداح دائرة في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

وإذا وصلنا إلى قول ابن حجاج في هذا الباب وصلت إلى الغاية التي لا تلحق
حيث يقول في رئيس كان قريبا من قلبه بعيدا من رفده

وإني والمولى الذي أنا عبده طريفان في أمر له طرفان
بعيدا أراني منه أقرب ما ترى كأني يوم العيد من رمضان

ومتى شئت أن تتلاشى هذه المعاني عندك قدمها وحديثها فتدبر ما جاء
من هذا الباب في الكتاب العزيز مثل قوله تعالى ان الذين تدعون من دون
الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه
منه ضعف الطالب والمطلوب فانظر الى غرابة هذا التمثيل الذي تضمن هذا
الافراط في المبالغة مع كونه جاريا على الحق خارجا مخرج الصدق اذ
اقتصر فيه على ذكر اضعف المخلوقات واقلها سلبا لما تسلبه وتعجيز كل من
دون الله سبحانه كائنا من كان عن خلق مثله ثم نزل بهم في التمثيل عن رتبة
الخلق اذ هي مما يعجز عن مثلها كل قادر غير الله الى استنقاذ النزر
التافه الذي تسلبه على ضعفها لان الظفر بنفسها ايسر من الظفر بما تسلبه
ولم يسمع مثل هذا التمثيل في بابه لاحد قبل نزول القرآن العزيز ولم
يتناوله متناول كما فعل في اكثر معاني القرآن الى الآن ولو تتبع ذلك في
الكتاب العزيز لوجد لهذا الموضع امثال شتى وكقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم حمي الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من
جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اشياء كثيرة مما اخبر عنه النبي صلى
الله عليه وسلم ولم يتبع فيه الى الآن ٥

باب حسن الاتباع

وهو ان ياتي المتكلم الى معنى اخترعه غيره فيحسن اتباعه فيه بحيث يستحقه
بوجه من وجوه الزيادات التي توجب للمتاخر استحقاق معنى المتقدم اما
باختصار لفظه او قصر وزنه او عذوبة قافيته وتمكنها او تتميم لنقصه او
تكميل لتمامه او تحليته بحلية من البديع يحسن بمثلها النظم ويوجب الاستحقاق

كقول جاهلي في وصف جمل له

وعود قليل الذنب عاودت ضربه اذا هاج شوقي من معاهدها ذكر
وقلت له ذلفاء ويحك سببت لك الضرب فاصبر ان عادتك الصبر

فاحسن ابن المعتز اتباعه في هذا المعنى حيث قال يصف خيله

وخيل طواها القود حتى كانها انابيب سمر من قنا الخط ذبل
صببنا عليها ظالمين سياطنا فطارت بها ايد سراع وارجل

فان ابن المعتز عمد الى معنى البيتين المتقدمين فعمله في صدر بيته الثاني وذلك ان
حاصل قول الجاهلي في بيتيه ان هذا الجمل لا ذنب له وانما ضربته مرة بعد اخرى
لما هيج لي ذكر معاهد هذه المعشوقة من الشوق فتوهمت انه بالضرب
يخرج عن حد الاستطاعة ويأتي من السير بما ليس في الطاقة واكد كون هذا
العود لا ذنب له بقوله في البيت الثاني فقلت له ذلفاء ويحك سببت لك الضرب
يعني انك لولا اشتياقي لذلفاء لم تكن محتاجا الى الضرب جملة واكد هذا
التاكيد بكونه شهد له ان عادته الصبر فان قيل ظاهر قوله قليل الذنب
يدل على ذنب قليل ولذلك قال عاودت ضربه اي انه اذنب فضربته ثم
لما اشتقت عاودت ضربه فالضرب الاول استحقاقا والثاني ظلما قلت
لو انفرد البيت الاول من الثاني ساغ هذا التاويل حملا على الظاهر لكنه مع انضمامه
الى البيت الثاني لا يسوغ فانه قال فيه وقلت له ذلفاء ويحك سببت لك الضرب
وآلة التعريف في الضرب للجنس لان ذلفاء هي التي سببت لك الضرب اولا واخرا
فانك لولاها ما هاج الي من شوق لمعاهدها الى ان اذهلني الشوق فتوهمت
ان الضرب يخرج بك عن الحد لم تكن محتاجا اليه ويدل على صحة ذلك
شهادته له بالصبر مطلقا في كل حال اذ الالف واللام فيه للجنس

ايضا واذا كان صابرا مطلقا دل صبره على شدة السير ومتابعته وجرى ذلك
فلا يقع ضربه الا ظلما واما قوله قليل الذنب فعلى عادة العرب في استعمال
هذه اللفظة وهي تريد مطلق النفي في قولهم فلان قليل الخير وهم يريدون نفي
الخير كثيره وقليله وكل هذا حاصل في قول ابن المعتز

صببنا عليها ظالمين سياطنا

فان قوله صببنا هو عين قول العزي عاودت ضربه وما دل عليه لفظه من كون الضرب كان ظلما هو عين قول ابن
المعتز ظالمين بلفظ الايجاز فحسن البيان في كلام ابن المعتز بخلاف كلام
الاول لان دلالة اللفظ في كلام ابن المعتز دلالة مطابقة ودلالة الاول
دلالة التزام ولم يعوز ابن المعتز من معنى الاول الا التعليل فانه ذكر
العلة التي لاجلها ضرب جمله ظلما كما اعوز الاول من معنى ابن المعتز ذكر
ثمرة الضرب وفايدته فان ابن المعتز لما قال صببنا عليها ظالمين سياطنا
قال عقيب ذلك فطارت وادمج في ضمن هذه المبالغة التي هي ثمرة الضرب
وصف الخيل بعتقها من موجبات الضرب وحقق ظلمه لهن باخباره
انها لما ضربت خرجت من الوحشية الى الطيرية فقد احسن ابن المعتز
الاتباع غاية الاحسان ٥ ومن حسن الاتباع اتباع ابي نواس جريرا
في قوله

اذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

حيث قال ونقل المعنى من الفخر الى المدح

وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

فزاد على جرير زيادات منها ان جريرا اخرج كلامه مخرج الظن حيث قال
حسبت وان كانت قد تقع بمعنى العلم لكنها في هذا الموضع لا يحسن ان تكون

الا ظنا لانها متى تؤولت بمعنى العلم خرجت المبالغة الى حد الغلو وعيب
الكلام بما هو اشد من التقصير ومنها ان جريرا لم يذكر من العالم سوى نوع
الانسان وابو نواس زاد على جرير بما يتضمنه ذكر العالم من الملايكة والجن
والافلاك وكل موجود سوى الله سبحانه واخرج كلامه مخرج
الاستدلال بثبوت دعواه في هذا الممدوح بتعظيم قدرة الله سبحانه على الاتيان
بهذا الخارق الذي لا يقدر عليه غيره واتبع ابا نواس في هذا المعنى الوزير المغربي
فقال

حتى اذا ما اراد الله يسعدني رايته فرايت الناس في رجل

فان الوزير احسن اتباعه ابا نواس بما وقع له من الزيادات منها الايجاز
فانه عمل معنى عجز بيت ابي نواس في بعض عجز بيته فنقله من ثمانية عشر حرفا الى
اربعة عشر حرفا والتعليل في كونه جعل العلة في اسعاده رؤية هذا
الممدوح وجعل ذلك مراد الله سبحانه ليحقق مدحه بتحقيق وقوعه وان
كان الوزير قد قصر عن ابي نواس في كونه اقتصر من العالم على ذكر الناس كما فعل
جرير فقد جبر ذلك الوهن بما زاد من المبالغة في المدح فانه جعل رؤية
ممدوحه ابتداء اسعادته ونقص من اللفظ على ان ذكر الناس في بيتي
جرير والوزير ملايم لذكر جرير بني تميم وذكر الوزير لفظة رجل ولو لم
يكن بيت ابي نواس احسن وزنا من بيت جرير لكادا يتساويان ومن احسن
ما سمعت في حسن الاتباع اتباع منصور الفقيه المصري رحمه الله تعالى عنترة
في قوله

اني امرؤ من خير عبس منصبا شطري واحمي سايري بالمنصل

فان الفقيه قال في شريف نسبه وكان شريفا من جهة ابيه دون امه

من فاتني بأبيه ولم يفتني بأمّه
ورام شتمي ظلمًا سكتُّ عن نصف شتمه

فانّ هذا الفقيه رحمه الله تعالى احسن غاية الاحسان من وجوه احدها الايجاز فانه عمل معنى عنترة الذي جاء به في بيت من تام الكامل المركّب من اثنين واربعين حرفًا في بيت من المجتث تركّب من ستة وعشرين حرفًا والمطابقة المعنوية حيث قال ابوه وامّه فانه طابق في ذلك بين الذكر والانثى هذا وبينه الذي اتى فيه على معنى عنترة وزاد ما ابتناه من الزيادة بيت توطئة لبيت وقع فيه من الاغراب والطرفة ما لم يقع في مثله وهو قوله سكتُّ عن نصف شتمه ومن التاديب للنبي مع الرسول صلى الله عليه وسلم والاحتراس ما لم يقع في مثله ومن هذا الباب قول ابن الرومي

تخذتكم درعًا حصينًا لتدفعوا نبال العدى عنّي فكنتم نصالها
وقد كنت ارجو منكم خير ناصر على حين خذلان اليمين شمالها
فان كنتم لم تحفظوا لمودّتي ذمامًا فكونوا لا عليها ولا لها
قفوا وقفة المعذور عنّي بمعزل وخلّوا نبالي للعدى ونبالها

فاتبعه ابن سنان الخفاجي الحلبي فقال

أعددتكم لدفاع كل ملمّة عنّي فكنتم عون كلّ ملمّة
وتخذتكم لي جنّة فكانّما نظر العدوّ مقاتلي من جنّتي
فلانفضنّ يدي يأسًا منكم نفض الانامل من تراب الميّت

والطف ما قيل في هذا المعنى قول القائل

واخوان تخذتهم دروعًا فكانوها ولكن للاعادي
وخلتهم سهامًا صائبات فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب وقد صدقوا ولكن من ودادي

وقد تقدّمت هذه الابيات وانّما اتيت بها هاهنا ليظهر لطفها بالنسبة الى ما تقدّمها في معناها ومن مُلَح حسن الاتباع ما وقع بين ابن الرومي وبين ابي حيّة النميري فيما قاله في زينب اخت الحجاج حيث قال

تضوّع مسكًا بطن نعمان ان مشت به زينب في نسوة عطرات
يخمّرن اطراف البنان من التقى ويبرزن شطر الليل معتجرات
فهنّ اللواتي ان برزن قتلنني وان غبن قطّعن الحشى حسرات

والبيت الاخير اردت فانّ ابن الرومي اتبعه فيه فقال واتى بمعنى البيت كاملا في نصف بيت

ويلاه ان نظرت وان هي اعرضت وقع السهام ونزعهنّ اليم

فاحسن ابن الرومي اتباع ابي حيّة في نفس المعنى واغرب بل ابتكر التمثيل عليه فان نفس المعنى هو مفهوم بيت ابي حيّة وهو قوله ان برزن قتلنني وان غبن قطّعن حشاي وفي ذلك قول ابن الرومي ويلاه ان نظرت وان هي اعرضت ثم كمّله بالتمثيل العجيب الغريب وهو قوله وقع السهام ونزعهنّ اليم فهو في المعنى متّبع وفي التمثيل للمعنى مخترع ومثل نفس معناه ومعنى ابي حيّة قول السعيد سنا الملك وان تجاوز الحدّ في التقدّم عليهما فيه قوله

اذا هجرتني شيّبتني بهجرها وان واصلتني شيّبتني بطيبها

ومن محاسن هذا الباب ايضا اتباع المعرّي ابا عبادة البحتري في قوله

اخجلتني بندى يديك فسوّدت ما بيننا تلك اليد البيضاء
صلة غدت في الناس وهي قطيعة عجبًا وبرّ راح وهو جفاء

فقال المعرّي

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم ... والعذب يهجر للإفراط في الخصر

لانه استوعب معنى البيتين في صدر بيته واخرج العجز مخرج المثل السائر الصحيح وعوض عما فاته من بديع الالفاظ مثل المطابقة والمقابلة بالتجنيس والتمثيل ففضل ابي العلاء ما لم يقع في بيتي البحتري من الايجاز والايضاح وحسن البيان لكن في بيتي البحتري ما لم يقع في بيت المعري من الاغراب والطرفة فان كون الصلة بعينها قطيعة والبر بنفسه جفاء من الغريب الطريف ولا جرم انه اتى بذكر التعجب من ذلك واذا قابلت ذلك بما في بيت المعري من كونه سد في التمثيل به مسد البيتين مع ايضاح معناه وما فيه من حسن البيان وكون ما فيه من التجنيس صلة بين المعنى والزيادة واسا القافية المستجادة ثبت الفضل لبيت المعري

ولقد احسن البحتري في اتباع الحزين الكناني في قوله

يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم الا حين يبتسم

فان البحتري قال

ان طرقوا استوحشت للخوف افئدة ... ويملأ الارض من انس اذا ابتسما

ومن حسن الاتباع اتباعي لابن الرومي في قوله

سد السداد فمي عما يريبكم ... لكن فم الحال عني غير مسدود

فاني اتبعته في هذا المعنى فقلت

هبني سكت اما لسان ضرورتي ... اهجى لكل مقصر من منطقي

فان بيت ابن الرومي وقع فيه من المحاسن تسعة اضرب وهي التجنيس في قوله سد السداد والتفسير في قوله عما يريبكم والاستدراك في قوله لكن وما بعدها والاستعارة في قوله فم الحال والتصدير فيما بين القافية واول البيت والتمثيل لان البيت خرج مخرج المثل والمساواة لان لفظ البيت

طبق معناه والائتلاف لان كل لفظة من مفردات الفاظه لا يصلح مكانها غيرها والارداف في قوله فم الحال العجز كله فانه اراد ان يقول سوء حالي ينطق بذمكم فعبر عن المعنى بلفظ هو ردفه حيث قال

لكن فم الحال مني غير مسدود

واتفق في بيتي سبعة عشر ضربا من البديع وهي المطابقة في السكوت والنطق واستعارة اللسان للضرورة والمبالغة في قولي اهجى والتكميل في قولي لكل مقصر والتفسير في قولي من منطقي والتمكين من اجل ان القافية مستقرة في مكانها والمساواة في كون لفظ البيت طبق معناه والائتلاف في ان كل لفظة لا يقوم غيرها مقامها والايجاز في تفاصيل البيت وجملته بالنسبة الى البيت الذي قبله فان قولي هبني سكت اوجز من قول ابن الرومي شد السداد فمي لان ملخص كلامي سكت وملخص كلامه شد فمي وقولي لسان ضرورتي اوجز من قوله فم الحال مني وقولي اهجى اوجز من قوله غير مسدود فهذا ايجاز تفاصيل البيت فاما ايجاز جملته فلان حروف بيتي اثنان واربعون حرفا وبيت ابن الرومي خمسة واربعون حرفا مع انهما قد استويا في عدة المتحركات اذ في كل بيت منهما سبعة وعشرون متحركا والانسجام بالنسبة لان بيتي جاء عريا من الكلفة بخلاف بيته والايضاح لان المعنى المراد في الفاظ بيتي اشد وضوحا من معناه فان بيتي لا يفتقر في دلالته على معناه لشيء مقدر بخلاف بيته ومفردات الفاظي اشد وضوحا لمعانيها من مفردات بيته لان قولي اهجى ادل على معنى الهجاء بظاهره من قوله عما يريبكم وكلا البيتين المراد به التهديد بصريح الهجاء نطقا دون هيئة وفي قولي هبني سكت اشارة الى اني لا اسكت ثم قلت على حكم التنزل الجدلي

وهبني سكت ايسكت لسان ضرورتي وفي قول ابن الرومي شد السداد في
عمايريكم استجال على نفسه بالسكوت عن هجوهم وهذا غير مراده الذي اراده
من التهديد واذا وضح معنى الكلام هذا الوضوح في لفظ قد انتخبت مفرداته
وحسن تركيبه وسهل فهمه كان موصوفاً بحسن البيان دون غيره ومنعوتا
بالتهذيب دون سواه واذا استوى البيان في المعنى وكان احدهما اخصر
وزنا وابلغ معنى وكانت محاسنه اكثر وعرى مما وقع في اخيه من العيوب
كان قايله موصوفاً بحسن الاتباع وبقي كذلك لاسيما وقد وقع فيه مع
هذا الابداع وهو تضمن كل لفظة بديعا او بديعين مثل تضمن هبني سكت
الترشيح للاستعارة التي في لسان ضرورتي وفيها وفيما بعدها الضرب
الجدلي الذي سماه اهل الصناعة المذهب الكلامي وفي الضرب تفسير وتمكين
وفي جملة البيت ما تقدم فحصل في البيت سبعة عشر ضربا من البديع قد تقدم
ذكرها مفصلة وسياقتها جملة المطابقة المذهب الكلامي
الترشيح الاستعارة المبالغة التكميل التفسير التمكين
المساواة الايتلاف الايجاز الايضاح حسن البيان الابداع
التهذيب الانسجام وحسن الاتباع ففضل بيتي بيت ابن الرومي بتسعة
اضرب من البديع وخلوه من العيب الذي بسببه امتنع به ان يوصف بالانسجام
وحسن الاتباع ومن حسن الاتباع اتباع ابن جبلة النابغة الذبياني في قوله

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع

فقال ابن جبلة

وما لامرء حاولته منك مهرب ولو رفعته في السماء المطالع
بلى هارب لا يهتدي لمكانه ظلام ولا ضوء من الصبح ساطع

فاني رأيت اكثر العلما رجحوا هذا على بيتا النابغة وفي الشعر عندي بحث يضيق
عنه هذا المكان وكل هذه المعاني متلاشية في جنب قوله سبحانه يا معشر
الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا ومن
حسن الاتباع ما جاء في الكتاب العزيز ولم يطلق على ما جاء من ذلك حسن
الاتباع الا بالنسبة الى تاخير الانزال بالنسبة لما تقدم من كلام العرب
على الانزال ما تقدم من قوله سبحانه في باب الايجاز ولكم في القصاص حيوة
فان قول القايل القتل انفى للقتل مما تقدم للعرب وسمع قبل نزول القران
وقد تقدم الترجيح بين الكلامين وكقول امرء القيس

وقدور راسيات وجفان كالجوابي

فان هذا الكلام قد ورد في الكتاب العزيز على اسلوب القران ونظمه وهو قوله
تعالى في ضمن الاخبار عما انعم به على آل داود في تسخير الجن لهم حيث قال تعالى
يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات
اعملوا آل داود شكرا وبيت امرء القيس مضمن في ضمن ابيات غير مستقل بنفسه
ولا قايم بذاته وهو بعد انضمامه لا يتم به معناه معيب من وجوه احدها ما ذكرت
من التضمين المعيب وغيره يعلم ذلك من انعم النظر في شعر امرء القيس و
الاية الكريمة على ان البيت مشكوك فيه هل هو لامرء القيس او موضوع فانه
قيل انه وضع بعض الزنادقة والكلام عليه وعلى الاية وقد دوى الاول والله
اعلم اي ذلك كان ٥

باب حسن البيان

اما بالاسماء والصفات المنفردة واما بهما موتلفة ودلالة الاول متناهية

ودلالة الثاني غير متناهية فان قايلا لو قال قد انتهى تاليف الشعر بحيث لا يمكن ان يوتى بقصيدة الا وقد تيسلت من قبل كان قوله محالا الا ان يقول اردت الوزن والتقفية لا غير واما جملة القصيدة ومجموع صورتها فلا لان دلالة التاليف غير متناهية كما ان الاعداد الممكنة ليست لها نهاية غير ان البيان فيه الاقبح والاحسن والوسايط بين هذين الطرفين فالاقبح كبيان باقل وقد سئل عن ثمن ظبي كان معه فاراد ان يقول احد عشر فادركه العي حتى فرق اصابع يديه وادلع لسانه فافلت الظبي وهذا اقبح بيان مع انه قد بالغ في الافهام لكونه اخرج تعريف العدد من السماع الى العيان ومن هاهنا يعلم انه ليس كل مجاز بلاغة ولا كل اطالة عيا فانه لا ايجاز في الافهام اوجز من بيان باقل لان المخاطب فهم عنه بمجرد نظر واحد وقع ذلك ضرب المثل في العي بهذا البيان والاحسن ان يقول احد عشر والوسايط ان يقول مثلا ستة وخمسة او عشرة وواحد او خمسة وخمسة وواحد والوسايط تعلو وتستفل بحسب قربها من البلاغة وبعدها بالنسب والاضافات وبيان الكتاب العزيز وكل كلام بليغ فصيح من الاحسن دون الاقبح ودون الوسايط لكن الاحسن ايضا تتفاوت طبقاته كالوسايط منه الاعلى والادنى والاوسط بالنسبة وحقيقة حسن البيان اخراج المعنى المراد في احسن الصور الموضحة له وايصاله لفهم المخاطب باقرب الطرق واسهلها وقد تكون العبارة عنه تارة من طريق الايجاز وطورا من طريق الاطناب بحسب ما تقتضيه الحال والاطناب بلاغة والاسهاب عي لان الاطناب كثرة العبارة بسبب كثرة المعاني والاسهاب كثرة العبارة عن المعنى الواحد او المعاني القليلة وهذا بعينه هو حد البلاغة وحقيقتها وبه جاء كل بيان القران كقوله تعالى وقد اراد ان يخبر من الاغترار بالنعم كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا

فيها فاكهين وكقوله سبحانه وقد اراد ان يبين عن الوعد ان المتقين في مقام كريم الاية وكقوله عز وجل وقد اراد ان يبين عن الوعيد ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين وكقوله في الاحتجاج القاطع للخصم وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم وكقوله تبارك وتعالى وقد اراد ان يبين عن تقريع الكفار افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين وكقوله سبحانه وقد اراد ان يبين عن التحسير ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون وكقوله تعالى وقد اراد ان يبين عن العدل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ٥ وامثال هذه المواضع كثيرة لمن تتبعها ومما جاء من ذلك في الشعر قول ابي العتاهية

يضطرب الخوف والرجاء اذا حرك موسى القضيب او فكر

وكقول الاخر

له لحظات عن حفافي سريره اذا كرها فيها عقاب ونايل

فان هذين الشاعرين ارادا امتداح هذين الممدوحين بالخلافة ووصفهما بالقدرة المطلقة وعظم المهابة بعد الله سبحانه فاذا نظر احدهما نظرة او حرك القضيب مرة او اطرق مفكرا لحظة اضطرب الخوف والرجاء في قلوب الناس فابانا عن هذه المعاني احسن ابانة بخلاف قولي

بكفيه نفع العالمين وضرهم فنعمى لذي حسنى وبؤسى لمجرم

فاني اردت الابانة عن معنى ابي العتاهية والذي بعده فابنت عنه بيانا غير حسن ولا قبيح ولم يكن في قوة الابانة عن المعنى باحسن بيان كما فعلا فان بيتي يصلح ان يكون من شواهد الوسايط في هذا الباب وان كان ابو العتاهية

والذي يعد الثاني معناهما بالحزين الكناني حيث يقول في عبد الله بن عبد الملك
ابن مروان وقد وفد عليه وهو عامل مصر لابيه

لما وقفت عليه في الجموع ضحى   وقد تعرضت الحجاب والخدم
حييته بسلام وهو مرتفق   وضجة الناس عند الباب تزدحم
في كفه خيزران ريحه عبق   من كف اروع في عرنينه شمم
يغضي حياء ويغضى من مهابته   فما يكلم الا حين يبتسم

والبيت الاخير اردت والفرق بين ما سميته في بيتي ابي العتاهية والذي بعده
حسن بيان وبين الاشارة ان الاشارة لا تكون بلفظ الحقيقة وحسن البيان
يكون بلفظ الحقيقة وبغيره فما كان منه بلفظ الحقيقة فهو من البيان
الاحسن وما كان بغير لفظ الحقيقة فهو من البيان الحسن ولا بد ان يكون لفظه
اقرب الى لفظ الحقيقة من لفظ الاشارة كما ان لفظ الاشارة اقرب الى لفظ
المعنى من لفظ الارداف ولفظ الارداف اقرب من لفظ التمثيل الا ترى ان
لحظات الناظر تدل على الغضب والرضى اسرع مما يدل قيد الاوابد على
سرعة عدو الفرس والانسان لحدة الفهم يسرع الى مدلول اللحظات اقرب
من سرعته الى مدلول قيد الاوابد والفرق ايضا بين حسن البيان والايضاح
ان الايضاح يكون بالعبارة الفاضلة والعبارة النازلة وحسن البيان
لا يكون الا بالعبارة الفاضلة ٥

باب التوليد

التوليد على ضربين من الالفاظ ومن المعاني فالذي من الالفاظ هو ان يزوج
المتكلم كلمة من لفظه الى كلمة من غيره فيتولد بينهما كلام يناقض غرض

صاحب الكلمة الاجنبية وذلك في الالفاظ المفردة دون الجمل المؤتلفة ومثاله ما
حكي ان مصعب بن الزبير وسم خيله بلفظة عدة فلما قتل وصارت الى العراق آلها
الحجاج فوسم بعد لفظة عدة لفظة الفرار فتولد بين اللفظتين غير ما اراده مصعب
ومن تولد الالفاظ توليد المعنى من تزويج الجمل المفيدة ومن لطيف التوليد
قول بعض العجم

كأن عذاره في الخد لام   ومبسمه الشهي الطعم صاد
وطرة شعره ليل بهيم   فلا عجب اذا سرق الرقاد

فان هذا الشاعر ولد من تشبيه العذار باللام وتشبيه الفم بالصاد لفظة لص
وولد من معناها ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر سرقة النوم فجعل في البيت
توليدا وادماجا وهذا من اغرب ما سمعت في ذلك ومثاله ما حكي ان ابا تمام
انشد ابا دلف   على مثلها من اربع وملاعب
فقال بعض من اراد نكتة لعنة الله والملئكة والناس اجمعين فولد من الكلام من
كلام يباين غرض ابي تمام من وجهين احدهما خروج الكلام عن النسيب الى
الهجاء بسبب ما انضم اليه من الدعاء والثاني خروج الكلام من ان يكون بيتا
من شعر الى ان صار قطعة من نثر ومن هذا الضرب قول الشاعر

الوم زيادا في ركاكة عقله   وفي قوله اي الرجال المهذب
وهل يحسن التهذيب منك خلايقا   ارق من الماء الزلال واطيب
تكلم والنعمان شمس سمائه   وكل مليك عند نعمان كوكب
ولو ابصرت عيناه شخصك مرة   لابصر منه شمسه وهي غيهب

فان هذا الشاعر زوج مدحة ممدوحه بتهذيب الاخلاق الى قول النابغة اي
الرجال المهذب فتولد بين الكلامين ما يباين غرض النابغة حيث اخرج

الشاعر كلامه مخرج المنكر على النابغة ذلك الاستفهام واوضح مناقضته للنابغة
ببيته الثاني وهو قوله وهل يحسن التهذيب البيت وزوج قوله في عجز
البيت الثالث وكل مليك عند نعمان كوكب الى قول النابغة
فانك شمس والملوك كواكب بدليل قول الشاعر عن النابغة
ملك والنعمن شمس سمائه البيت فتولد من الكلامين قوله
ولو ابصرت عيناه شخصك مرة لابصر منه شمسه وهي غيهب
فهذا الضرب الاول من التوليد باقسامه وهو ما تولد من اللفظ واما الضرب
الثاني منه وهو ما تولد من المعاني كقول القطامي
قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
فقال من بعده
عليك بالقصد فيما انت فاعله ان التخلق ياتي دونه الخلق
فمعنى صدر هذا البيت معنى بيت القطامي بجملته ومعنى عجز البيت مولد بينهما وهو
قوله ان التخلق ياتي دونه الخلق والقطامي اخذ معناه من عدي بن
زيد العبادي حيث قال
قد يدرك المبطي من حظه والخير قد يسبق جهد الحريص
وعدي نظر الى قول حمانة الجعفي
ومستعجل والمكث ادنى لرشده ولم يدر في استعجاله ما يبادر
ومن التوليد توليد بديع من بديع كقول ابي تمام
لها منظر قيد النواظر لم يزل يروح ويغدو في خفارته الحب
فانه ولد قوله قيد النواظر من قول امرء القيس قيد الاوابد لان هذه اللفظة
التي هي قيد انتقلت باضافتها من الطرد الى التشبيب فكان التشبيب تولد من

الطرد وتناول اللفظ المفرد لا يعد سرقة كتناول هذه اللفظة ومن التوليد
نوع اخر وهو توليد المعاني والذي مضى توليد الالفاظ وهو ان يزوج المتكلم
معنى من معاني البديع بمعنى فيه فيتولد بينهما فن مدمج في فن كقولي
شفيعي عند الغيد مسود وفري به ان غدا غيري وشافعه الوفر
فاني لما زوجت التجنيس بالمبالغة تولد بينهما تفضيل الشباب على المال فالتجنيس
قولي وفري والوفر والمبالغة في تسميتي الشباب شفيعا والوفر شافعا
و فعيل من ابنية المبالغة بخلاف فاعل وتفضيل الشباب وصف جاء مدمجا
في الغزل لان البيت مبناه الذي قصد التغزل وهذا توليد كما تراه والله اعلم

باب التنكيت

وهو ان يقصد المتكلم الى شيء بالذكر دون اشياء كلها يسد مسده لولا
نكتة في ذلك المقصود ترجح اختصاصه بالذكر دون ما يسد مسده ولو
لا تلك النكتة التي انفرد بها لكان القصد اليه دون غيره خطأ ظاهرا عند اهل
النقد ومما جاء من ذلك في الكتاب العزيز قوله سبحانه وانه هو رب الشعرى
فانه سبحانه وتعالى خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم وهو رب كل
شيء لان العرب كان قد ظهر فيهم رجل يعرف بابن ابي كبشة عبد الشعرى ودعا
خلقا الى عبادتها فانزل الله سبحانه وانه هو رب الشعرى التي ادعيت فيها
الربوبية دون ساير النجوم وكقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم فانه سبحانه انما خص تفقهون دون تعلمون لما في الفقه من
الزيادة على العلم والمراد الذي يقتضيه معنى هذا الكلام التفقه في معرفة كنه
التسبيح من الحيوان البهيم والنبات والجماد الذي تسبيحه بمجرد وجوده

الدالّ على قدرة موجده ومخترعه ومن امثلة هذا الباب الشعرية قول الخنساء

يذكّرني طلوع الشمس صخرًا واذكره لكل غروب شمس

تخصيصها هذين الوقتين وان كانت تذكره في كل وقت لما في هذين الوقتين من النكتة المتضمنة تابين الميت والمبالغة في وصفه بالشجاعة والكرم لان طلوع الشمس وقت الغارات على العدى ووقت غروبها وقت وقود النيران للقرى ٥

ومن امثلة الباب ايضًا قول المتنبي

لو مرّ يركض في سطور كتابه احصى بحافر مهره ميماتها

فانه انما خص الميمات دون غيرها من الحروف لكونها تشبه الحوافر من جهة استدارتها فان قيل ان كان اراد تشبيه الحوافر فالعدول الى العينات اولى لانها بالحوافر اشبه ولا سيما عنده حيث شبه الحافر بالعين في قوله لسيف الدولة

اول حرف من اسمه كتبت سنابك الخيل في الجلاميد

قلت يترجح ذكر الميمات دون العينات لوجهين احدهما ان الميمات في الكلام اكثر من العينات لانها تقع اصلا وزائدة والعينات لا تقع الا اصلية والثاني انها اصغر شكلا واختصاص ما هو اصغر واكثر في باب الاحصاء امدح للموصوف بالاحصاء من ذكر ما هو اقل واكثر وانما مدحه بالاحصاء في حالة الركض لان الاحصاء يدل على ثبات الجاش وحضور الحس وعدم الدهش والطيش في وقت الركض ومن دقيق ما وقع في البيت من ملايمة الالفاظ بعضها لبعض الدالة على الائتلاف قوله مهره ولم يقل طرفه لكون الطرف يقع على المهر وعلى القارح فتخلص من الاشتراك الموجب عدم الملايمة لان صغر حافر المهر ملايم لصغر شكل الميم فحصل في البيت ادماج الائتلاف في المبالغة وتعليق المدح بالثبات بالوصف وهذا من الطف ما وقع في هذا الباب والله اعلم

باب الاتفاق

وهو ان يتفق للشاعر واقعة تعلمه العمل في نفسها فان التسبق الى معاني الوقايع التي يشترك الناس في مشاهدتها او سماعها فضل لا يجحد كما اتفق لبعض شعراء مصر ويقال انه الرضي بن ابي حصينة وقد اغزى الملك الناصر صلاح الدين حاجبه حسام الدين لولوا الافرنج الذين قصدوا الحجاز من بحر القلزم فظفر الحاجب بهم فقال ابن ابي حصينة في تهنيته مخاطبا للفرنج

عدوكم لولو والبحر مسكنه والدر في البحر لا يخشى من الغير

ثم قال بعد ابيات مخاطبا للملك الناصر رحمه الله

فامر حسامك ان يخطى بنحرهم فالدر مذ كان منسوب الى النحر

وكما قال ابن الساعاتي وقد قصد الملك الناصر بيت يعقوب من حصون الشام مخاطبا الافرنج

دعو بيت يعقوب فقد جاء يوسف

وكما اتفق لي وقد لقي الملك الاشرف موسى بن ابي بكر بن ايوب ابن عمه الملك الظافر الخضر بن يوسف بن ايوب بملتقى الخابور والفرات فاتفق ان قلت

غدا مجمع البحرين شاطي فراتنا الم تر موسى فيه قد لقي الخضرا

وكما قلت عند اجتماع الملك الاشرف هذا باخيه الملك الكامل بمصر قصيدة اهنئ فيها مصر بذلك مخبرًا عنها

تقول وموسى قد اتى لمحمد اهل ليلة الاسراء عاد بها الدهر

وكقولي من قطعة هنأت بها فخر الدين عثمن بن قزل رحمه الله بمولودين جاءاه في ليلة واحدة

ايهن عليك بدا ان زينا الخافقين
الان صرت يقينا عثمن ذا النورين

ومن الاتفاق أن يتفق للشاعر اسماً لممدوحه ولابايه يمكنه أن يستخرج منها مدحاً
لذلك الممدوح لو لم يتفق تلك الاسماء على ما هي عليه لما اتفق استخراج ذلك
المدح كقول ابي نواس

عباس عباس اذا احتدم الوغى والفضل فضل والربيع ربيع

وقد وقع في هذا البيت مع لطيف الاتفاق مليح الازدواج في قوله عباس
عباس والفضل فضل والربيع ربيع ولابي نواس من القسم الاول من الاتفاق
ما لم يتفق مثله في مرثية رثى بها خلفا الاحمر وهو قوله

وكان ممن مضى لنا خلفا وليس اذ مات منه من خلف

فانه اتفق له من اسم المرثي تورية حسنت موقع هذا البيت الى ان اتى في الطبقة
العليا والغاية القصوى ٥ والله اعلم صح

باب النوادر

وهو الذي سماه قدامة قديما الاغراب والطرفة ولم يفرد له بابا في المحاسن
فاذكره في ابوابه وسماه من بعده التطريف وسماه اخرون النوادر
وقوم ابقوا عليه تسمية قدامة وافردوه بابا فتبعتهم في ذلك واتيت به وهو
آخر ابواب من تقدمني من جميع الناس في غالب ظني وهو ان ياتي الشاعر بمعنى
غريب لقلته في كلام الناس وليس من شرطه على راي قدامة ان يكون لم يسمع
مثله وانما شرطه ان يكون قليلا نادرا وقد راى غير قدامة فيه غير ذلك
وقال لا يكون في المعنى اغراب الا اذا لم يسمع مثله والاشتقاق يعضد التفسير
الثاني والشواهد تعضد قدامة لان شواهد الباب وقع فيها ما يجوز ان تفسير
يكون قايله لم يسبق اليه ما يجوز ان يكون وقد سبق صاحبه اليه على قلته واستدل

قدامة على مراده بقول الناس ورد طريف غريبا اذا جا في غير وقته اما كونه لم
يرَ قط فهذا محال وانما المراد به لم يوجد مثله في ذلك الزمن ومن امثلته
للاوايل مدح زهير للفقراء والاغنياء معا فانه غريب اذ العادة جارية
بمدح الاغنياء غالبا الا انه يقال ما سمع قط من مدح فقيرا فلا حيث
قال

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

ومن الغريب الطريف قول ابي تمام

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلا شرودا في الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس

ومن الغريب الطريف ايضا قول ابن دريد

ولم ادر من القى عليه رداءه على انه قد سل عن ماجد محض

فانه ما سمع من مدح من لا يعرفه قبله وتبعه ابو نواس في ذلك فقال في
القطعة التي اولها ودار ندامى عطلوها وادلجوا

بعد ما وصف حالهم

حبست بها صحبي فجددت عهدهم واني على امثال تلك لحابس
ولم ادر من هم غير ما شهدت به بشرقي ساباط الديار البسابس

ومن الاغراب اللطيف قول القايل

عرض المشيب بعارضيه فاعرضوا وتقوضت خيم الشباب فقوضوا
فكانه في الليل البهيم تبسطوا حذرا وفي الصبح المنير تقبضوا
ولقد سمعت وما سمعت بمثله بين غراب البين فيه ابيض

ومن لطيف الاغراب وطريفه قول بعضهم

ظللت تبشرني عيني اذا اختلجت بان اراك وقد كنا على حذر
فقلت للعين اما كنت صادقة اي بشرى لي من اسعد البشر
فما اجازي عندي بست اعرفه بلى اجازي ان احوك بالنظر
واستر المقلة الاخرى فاحجبها عن ان تراك كما لم تات بالخبر

ومن الاغراب قسم آخر وهو ان يعمد الشاعر الى معنى متداول معروف ليس بغريب في بابه فيغرب فيه بزيادة لم تقع لغيره ليصير بها ذلك المعنى المعروف غريبا طريفا وينفرد به دون كل من نطق بذلك المعنى وبيان ذلك ان تشبيه الحسان بالشمس والبدر متداول معروف فلما اراد ابو تمام ارتكاب هذا المعنى وفطن انه قد ذهبت طلاوته لكثرة ابتذاله تحيل له في زيادة طريفة لم تقع لغيره تصير بها المعنى غريبا بعد ان كان معروفا فقال

فردت علينا الشمس والليل راغم بشمس لهم من جانب الخدر تطلع
فوالله ما ادري أاحلام نائم المت بنا ام كان في القوم يوشع

فان حاصل كلامه تشبيه المراة الموصوفة بالشمس لكن التشكيل الذي ادخله في كلامه وذكر يوشع بعد اغرابه في التوطئة باخباره بان هذه المراة ردت بها الشمس رغم الليل نقل المعنى من المعرفة الى الغرابة فلا جرم انه استحقه بذلك دون كل من تناوله ودون المبتدئ به ومن هذا القسم قول المتنبي

يطمع الطير فيهم طول اكلهم حتى تكاد على احيائهم تقع

فانه عمد الى المعنى المعروف في هذا الفن من كون الطير تقع على القتلى وتتبع الجيوش ثقة بالشبع فتجاوزه بزيادة المبالغة المستحسنة الى ما قال والذي حسن البيت جدا اتيانه فيه بلفظة كاد فانها قلبت المستحيل ممكنا فبلغت المبالغة وحصل له ما اراد من الاغراب والطرفة ومن الاغراب ايضا

قول ابن شرف القيرواني

غيري جنى وانا المعاقب فيكم فكانني سبابة المتندم

لوم ببعضه عند ابن رشيق حين انشده اياه وقال هل سمعت بهذا المعنى فقال سمعته واخذته انت وافسدته فقال ممن فقال من النابغة الذبياني حيث قال

وكلفتني ذنب امرئ وتركته كذي العر يكوى غيره وهو راتع

فاما افساده فلانك قلت في صدر بيتك انك عوقبت بجناية غيرك ولم يعاقب صاحب الجناية ثم قلت في عجز بيتك ان صاحب الجناية قد شركك في العقوبة فتناقض معناك وذلك انك شبهت نفسك بسبابة المتندم وسبابة المتندم اول شيء يألم في المتندم ثم يشركها المتندم في الالم فانه متى يألم عضو من الحيوان تألم كله لان المدرك من كل مدرك حقيقته وحقيقته على المذهب الصحيح هي جملته المشاهدة منه والمكوي من الابل يألم وما به عر البتة وصاحب العر لا يألم جملة فمن هاهنا اخذت المعنى وافسدته غير ان ابن شرف هذا له في هذا الباب ما لا يلحق وهو قوله

قلم قلم اظفار العدى وهو كالاصبع مقصوص الظفر
اشبه الحية حتى انه كلما عمر في الايدي قصر

والبيت الثاني اردت واما الاول فهو من باب الاغراب في البرد لانه لا نكاية للعدى في تقليم اظفارهم بل ذلك مما يحسن صورهم ويزداد به نشاطهم ويماط به الاذى عنهم عند تناول الطعام والشراب وتقبل بذلك النفوس عليهم ولا يقال انه اراد بالاظفار السلاح فان ذلك من

العيب الذى لا يعلم اذ ليس فى الكلام ما يشعر بهذه الاستعارة واما تشبيه القلم
بالاصبع فهو تشبيه يسلبه جميع المنافع والمضار فان الاصبع الواحدة على
انفرادها قلما تعمل عملاً وان عملت عملاً كان غير متقن وكانت غير متمكنة
منه فلا معنى لها على انفرادها وانت ترى من ولد اجذا ليس فى كفه الا
اصبع واحدة غير منتفع بيده وتشاهد ما بها من القبح ولا تكون الاصبع
جمالاً الا مع انضمامها الى اخواتها واستعارة قص الظفر لهذا ابرد
الاستعارات الا انه لهذه حسنات البيت الثانى سيئات البيت الاول
لان الحسنات يذهبن السيئات وقد اتى ايضا فى هذا الباب بما هو احسن
من الاول وهو قوله

اغنيتنى عن جميع الناس كلهم ولم اجد مغنيا من سائر البشر
كالحمد تجزى المصلى حين يقراها وليس يغنيه عنها سائر السور

هذا على مذهب الجمهور فانه مذهب مالك والشافعى واحمد الا ابا حنيفة
وصاحب الشعر مالكى اذ هو مذهب اهل المغرب ولابن رشيق فى هذا الباب
ما لا يشق غباره وهو قوله

كانما الصبح الذى تفترى ضم الى الشرق النجوم الزهرا
فاختلطت فيه فصارت فجرا

وقوله ايضا

وما ثقلت كبرا او طائى ولكن حررت ورائى السنينا

وقد رايت الحجازى صاحب الحديقة وصاحب المسهب فى اخبار اهل المغرب
سمى هذا الباب فى الحديقة مناقلة وفسره بان قال هو من مناقلة الخيل وهى وضع
الفرس فى الوعر يده موضع رجله مخالفا لمشيته المعتادة وانشد فيه

قول ابن الرومى

يستغفر الناس بايديهم وهن يستغفرن بالارجل
فيا له من عمل صالح يرفعه الله الى اسفل

فاغرب بمخالفة العادة حيث ذكر ان هذه النسوة يفعلن بالارجل ما يفعله
الناس بالايدى والارتفاع الى الاسفل من اغرب الغريب ومن نوادر الاغراب
قول الارجانى

شعرى اذا ما قيل تمويه الورى بالطبع لا بتكلف الالقاء
كالصوت فى قلل الجبال اذا بدا للسمع هاج تجاوب الاصداء

ومن ملح هذا الباب قول بعضهم

تواضع كالنجم استبان لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ومن دونه يسمو الى النجم صاعدا سمو دخان النار وهو وضيع

> الرواية
> تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
> ولا تك كالدخان يسمو بنفسه الى طبقات الجو وهو وضيع

وما رايت فى عصرنا اغرب معانى من القاضى السعيد ابن سناء الملك رحمه الله
ومن غرايب معانيه قوله فى عمياء تطرفا

شمسى بغير الليل لم تحتجب وفى سوى العينين لم تكسف
مغمدة المرهف لكنها تقتل بالغمد بلا مرهف
ابصرت منها الخلد فى جوذر ومقلتى يعقوب فى يوسف

وقوله

ومع المشيب فبعد عندى صبوة يبلى القميص وفيه عرف المندل
انا جد انصار النبى لانتى بالشهل العينين عبد الاشهل

وكقوله

فلا تنكروا منها الخضاب فانها هى الغصن فى اطرافه الورق الخضر

وقوله

عليك زكاة فاجعلها وصالنا لانك في العشرين وهي نصاب

وكقولي في صبي مستحسن ضرب وحبس

بنفسي الذي لم يضربوه لريبة ولكن ليبدو الورد في ساير الغصن

وما قوله شاركت في الحسن يوسفا فشاركه ايضا في الدخول الى السجن

وعن ايسر معانيه لو استقصيت لخرجنا بها عن الغرض المطلوب من الكتاب ٥

ومما وقع لي من باب الاغراب والطرفة قولي

ارى لا يفك نجمي هابطا تراه براه ربنا حسب للرجيم

جنتني الليالي فاعتديت كانني افتش دهري في التراب على نجمي

فصرت اذا قوسا وعقلي راميا وراي الذي اصمى الرمايا به سهمي

وقولي

تحملنا الايام وهي سفينة فتهدي اليناابرها من عقوقها

كما تحدث الطيش الطلى من سكونها فتغرب شمس العقل عند شروقها

وتهدي الدراري وهي من حيث ترى وقد حجبت عن مستقيم طريقها

هذا اخر ابواب المتقدمين

وقد بقيت ابواب الاجدادي الثلثة التي اولها

باب الالتزام

وهو ان يلتزم الناثر في نثره او الشاعر في شعره قبل روي البيت من الشعر حرفا فصاعدا على قدر قوته وبحسب طاقته مشروطا بعدم الكلفة ٥

وقد جاء من ذلك في الكتاب العزيز مواضع رايعة الحسن كقوله تعالى والطور وكتاب مسطور وقوله سبحانه فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس وقوله سبحانه والليل وما وسق والقمر اذا اتسق وقوله عز وجل فاما اليتيم فلا تقهر واما السايل فلا تنهر وقوله تعالى امرنا مترفيها ففسقوا فيها وقوله عز من قايل ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وقوله جلت قدرته فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون وقوله جل جلاله حتى اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يوميذ المساق في اشياء كثيرة من فواصل القران العزيز تعجز الفصحاء اشد تعجيز ٥ وقد جاء في السنة من ذلك قول الرسول عليه الصلوة والسلم في حديث ام زرع حكاية عن الاولى من النسوة قولها لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقى وقول ام زرع في صفة حالها معه اي زرع فعنده انام فاتصبح واقول فلا اقبح ٥ وقولها في صفة الخادم لا تغش طعامنا تغشيشا ولا تملا بيتنا تعشيشا ولا تبث حديثنا تبثيثا ولا تنقل ميرتنا تنقيثا هذه رواية وليست من امثلة هذا الباب والرواية الاخرى التي من امثلة الباب تتمة القراين السينية وهي قولها لا تخرج حديثنا تفشيشا وقولها اعني ام زرع فتزوجت بعده رجلا سريا ركب فرسا شريا واراح على نعما ثريا وكقول السادسة منهن ان اكل اقتف وان شرب اشتف وان رقد التف وكقول الثامنة المس مس ارنب والريح ريح زرنب ٥ ومن هذا الباب في الشعر قول امرء القيس

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فالهيتها عن ذي تمايم محول

اذا ما بكى من خلفها انحرفت له بشق وتحتي شقها لم يحول
وقد اكثر المتأخرون من هذا الباب قاصدين عمله وما وقع منه للمتقدم فغير مقصود حتى عمل المعري من ذلك ديوانا كاملا مفردا اعني ديوان شعره المعروف بسقط الزند ومنه قوله

لك الحمد امواه البلاد باسرها عذاب وخصت بالملوحة زمزم
هو الحظ عير الوحش يستاف انفه خزامى وانف العود بالعود يخزم

وكقول بعضهم

سلم على قطن ان كنت نازله سلام من كان يهوى مرة قطنا
احبه والذي ارسى قواعده حبا اذا ظهرت اياته بطنا
ما من غريب وان ابدى تجلده الا تذكر عند الغربة الوطنا

ومن مليح ما جاء في الالتزام قول ابي نواس

واما وزنداي على انه زند اذا استوريت سهل قدحكا
اي ليابى الصنع عالي همتي من اهله ويعاف الا مدحكا

باب تشابه الاطراف

هذا الباب سماه الاجدابي التسبيغ وفسره بان قال هو ان تعيد لفظ القافية في اول البيت الذي يليها والتسبيغ زيادة في الطول ومنه قولهم درع سابغة اذا كانت طويلة الاذيال وهذه اللفظة في اصطلاح العروضيين عبارة عن زيادة حرف ساكن على السبب الخفيف في اخر الجزء وعلى هذا لا تكون هذه التسمية لايقة بهذا المسمى فرايت ان اسمي هذا الباب تشابه الاطراف

لان الابيات فيه تتشابه اطرافها وانشد فيه قول ليلى الاخيلية تمدح الحجاج

اذا نزل الحجاج ارضا مريضة تتبع اقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها غلام اذا هز القناة سقاها (سقاها)
سقاها فرواها بشرب سجاله دماء رجال يحلبون صراها

واحسن من هذه الابيات قول ابي نواس

خزيمة خير بني خازم وخازم خير بني دارم
ودارم خير تميم وما مثل تميم في بني ادم
الا البهاليل بنو هاشم وهم سيوف النبي هاشم

باب التوأم

وهذا الباب ايضا سماه الاجدابي التشريع وفسره بان قال هو ان يبني الشاعر البيت على قافيتين اذا اقتصر على احداهما كان البيت له وزن وان كمله على القافية الاخرى كان له وزن اخر وهذه التسمية وان كانت مطابقة لهذا المسمى فهي غير معلومة عند الكافة فسميته التوأم وهو ان يكون للبيت كما ذكر قافيتان وصحة القول في تفسيره ان يقال انه متى اقتصر به على القافية الاولى كان البيت من ضرب من ذلك البحر الذي عمل الشاعر بيته منه فاذا استوفى اجزاءه وبناه على القافية الثانية كان البيت من ضرب غير ذلك الضرب من ذلك البحر وغالبه ان يختلف الرويان وان جاز توافقهما وذلك كقول الشاعر

واذا الرياح مع العشي تناوحت هوج الرئال سكبهن شمالا
الفيتنا نقري العبيط لضيفنا قبل القتال ونقتل الابطالا

فان هذا الشاعر لو اقتصر على الرجال والقتال كان الشعر من الضرب المجزوء المرفل
من الكامل واذا اتممت البيتين صار من الضرب التام المقطوع منه فقد دار لكل
بيت من هذين البيتين قافيتين على تساوي القافيتين في الردف وتماثل الرويين
وان اختلف المجرى فيهما وعلى هذا بنى الحريري رحمه الله قوله في المقامات

يا خاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى وقرارة الاكدار

لان اقتصاره على قوله شرك الردى يجعل الشعر من الضرب المجزوء من الكامل
وتمام البيت يأتي الشعر من الضرب المجزوء منه وان اختلف القافيتان
والرويان والمجرى فيهما

هذا اخر ما جمعته من كتب الناس

بعد التنقيح والتحرير وتغيير ما حسن فيه التغيير
وقد كملت الابواب بهذه الثلثة التي عوضت بها
ما تداخل في باب التمكين والتهذيب تسعين بابا
غير متداخلة ولا متواردة والله اعلم

ومن هاهنا اشرع في اثبات الابواب

التي استنبطتها والانواع التي استخرجتها
مفصلة مكملة
فاولها

باب التخيير

وهو ان يأتي الشاعر ببيت يسوغ ان يقفى بقواف شتى فيتخير منها قافية مرجحة على سائرها بالدليل يدل تخيرها على حسن اختياره كقول الشاعر

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن فكيف حال غريب ماله قوت

فانه يسوغ ان يقول فكيف حال غريب ماله حال ماله مال ماله نشب ماله سبب ماله صفد ماله سند ماله خطر ماله احد ماله وجد ماله شبع واذا نظرنا الى قوله ماله قوت وجدناها ابلغ من الجميع وادل على القافية وامس بذكر الحاجة وابين للضرورة واشجى للقلوب وادعى للاستعطاف فلذلك رجحت على كل ما ذكرناه ومن هذا النوع في الكتاب العزيز قوله تعالى في اول الجاثية ان في السموات والارض لايات للمومنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح ايات لقوم يعقلون يقتضي ان تكون فاصلة الاولى المومنين لانه سبحانه ذكر العالم بجملته حيث قال السموات والارض ومعرفة ما في العالم من الايات الدالة على ان المخترع له قادر عالم حكيم فرع على معرفة الصانع فلا بد من التصديق اولا بالصانع حتى يصح ان يكون ما في المصنوع من الايات دليلا على انه موصوف بتلك الصفات والتصديق هو الايمان وكذلك قوله في الاية الثانية لقوم يوقنون فان نفس الانسان وتدبر خلق الحيوان اقرب اليه من الاول وتفكره في ذلك مما يزيده يقينا في معتقده الاول وكذلك معرفة جزئيات العالم من اختلاف الليل والنهار وانزال الرزق من السماء واحياء الارض بعد موتها وتصريف الرياح يقتضي رجاحة العقل ورصانته لنعلم ان من صنع هذه الجزئيات

هو الذي صنع العالم الكلي التي هي أجزاء منه وعوارض عنه ولا يجوز أن يكون بعضها
صنع بعضنا بعد قيام البرهان على أن للعالم الكلي صانعا مختارا أفلذلك
اقتضت البلاغة أن تكون فاصلة الآية الثالثة لقوم يعقلون وإن احتج للعقل
في الجميع الآن ذكره هاهنا أمس بالمعنى من الأول إذ بعض يعتقد صانع
العالم ربما قال إن بعض هذه الآثار يصنع بعضا فلا بد إذا من التدبر
بدقيق الفكر وراجح العقل والله أعلم ومن التخيير ضرب غير هذا وهو أن
يؤتى بقطعة من الكلام أو بيت من الشعر قد عطف جمله على بعض بأداة التخيير
كقوله تعالى فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم
أو كسوتهم أو تحرير رقبة وكقول الشاعر

حلو التفاخر أو حلو البقاع إذا ما أسنت الناس أو لبوا الصريخ ضحا

ولا يكون هذا الضرب من المحاسن حتى تكون الجمل المعطوف بعضها على بعض متضمنة
صحة التقسيم كما جاء في الآية الكريمة إذ حصر سبحانه وتعالى فيها أنواع
الكفارة التي لا يجزئ الموسر غيرها وكما جاء في البيت من حصر أعظم الأسباب
التي يفاخر بها وهي نهاية الكرم وغاية الشجاعة إذ لا يحل بالمكان
المرتفع من الأرض في المجاعة ليدل على بيته إلا الجواد الموسر كما قال
شاعر الحماسة

له نار تشب على يفاع إذا النيران ألبست القناعا
ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا

كما أنه لا يبادر إلى تلبية الصريخ عند الضحى وهو وقت الغارات إلا أشجع القوم
ومن التخيير قوله سبحانه وتعالى قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما
يكبر في صدوركم فانظر إلى حسن التخيير وصحة الترتيب في الانتقال من
الأدنى إلى الأعلى حتى بلغ النهاية في أوجز إشارة بقوله سبحانه بعد الانتقال
من الحجارة إلى الحديد الذي هو أصلب منها أو خلقا مما يكبر في صدوركم
غير حاصر لهم في صنف من الأصناف والفرق بين التخيير بأو وحسن
النسق من وجهين أحدهما أن حسن النسق يكون بجميع حروف العطف
وغالب ما يقع بالواو وربما وقع منه شيء بالفاء للتعاقب أو بثم للمهلة
والتراخي ووقوعه بالواو أكثر والتخيير لا يكون إلا بأو التي هي للتخيير
خاصة والثاني أن التخيير يشترط فيه صحة التقسيم ولا كذلك حسن النسق
والفرق بين تخيير مقطع الكلام دون كل مقطع بيت مسك وبين التسهيم
أن صدر كلام التخيير لا يدل على المقطع فقط وصدر كلام التسهيم يدل
على ما زاد على المقطع إلى أن يبلغ كل عجز البيت والفرق بين التخيير والتوشيح
التوطية بتقديم لفظة القافية في أول البيت من التوشيح ولا كذلك
التخيير والله أعلم

باب التدبيج

وهو أن يذكر الشاعر أو الناثر ألوانا يقصد الكناية بها والتورية عن أشياء
من وصف أو مدح أو نسيب أو هجاء أو غير ذلك من الفنون كقوله تعالى ومن
الجبال جدد بيض وحمر وغرابيب سود فإن المراد بذلك والله أعلم الكناية
عن المشتبه والواضح من الطرق لأن الجادة البيضاء هي الطريق المحجوب التي
كثر السلوك فيها جدا فهي أوضح الطرق وأبينها ولهذا قيل ركبتهم المحجة
البيضاء ودونها الحمراء ودون الحمراء السوداء التي كأنها في الخفاء والالتباس
ضد البيضاء في الظهور والوضوح ولما كانت هذه الألوان الثلاثة في الظهور

للعين طرفين وواسطة فالطرف الاعلى في الظهور البياض والطرف الاسفل في
الخفاء السواد والاحمر بينهما على حكم وضع الالوان في التركيب وكانت الوان
الجبال لا تخرج عن هذه الالوان الثلثة والهداية بكل علم نصب للهداية فقسم
هذه القسمة اتت الاية الكريمة على هذا التقسيم فحصل فيها التدبيج وصحة التقسيم
وهي مسوقة للاعتداد بالنعم على ما هدت اليه من السعي في طلب المصالح والمنافع
والفرار من المضار والمعاطب ٥ ومن التدبيج الحسن قول الحريري
فمذ ازور المحبوب الاصفر واغبر العيش الاخضر اسود يومي الابيض وابيض
فودي الاسود حتى رثى العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر الآن تدبيج
الاية الكريمة جاء بلفظ الكناية وتدبيج المقامة اتى بطريق التورية ٥
ومن امثلة هذا الباب الشعرية قول ابن حيوس الدمشقي

إن ترد علم حالهم عن يقين فالقهم يوم نائل او قتال
تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

وكقول بعض العرب

زباد بن عين عينه تحت حاجبه وبيض الثنايا تحت خضرة شاربه

وقد ساق بعض النقاد هذا البيت من شواهد العيوب وقال وجه العيب فيه
كون العين لا تكون الا تحت الحاجب والثنايا تحت الشارب وقال بعضهم في
الرد على هذا العايب بان الشاعر اراد انه غير مشوه قد خلق في احسن تقويم
فلم تات صورته مخالفة الصور وعندي ان مثل هذا لا يعد عيبا ولا يحتاج
فيه الى تكلف مثل هذا العذر فانه قد ورد مثله في الكتاب العزيز للتوكيد
والتهويل ليحصل الازدجار عن فعل من حل به ذلك وهذا من بليغ الموعظة
وهو قوله سبحانه فخر عليهم السقف من فوقهم والسقف لا يكون الا من فوق ولا

يتمثل في هذا الموضع لانه سبحانه رفع فيه الاحتمال الذي يوهم من ان السقف
قد يكون تحت بالنسبة فان كثيرا من السقوف يكون ارضا لقوم وسقفا
لاخرين فرفع تعالى هذا الاحتمال بجملتين وهما قوله تعالى عليهم ولفظة
خر لانها لا تستعمل الا فيما هبط او سقط من العلو الى السفل ٥ ومن ذلك
ايضا حديث ابي بكرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجته
فقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة
اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلثة متواليات وهي ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ورجب لا يكون الا كذلك
وانما هو صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يخبر عن شهر فرد غير متوالي الاشهر
الحرم التي قبله عرفه بانه بين هذين الشهرين احترازا من انه لو
اقتصر على قوله ورجب توهم بعض السامعين انه ربما اراد صفر لاسيما
وقد كانت الجاهلية تحل صفرا عاما وتحرمه عاما ولذلك قال رسول الله
لا صفر — صلى الله عليه وسلم في حديث خرجه الترمذي وابو داود فربما ظن الظان
انه اراد برجب صفر وسماه رجبا ليعرف بتعظيمه اذ الترجيب التعظيم ٥
فاحترس من وقوع هذا اللبس بان عرفه بانه هو الذي بين جمادى ليقطعه عما
قبله وبين شعبان ليقطعه عما بعده والتاويلات اوسع وافسح من ان تحاط مع
عربي متقدم في لغته التي وضعها وهو اعرف بمواقعها منا لاسيما وقد
قال امرؤ القيس مما يؤيد ذلك

لها ذنب مثل ذيل العروس تسد به فرجها من دبر

وفرج الفرس لا يكون الا من دبر لان فرجها الذي يسد بذنبها هو ما بين
قائمتي رجليها من عجم الذنب الى حافري الرجلين وفي بعض ذلك ما

يخرج بيت الشاعر عن العيب ومن التذييل قول ابي تمام في مرثية لمحمد بن حميد
الطوسي

تردى ثياب الموت حمرا فما اتى لها الليل الا وهي من سندس خضر

باب التمزيج

وهو ان يمزج المتكلم معاني البديع بفنون الكلام اعني اغراضه ومقاصده بعضها ببعض بشرط ان يجمع معاني البديع والفنون في الجملة او الجمل من النثر والبيت او البيوت من الشعر كقول بكر بن النطاح

بذلت لها ما ارادت من المنى لترضى فقالت قم فجئني بكوكب
فقلت لها هذا التعنت كله كمن يتشهى لحم عنقاء مغرب
سلي كل شيء يستقيم طلابه ولا تذهبي يا در بي كل مذهب
فاقسم لو اصبحت في عز مالك وقدرته اعيا بما رمت مطلبي
فتى شقيت امواله بعفاته كما شقيت بكر بارماح تغلب

فان التمزيج وقع في الثلثة المتواليات من هذا الشعر بعد الاول فاما الاول من الثلثة فانه مزج في صدره العتاب بالغزل حيث قال فقلت لها هذا التعنت كله لارتباط هذا الصدر بما قبله بسبب المراجعة التي فيهما اذ قال فقالت فقلت واتى في عجز البيت بالتذييل ليحقق العتاب ويستدل على صحة ما ادعاه من التعنت فمزج المذهب الكلامي بالتذييل في العجز كما مزج العتاب والغزل في الصدر مع الارتباط بما قبله وحقق ذلك بالمراجعة الحاصلة فيهما ثم مزج المبالغة بالقسم في البيت الثاني من الثلثة والمدح بالغزل برابطة الاستطراد واتى بالطاعة الكبرى في البيت الثالث من الثلثة اذ

مزج فيه الارداف بالتشبيه والشجاعة بالكرم ومدح قبيلة الممدوح بمدحه وذم اعدائها والايغال بالتشبيه والاستطراد فاما الارداف ففي قوله شقيت امواله بعفاته فانه اراد ان يقول فتى جواد فعدل عن هذا اللفظ الى رديفه لما في لفظ شقاوة الاموال بالعفاة من زيادة المعنى وديباجة اللفظ التي لا توجد في لفظ الحقيقة والتشبيه في قوله كما شقيت هذه القبيلة بهذه القبيلة والقبايل المتعادون كثير وانما اقتصر على هاتين القبيلتين لما في ذكرهما من النكتة التي تزيدها معنى المدح وتخص الممدوح لانه خصه بالمدح بمجرد الكرم في صدر البيت وراى ان المدح بالكرم فحسب غير كامل واراد تكميل المدح بالشجاعة فاوجبت عليه الصناعة ان ياتي بالتنكيت في عجز البيت بحيث يكون بين العجز والصدر ارتباط يوجب لهما التلاحم فوصل بينهما بكاف التشبيه مقتصرا على ذكر القبيلتين اللتين في ذكرهما نكتة حسنة وهي مدح قبيلة الممدوح والتعريض بذم قبيلة اعدائه والمدح لقبيلة الممدوح مدح له فيتكمل له المدح الذي اراده والتمزيج الذي قصده والفرق بين التمزيج والتكميل والافتنان والتعليق والادماج فان هذه الابواب الخمسة ربما اشتبهت على كثير من الناس لكونها تجمع المعاني والفنون ان التكميل لا يكون الا في معاني النفوس واغراضها ولا يكون احد الامرين فيه قد اتحد بالاخر بحيث لا يظهر من الكلام الا صورة احد الامرين دون الاخر وانما يوخذ المعنى الاخر من الكلام بطريق القوة لشدة امتزاج المعنيين او الفنين او احدهما بالاخر وهذه حال التمزيج والفرق بين التمزيج والافتنان ان الافتنان لا يكون الا بالجمع بين فنين من اغراض المتكلم كالغزل والمدح والعتاب والهجاء والتهنية والتعزية والتمزيج

بخلاف ذلك اذ هو يجمع الفنون والمعاني ويكون الامران فيه متداخلين والافتنان الفنان فيه ظاهران والفرق بين التمزيج والتعليق ان التعليق كالافتنان في اختصاصه بالفنون دون المعاني وظهور الفنين فيه معا الا ان احدهما متعلق بالاخر والافتنان لا يكون احد الفنين فيه متعلقا بالاخر ولا بد وكلاهما يفارق الامتزاج في ظهور صور الاشياء التي تكون فيه فانها تمتزج بحيث لا يظهر منها لكل شيئين الا صورة واحدة والفرق بين التمزيج والادماج ان الادماج كالتعليق لا يكون الا بالفنون دون المعاني بخلاف التمزيج وان اشبه التمزيج في اتحاد الصور والفرق بين التعليق والادماج دقيق ولهذا التبس على كثير ممن تقدم فجعلوا البابين بابا واحدا او سموه بالاسمين لعدم الفرق بينهما عندهم وقد بينت الفرق بينهما في باب الادماج واشرت الى بعضه ها هنا وقد جاء في الكتاب العزيز من التمزيج قوله تعالى رب احكم بالحق فانها امتزج فيها فنا الادب والهجاء بمعنيي الارداف والتتميم وتولد من ذلك ما استخرجته منها من بقية المحاسن فكان ذلك ستة عشر نوعا يضيق هذا المكان عن ذكرها مفصلة والله اعلم

باب الاستقصاء

وهو ان يتناول الشاعر معنى فيستقصيه الى ان لا يترك فيه شيئا كقول ابن الرومي في صفة الحديث

وحديثها السحر الحلال لو انه ... لم يجن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يملل وان هي اوجزت ... ود المحدث انها لم توجز
شرك العقول ونزهة ما مثلها ... للمطمئن وعقلة المستوفز

فانظر الى كون هذا الشاعر وصف حديث هذه المحبوبة بنهاية الوصف الحسن لمثله حيث قال وحديثها السحر الحلال لفعله في العقول فعل السحر وجعله حلالا لصدق الوصف وليتضمن كلامه في صفته معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا فان سحر البيان سحر حلال ثم رجع استدرك فيه فقال لو انه لم يجن قتل المسلم المتحرز لكون قتل المسلم بغير حق حراما ولهذا حسن الاستدراك بعد وصفه بالحل ليحصل في البيت طباق معنوي فكانه قال سحر حلال لو لم يجن حراما فطابق بين الحلال والحرام واخذت براءة المسلم المقتول بالحديث من الايغال الذي في قافية البيت وهو قوله المتحرز لان المتحرز لا يقع في شيء من موجبات القتل وفي ذلك مبالغة في وصف الحديث بافراط الالتذاذ الذي يزهق حبة النفس ثم فكر فيما يعرض من الملل بسبب طول الحديث فاحترس عن ذلك بقوله ان طال لم يملل ثم راى انه متى اقتصر على وصفه بالحسن حالة الاطالة دون الايجاز كان مقصرا فقال وان هي اوجزت الى اخر البيت ثم اراد وصفه بميل النفوس اليه اما اضطرارا او اختيارا فقال في الميل الاضطراري شرك النفوس فاخبر انه يصيد العقول قنصا ثم قال في الميل الاختياري مقسما له قسمين حاصرين في حالتي الريث والعجل

ونزهة ما مثلها للمطمئن وعقلة المستوفز

وليس للمختار حالة زائدة على هاتين الحالتين اما ان يكون مطمئنا او مستوفزا فان كان مطمئنا كان هذا الحديث نزهته وان كان مستوفزا كان عقلته فلم يبق في هذا المعنى مقالا لمن بعده ولقد احسن ابن ميادة في استقصائه معنى من معاني الغزل حيث قال

فوالله ما ادرى ايغلبنى الهوى اذا جد جد البين ام انا غالبه

فان استطع اغلب وان يغلب الهوى فمثل الذى لاقيت يغلب صاحبه

فانه لما علم انه متى اقتصر على البيت الاول لا يكون مستقصيا للمعنى اى تفصيل ما اجمله فى البيت الاول بما جاء به فى البيت الثانى ليكون قد اتى على جميع ما يجب ذكره من المعنى الذى قصده والله اعلم وقد جاء فى الكتاب العزيز من ذلك ما لا يلحق سبقا وهو قوله تعالى ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت فانظر الى استقصاء هذا المعنى حتى لم يبق فيه بقية لاحد وذلك انه بعد قوله جنة من نخيل واعناب قال تجرى من تحتها الانهار وكمل الوصف بقوله له فيها من كل الثمرات فاتى بكل ما توصف به الجنان ليشتد الاسف على افسادها ثم قال واصابه الكبر ثم استقصى المعنى الذى يوجب تعظيم المصاب بقوله بعد وصفه بالكبر وله ذرية ضعفاء ولم يقتصر على الاخبار بكونه له ذرية حتى قال ضعفاء ثم ذكر استيصالها بالهلاك فى اسرع وقت حيث قال فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت ولو اقتصر على ذكر الاعصار لكان كافيا لكنه لما علم سبحانه ان مجرد الاعصار لا يحصل به سرعة الهلاك كما تحصل اذا كان فيه نار قال سبحانه فيه نار ثم اخبر باحتراقها لاحتمال ان تكون النار ضعيفة لا يقوم احراقها باطفاء انهارها وتجفيف اوراقها وثمارها فاخبر باحراقها احتراسا من ذلك وهذا احسن استقصاء واتمه بحيث لم يبق فى المعنى المقصود موضع استدراك والله اعلم

باب البسط

وهو ان ياتى المتكلم الى المعنى الواحد الذى تمكنه الدلالة عليه باللفظ القليل فيدل عليه باللفظ الكثير ليضمن اللفظ معانى اخر يزيد بها الكلام حسنا ولولا بسط ذلك الكلام بكثرة الالفاظ لم تحصل تلك الزيادة ومما جاء من ذلك فى الكتاب العزيز قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين واوحى فى كل سماء امرها فانظر هداك الله الى هذا البسط فى هذه الاية الكريمة بالنسبة الى قوله فى غير موضع من القران الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ليعلم انه سبحانه بسط الكلام فى هذه الاية ليفيد البسط معانى من تفصيل الاخبار وايضاح المعنى وتفسير ذلك الاجمال واخراجها مخرج التقريع لمن جعل لله تبارك وتعالى اندادا من مخلوقاته فان قلت التقريع يحصل بقوله تعالى الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام فما فائدة البسط قلت فائدة جليلة فان الاستدلال بما قرب من نظر الخصم اوضح من الاستدلال بما بعد فان تقدير اقوات الحيوان البرى والبحرى والجوى وكل صنف بقوت مالوف يميل اليه طبعه كاللحوم للسباع والحب للبهائم والاوساخ وما اشبهها للهمج والبقول وساير الخضراوات لغير هذه الاصناف وجمع بعض اصناف الحيوان بين ساير الاقوات كالانسان وبعض الحيوان البهيم البرى والبحرى والجوى وبركة تلك الاقوات الموجبة لكفاية ما يخرج من الارض من جميع الحيوان اقرب لفهم المخاطب ولاحتمال ان يقع فى بعض

فهذا الضرب فيه من البلاغة التى عرفتها ايجاز من غير اخلال بالمعانى واطناب من غير املال وتحصيل على ... مع الاكثار الاتيان بمعانى السد

تخصيص

النفوس ان هذه الامور من صنع السموات والارض لا من صنع صانعهما كما يعتقد بعض
الناس فاقتضت البلاغة ان يقدم ذكر الارض لقربها من المخاطب ولان
الانداد منها كالحجارة التي نحتت وعبدت والاصاب التي نجرت من الاخشاب
والصور التي اتخذت من المعادن وليعرف بعظمة قدرته في خلقه الارض كلها
في يومين ثم ثنى بذكر البركة التي لولاها ما نبت النبات ولا عاش الحيوان ولا
تنوع الجماد ولا حصلت المنافع التي بها قوام الاجسام ممتنا بذلك على عباده
وحق له الامتنان ثم ثلث بذكر تقدير الاقوات ليحض بذلك على التوكل
ويبعث النفوس على الاشتغال عن الفكر في التكسب بصالح الاعمال ثم اخبر ان
ذلك كله في يومين اخرين بقوله سبحانه في اربعة ايام يعني والله اعلم انه
بارك في الارض وقدر فيها اقواتها مع خلقه لها في اربعة ايام ثم ختم بذكر
خلق السموات السبع والعناصر الاربعة اذ هي سماوات بالنسبة الى المخاطب
وعظمها وما تعلم العرب وغيرهم من نجومها والهداية بها وانوائها وانزال الغيث
من جهتها ومقدمات ذلك من الرعد والبرق والرياح ومنافع النيرين ثم
اخبر انه سبحانه خلق ذلك كله في يومين ثم اقتصر عز وجل في غير هذه الاية
على ذكر الافلاك السبعة دون الفلكين الاخرين منطقة البروج والاطلس
لكون السبعة هي المعروفة عند العرب الذين نزل القران عليهم وجاء بلسانهم
لان معرفة الفلكين الاخرين موقوفة على علوم ليست من علوم العرب ○
فان قلت فالعرب تعرف الانواء وكواكبها في الفلك الثامن
فلم اقتصر على ذكر السبعة دونه قلت انما عرفت الانواء بالقمر
وحلوله في المنازل ومسير القمر اسرع مسير وهي كثيرا ما ساطعة لسمرها
فيه وسراها وعرفت الكواكب السيارة والنير الاكبر تعرف سيرها بالنسبة

وعرفت مسير المنازل ايضا بحركتها القسرية واما حركة فلكها التي دلت
عليها كواكبه الثابتة فليس من علوم العرب وليس عند العرب دليل
على الثامن ولهذا لم يذكر لهم فافاد سبحانه بهذا البسط حصول ضروب
من البديع في الكلام لولا البسط لم تحصل وهي المذهب الكلامي والادماج
والارداف والتعليق والتفسير فاما المذهب الكلامي ففي قوله تعالى
ذلك رب العالمين فانها نتيجة قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان
الى قوله سبحانه قالتا اتينا طائعين فان تقدير الكلام في ذلك والله
اعلم لا تطيع السماء والارض الا رب العالمين فانهما عبارة عن العالمين وقد
اطاعتا الله سبحانه فهو رب العالمين والادماج ادماج الارداف في
المذهب الكلامي لانه اراد وهو اعلم ان يقول قل ائنكم لتكفرون بالقادر
المطلق فعدل عن اللفظ الخاص الى لفظ هو ردفه حيث قال بالذي
فعل وصنع وعدد من قدرته ما لا يقدر عليه غيره والتعليق في كونه
تبارك وتعالى علق فن الفخر بفن العتاب اذ وصف نفسه صادقا
بما هو اهله واثنى على ذاته بما يستحقه في ضمن العتب الموبخ والتقريع
المترتب حيث قال ائنكم لتكفرون وتجعلون والتفسير في قوله ذلك
رب العالمين فانه اتى بهذه الجملة مفسرة لذلك الاجمال الذي في قوله تعالى
الذي خلق وفعل وصنع فاتى بالصفات قبل ذكر الموصوف ولما اراد
تبيين ذلك الموصوف وتعريفه قال سبحانه ذلك رب العالمين فهذه
فايدة البسط والاطناب في الكلام الذي عدل فيه عن الايجاز والاختصار
ومما جاء من ذلك في السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم ان
الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولنبيه ولايمة

المسلمين وعامتهم وحاصل هذا الكلام اذا ورد من طريق الاختصار أن يقول بعد تخصيص الله تعالى بالذكر وكتابه ونبيه وللمسلمين فانها لفظة جامعة للايمة والعامة فبسط هذه اللفظة ليفرد الايمة بالذكر من جملة المسلمين ولم يمكن الاقتصار على الايمة فيكون المعنى ناقصا اذ تمامه لا يكون الا بذكر عامة المسلمين فاتى بذلك البسط ليفيد تتميم المعنى بعد تخصيص من يجب تخصيصه بالذكر والله اعلم ومن شواهد البسط الشعرية للمتقدمين قول امرء القيس

نظرت اليك بعين جازية حوراء حانية على طفل

فان حاصل البيت تشبيه عين هذه الموصوفة بعين الظبية فبسط الكلام فيه ليزيده البسط معنى لولاه لم يوجد فيه فان لنظر الظبية الى خشفها عاطفة عليه بحنو واشفاق من الحسن ما ليس لمطلق نظرها او لنظرها في غير هذه الحالة ومن امثلته للمحدثين قول البحتري في الخيري

قد نفض العاشقون ما صنع الهجر بالوانهم على ورقه

فان حاصل هذا المعنى الاخبار بصفرة الخيري فبسط هذا اللفظ الذي لو اقتصر عليه حصل به المراد لما في البسط من ادماج الغزل في الوصف بغريب تشبيه ليس من قسمي التشبيه اللذين باداة وبغير اداة بل تشبيه لا ظاهر ولا مقدر يفهم من فحوى الكلام اذ مفهوم اللفظ ان صفرة الاذريون تشبه صفرة الوان المهجورين ٥ ومن هذا الباب ايضا قول البحتري وقد تقدم في باب حسن الاتباع

اخجلتني بندى يديك فسودت ما بيننا تلك اليد البيضاء
صلة غدت في الناس وهي قطيعة عجبا وبر راح وهو جفاء

فان حاصل البيتين انك قطعتني عنك خجلا من كثرة عطاياك فبسط هذا الكلام لتحصل زيادات من البديع لولا البسط ما حصلت كالطباق في البيت الاول بذكر السواد والبياض والمقابلة في البيت الثاني بذكر الصلة والقطيعة والغدو والرواح والبر والجفاء وعلى هذا فاعتبر ما تسمعه من الكلام الذي يقع فيه مثله وقسه عليه والله اعلم ٥

باب الهجاء في معرض المدح

وهو ان يقصد المتكلم الى هجاء انسان فياتي بالفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها القدح فيوهم انه يمدحه وهو يهجوه كقول بعضهم في بعض

له حق وليس عليه حق ومهما قال فالحسن الجميل
وقد كان الرسول يرى حقوقا عليه لغيره وهو الرسول

فاما الفاظ البيت الاول على انفرادها فلا تكاد تصلح الا للمدح ولا يفهم منها غيره واما البيت الثاني لو انفرد ايضا لما فهم منه مدح ولا هجاء وكان الى باب الاداب اقرب من هذين البابين لكنه لما اقترن بالاول اهل نفسه واحاله للهجاء وعدل بالفاظهما عن الثناء وحصل من اجتماعهما ما ليس لكل منهما على انفراده ومن امثلة هذا الباب ايضا قول عبد الصمد بن المعذل في ابي تمام وقد كانت في لسانه حبسة

يا نبي الله في الشعر ويا عيسى بن مريم
انت من اشعر خلق الله ما لم تتكلم

البشر حال

فان حال هذين البيتين اللذين قبلهما اذ الاول منهما اذا انفرد كان

مدحاً محضاً واذا اجتمعا صارا هجواً محضاً غير ان ابيات الآخرين مخالفة
لشاني الاول ومن مُلح هذا الباب قول السعيد سناء الملك في قواد

لي صاحب افديه من صاحب حلو التأتي حسن الاحتيال
لو شاء من رقة الفاظه الف ما بين الهدى والضلال
يكفيك منه انه ربما قاد الى المهجور طيف الخيال

وهذا النمط غير النمط الاول الذي قدمناه وهذا من لطيف التوجيه
ولقد تشبثت باذيال القاضي السعيد رحمه الله في هذا المقطوع بقولي
فيمن ادعى الفقه والكرم وانتحل هذين الشيئين دون بقية الشيم وهو
ممن تيمم

ابن فلان اكرم الناس لا يمنع ذا الحاجة من فلسه
وهو فقيه ذو اجتهاد وقد نص على التقليد في درسه
يستحسن البحث على وجهه ويوجب الدخل على نفسه

وكل توطية وقعت في هذا النمط الثاني صالحة للمدح البحت فاذا اقترنت
بابيات المعاني انقلب ما كان فيها مديحاً تهكماً وصارت هي بنفسها هجاء
والذي افرد هذا الباب بنفسه عن باب التهكم مع ان الذي فيه من المدح تهكم
ان التهكم لا تخلو الفاظه عن لفظة من اللفظ الدال على نوع من انواع الذم
او لفظة يفهم من فحواها الهجو وسيأتي بيان ذلك في باب التهكم والفاظ
المدح في هذا الباب لا يقع فيها شيء من ذلك ولا تزال متفرقة ومجتمعة تدل
على مجرد المديح حتى يقترن بها ما يصرفها عن ذلك وشواهد التهكم لا
تخلو عن الفاظ التهكم في ابيات التوطية وابيات المعاني وما يقع في هذا
الباب من التهكم انما يقع في التوطية دون ابيات المعاني والله اعلم ٥

باب العنوان

وهو ان يأخذ المتكلم في غرض له من وصف او فخر او مدح او هجاء او عتاب
او غير ذلك ثم يأتي لقصد تكميله بالفاظ تكون عنواناً لاخبار متقدمة
وقصص سالفة كقول ابي نواس

يا هاشم بن خديج ليس فخركم بقتل صهر رسول الله بالسدد
ادرجتم في اهاب العير جثته لبئس ما قدمت ايديكم لغد
ان تقتلوا ابن ابي بكر فقد قتلت حجراً بدارة ملحوب بنو اسد
ويوم قلتم لعمرو وهو يقتلكم قتل الكلاب لقد ابرحت من ولد
ورب كندية قالت لجارتها والدمع ينهل من مثنى ومن وحد
الهى امرأ القيس تشبيب بغانية عن ثاره وصفات النؤي والوتد

فقد اتى ابو نواس في هذه الابيات بعدة عنوانات منها قصة قتل محمد بن ابي بكر
وقتل حجر ابي امرئ القيس وقتل عمرو بن هند كندة في ضمن هجاء من
اراد هجوه ومعيرة المهجو بما اشار اليه من الاخبار الدالة على هجاء
قبيلته وملوكهم ومثل ذلك قول ابي تمام في استعطافه مالك بن
طوق على قومه

ذلّوا في يوم الكلاب وشققوا فيه المزاد بجحفل كلاب
وهم بعين اباغ راشوا للعدى سهميك عند الحرث الحراب
وليالي الثرثار والحشاك قد جلبوا الجياد لواحق الاقراب
فمضت كهولهم ودبر امرهم احداثهم تدبير غير صواب

ثم قال بعد ذلك

لك في رسول الله اعظم اسوة واجلها في سنة وكتاب

اعطى المؤلفة القلوب رضاهم كملا وردّ اخايذ الاحزاب
والجعفريون استقلت ظعنهم عن قومهم وهم نجوم كلاب
حتى اذا اخذ الفراق بقسطه منهم وشطّ بهم عن الاحباب
ورأوا بلاد الله قد لفظتهم اكنافها رجعوا الى جوّاب
فاتوا كريم الخيم مثلك صافحا عن ذكر احقاد مضت وضباب
فانظر الى ما اتى به ابو تمام في هذه الابيات من العنوانات من السيرة النبوية وايام العرب كيوم الكلاب واجاءة بني جعفر بن كلاب مع ابن عمهم جوّاب وكقوله ايضا لاحمد بن ابي دواد
تثبّت ان قولا كان زورا اتى النعمان قبلك عن زياد
فاورث بين حيّي بني جلاح لظى حرب وحيّي بني مصاد
وغادر في صدور الدهر قتلى بني بدر على ذات الاصاد
فاتى بعنوان مشيرا الى قصة النابغة حين وشى به الواشون الى النعمان وما جرّ ذلك السعي من الحروب التي انطوت عليها قطعة من ايام العرب وكقوله لابن ابي دواد ايضا
اسمع مقالة زائر لم تشتبه اراؤه عند اشتباه البيد
اسرى طريدا للحياء من التي زعموا وليس لرهبة بطريد
كنت الربيع امامه ووراءه قمر القبايل خالد بن يزيد
فالغيث من زهر سحابة رأفة والركن من شيبان طود حديد
وغدا تبيّن ما براءة ساحتي لو قد نفضت تهايمي ونجودي
هذا الوليد رأى التثبت بعد ما قالوا يزيد بن المهلب مودي
فتزحزح الزور المؤسس عنده وبناء هذا الافك غير مشيد
وتمكن ابن ابي سعيد من حجى ملك بشكر بني الملوك سعيد

ما خالد لي دون ايوب ولا عبد العزيز ولستُه دون وليد
نفسي فداؤك اي باب ملمة لم يرتم فيه اليك بالاقليد
لما اظلتني غمامك اصبحت تلك الشهود علي وهي شهودي
من بعد ما ظنوا بان سيكون لي يوم ببغيهم كيوم عبيد
نزعوا بسهم قطيعة يهفو به ريش العقوق فكان غير سديد
واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود
لولا التخوف للعواقب لم تزل للحاسد النعمى على المحسود
العنوانات في بعض هذه الابيات وانما جئت بجملتها لئلا تنحز احسنها فمن عنواناتها اشارته الى خبره مع ابن ابي دواد فيما نقل عنه من غضبه من مضر على سبيل الحسد له حتى حجبه عنه وجفاه ولم يرجع اليه الا بشفاعة خالد ابن يزيد بن مزيد الشيباني ثم ذكر قصة يزيد بن المهلب حين هرب من حبس الحجاج وكتب فيه الى الوليد بما احفظه عليه حتى حلف على قتله فاستشفع بسليمن اخيه واستجار به فاجاره وارسل به مع ولده ايوب وولد الوليد عبد العزيز ووصى ولده ان لا يدع يده من يد الابعد امامه وان لا يوصل اليه بسوء الا بعد قتله ثم اشار الى قصة عبيد الابرص مع النعمن حين لقيه في يوم بوسه وقتله وهذه القصص معروفة عند الاخباريين فلم اطل بسياقة تفاصيلها والكتاب العزيز محشو بعنوانات العلوم فمنها قوله سبحانه الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد الاية فان فيها عنوان العلم المعروف بالاثار العلوية وكقوله انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب لا ظليل ولا يغني من

اللبس فان هذه الالفاظ عبارة عن الشكل المثلث الذي هو اول الاشكال فيذكره
عنوان العلم المسمى باقليدس والله اعلم ٥

باب الايضاح

وهو ان يذكر المتكلم كلاما في ظاهره لبس ثم يوضحه في بقية كلامه
كقول الشاعر

يذكرنيك الخير والشر كله وقيل الخنا والعلم والحلم والجهل

فان هذا الشاعر لو اقتصر على هذا البيت لاشكل مراده على السامع لجمعه بين الفاظ
المدح والهجاء فلما قال بعده

فالقاك عن مكروهها متنزها والقاك في محبوبها ولك الفضل

اوضح المعنى المراد ورفع اللبس واوضح الشك وقد يكون الايضاح في الوصف
الذي لا يتعلق به مدح ولا هجاء وذلك ان يخبر المتكلم بخبر واحد عن شي
واحد يقع التعجب منه ويشكل الامر فيه ثم يوضح ذلك الاشكال بان يخبر
عنه بما يفهم منه كشف اللبس عن الخبر الاول كقول ابن حيوس

ومقرطق يغني النديم بوجهه عن كاسه الملأى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها في مقلتيه ووجنتيه وريقه

فانه لو اقتصر على البيت الاول اشكل الامر على السامع من جهة ان الوجه وان كان
حسنا لا يغني به النديم عن الخمر فاوضح اللبس في البيت الثاني ٥
والفرق بين الايضاح والتفسير ان التفسير تفصيل الاجمال والايضاح
رفع الاشكال لان المفسر من الكلام لا يكون فيه اشكال البتة ٥
وقد جاء من الايضاح في الكتاب العزيز قوله تعالى كلما رزقوا منها من

ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل فانه لو وقع الاقتصار على هذا المقدار لالتبس
الامر على المخاطب لا يدري هل اراد تعالى بقوله حكاية عنهم هذا الذي رزقنا من
قبل الاشارة الى صنف الثمرة او مقدار ما يؤتون به من ذلك اي تكون مقادير
الثمار متساوية فاوضح سبحانه اللبس بقوله واتوا به متشابها يعني والله
اعلم اشياء يشبه بعضها بعضا وهي متغايرة الاصناف لان الوجه الثاني
يوجب اللبس الذي وقع الفرار منه لانه لا يدري هل قولهم هذا الذي رزقنا
من قبل اي عين ما رزقنا وحقيقته او غيره لكنه هو في المقدار مثله فلما
قال سبحانه واتوا به متشابها ارتفع هذا اللبس ايضا لكون البلاغة تقتضيه
وانما اقتضته البلاغة لكونه من المعلوم ان المداومة على ما كول واحد توجب
السام والملل وان كمال التنعم وتمام التفكه بالتلون في المطاعم والتفنن
في الماكل فعلم من فحوى الخطاب انه اراد سبحانه اراد الصنف لا المقدار
والله اعلم ٥ وهو اعلم

باب التشكيك

وهو ان ياتي المتكلم في كلامه بلفظة تشكك المخاطب هل هي حشو او اصلية
لا غنى للكلام عنها مثل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين فان
لفظة بدين تشكك السامع هل هي فضلة او اصلية فالضعيف النظر يظنها
فضلة اذ لفظة تداينتم تغني عنها والناظر في علم البيان يعلم انها اصلية
لان لفظة الدين لها محامل تقول داينت فلانا المودة تعني جازيته ومنه
كما تدين تدان ومن ذلك قول رؤبة

داينت اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا

وامثال هذا وكل هذا هو الدين المجازي لا يكتب ولا يشهد عليه ولما
كان المراد في الآية الكريمة تبيين الدين المالي الذي يكتب ويشهد عليه وفيه
وتبيين الاحكام المتعلقة به وما ينبغي ان يعمل فيه اوجبت البلاغة ان يقول بدين
معناه يكتب ويشهد فيه ليقول فاكتبوه فيكون عود ضمير فاكتبوه عليه
تما يبين انه دين يكتب والله اعلم ومن التشكيك ضرب اخر وهو ان ياتي المتكلم
بجمل من المعاني في كلامه كل جملة معطوفة على الاخرى باو التي هي موضوعة
للتشكيك لا التي للتخيير والاباحة كقول البحتري

كانما يبتسم عن لولو منضد او برد او اقاح

ومن التشكيك نوع التبس على بعض المولفين حتى ادخله في باب تجاهل العارف
وهو ان يرى المتكلم شيئا شبيها بشي فيشكك يقينه قصد التقرب بالتشبيه
المشبه من المشبه به ثم يعود عن المجاز الى الحقيقة فيزيل ذلك التشكيك
فان لم يعد الى الحقيقة فهو تجاهل العارف وان عاد فهو التشكيك المحض وهو
كقول سلم الخاسر

تبدت فقلت الشمس عند طلوعها بجلد غني اللون عن اثر الورس

فلما كررت الطرف قلت لصاحبي على مرية ما ها هنا مطلع الشمس

فانظر اليه كيف رجع الى التحقيق بعد التشكيك وقد خفي هذا الفرق عن
ابن رشيق وغيره حتى ادخلوه في باب تجاهل العارف وهذا خلاف قول
ابي تمام

فوالله ما ادري احلام نايم المت بنا ام كان في القوم يوشع

فان سلما رجع التشكيك وابو تمام لم يرجع فكان بيت سلم من التشكيك المحض
وبيت حبيب من تجاهل العارف وقد ظهر الفرق بين البابين والله اعلم ٥

باب الجدة والانتقال

وهو ان يجيب المسئول بجواب لا يصلح ان يكون جوابا عما سيل عنه او ينتقل
المستدل الى استدلال غير الذي كان اخذا فيه وانما يكون هذا بلاغة
اذا اتى به المستدل بعد معارضته بما يدل على ان المعترض لم يفهم استدلاله
فينتقل عنه الى استدلال ينقطع به عند فهمه اياه وقد جاء في الكتاب العزيز
من ذلك قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلم في قوله للجبار ربي الذي
يحيي ويميت فقال الجبار انا احيي واميت ثم دعا بانسان فقتله ودعا بمن
وجب عليه القتل فاعتقه فلما علم الخليل انه لم يفهم معنى الاماتة والاحيا
اللذين ارادهما انتقل الى استدلال اخر وقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق
فات بها من المغرب فاتاه باستدلال لا يجد لاسمه اسما مشتركا معه
فيتعلق بظاهره على طريق المغالطة او لانه لم يفهم الا ذلك الوجه الذي
تعلق به فلا جرم ان الجبار انقطع واخبر الله سبحانه عنه بذلك حيث قال
تعالى فبهت الذي كفر ٥ ومنه نوع يعدل فيه المسئول عن خصوص الجواب
الى عمومه لتفيد تلك الجدة زيادة بيان لا تحصل بخصوص الجواب كقول
عايشة رضي الله عنها وقد سالتها امراة اتدخل المراة الحمام فقالت كل
امراة وضعت ثيابها في غير بيتها فقد عصت او كما قالت فانظر الى حيدتها
عن الخصوص الى العموم لتفيد زيادة في البيان وتستوعب جميع احكام الباب

باب الشماتة

وهو اظهار المسرة بمن نالته محنة او اصابته نكبة ولم اسمع في ذلك مثل قول
ابن الرومي

فهذا امثال ما ياتي من الحيلة وتشبيه تموه فهم الخصم
واما ما ياتي وتشبيه حجة المعارض على طريق المغالطة
وقول الشاعر منبطا النصر بالصبر باب ... مربوب
رابيه في الكلام لبعضي ان ... الفراق ...
قلت ماذا اثقال الاخر
وقول العذال والعاتبين على ... معوج
قالت اجتب ... الاعذار ...
قلت اتسلى ... ١

لازال يومك عبرة لغدك وبكت بشجو عين ذي حسدك
فلئن بكيت فطالما نكبت بك همة لجأت الى سندك
لو تسجد الايام ما سجدت الا ليوم فت في عضدك
يا نعمة ولت غضارتها ما كان اقبح حسنها بيدك
فلقد غدت بردا على كبدي لما غدت برد على كبدك
ورأيت نعمى الله زائدة لما استبان النقص في عددك
لم يبق الا ما يرى جسدي الا بقايا الروح في جسدك

وقد جاء من الشماتة في الكتاب العزيز قوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم فلفظة ذق شماتة وبقية الكلام تهكم واما الشماتة المحضة في القران فقوله تعالى لفرعون الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين

باب التهكم

يقال تهكمت البير اذا تهدمت وتهكم عليه اشتد غضبه والمتهكم المتكبر وقال ابو زيد تهكمت تغنيت وهكمت غيرت تهكيما غنيته وعلى هذا يكون المتهكم اما لشدة الغضب قد اوعد بلفظ البشارة او لشدة الكبر وتهاونه بالمخاطب قد فعل ذلك او ذكر بفعله عند العقوبة على سبيل المعين له فهذا اصله وهو في الاستعمال عبارة عن الاتيان بلفظ البشارة في موضع الانذار والوعد في مكان الوعيد والمدح في معرض الاستهزاء فشاهد البشارة من الكتاب العزيز قوله تعالى بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما وقد مر في الباب الذي قبله قوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم وهو شاهد المدح بلفظ الاستهزاء بلفظ المدح ومن التهكم قول الزمخشري في تاويل قوله تعالى

له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله قال هم الحرس من حول السلطان يحفظونه على زعمه من امر الله على سبيل التهكم به فانهم لا يحفظونه من امر الله في الحقيقة اذا جاء والله اعلم ومنه ايضا قوله تعالى قل بئس ما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين فقوله سبحانه ايمانكم تهكم والله اعلم ومن السنة قول الرسول صلى الله عليه وسلم بشر مال البخيل بحادث او وارث وشاهد المدح في موضع الاستهزاء قول الذروي في ابن ابي حصينة من ابيات

لا تظنن حدبة الظهر عيبا فهي في الحسن من صفات الهلال
وكذاك القسي محدودبات وهي انكى من الظبى والعوالي
واذا ما علا السنام ففيه لقروم الجمال اي جمال
وذنابى القطاة وهي كما تعلم كانت موصوفة بالجلال
وارى الانحناء في منسر البازي ولم يعد مخلب الريبال
كون الله حدبة فيك ان شئت من الفضل او من الافضال
فاتت ربوة على طود حلم منك او موجة ببحر نوال
ما راتها النساء الا تمنت لو غدت حلية لكل الرجال

ثم ختمها بقوله

واذا لم يكن من الهجر بد فعسى ان تزورني في الخيال

وكقول ابن الرومي

فيا له من عمل صالح يرفعه الله الى اسفل

واحسب ان اول من نطق بالتهكم في شعره امرؤ القيس حيث يقول

فانشب اظفاره في النسا فقلت هبلت الا تنتصر

فان قوله للثور هبلت الا تنتصر من التهكم اللطيف واطرف ما سمعت في التهكم

قول حماد عجرد

فيا ابن نوح يا أخا الحلس ويا ابن القتب
ومن نشا والده بين الربا والكتب
يا عزي يا عزي يا عزي يا عزي

باب التنذير

وهو ان يأتي المتكلم بنادرة حلوة او نكتة مستظرفة وهو يقع في الجد والهزل ومن لطيف ما جاء منه في الجد وبديعه قوله تعالى فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فمبالغته سبحانه وتعالى في وصف المنافقين بالجبن والخوف والخور حيث اخبر عنهم بالخبر الصادق انهم عند الخوف تدور اعينهم عند النظر كحالة من يغشى عليه من الموت ولو اقتصر سبحانه وتعالى على قوله كالذي يغشى عليه لكان كافيا في المقصود لكن اراد الزيادة على المقدار الذي قصد من المبالغة فأوغل بقوله سبحانه من الموت اذ حالة المغشي عليه من الموت اشد من حالة غيره ولا شك في ان المنافقين من الجبن والخوف من الموت بهذه المثابة وذلك الذي دعاهم الى النفاق فان من كان قوي النفس شجاع القلب لا يرتضي النفاق اذ هو لا يخشى الموت ولا يخافه وفي هذا الكلام من طريق التنذير لمن يتدبره ما يبهرج كل نادرة واما ما جاء منه في الهزل فكقول ابي تمام فيمن سرق له شعرا وهو محمد بن يزيد الرقي

من بنو بحدل من ابن الحباب من بنو تغلب غداة الكلاب
من طفيل من عامر ام من الحرث ام من عتيبة بن شهاب
انما الضيغم الهصور ابو الاشبال هتاك كل خيس وغاب
من عدت خيله على سرح شعري وهو للحين راتع في كتابي

يا عذارى الكلام صرتن من بعدي سبايا تبعن في الاعراب
لو ترى منطقي اسيرا لاصبحت اسيرا ذا عبرة واكتئاب

ثم ختمها بقوله

طال رغبي اليك مما اقاسيه ورهبي يا رب فاحفظ ثيابي

وكقوله

بني نعيلة ما بالي وبالكم وفي البلاد مناديح ومضطرب
لجاجة لي فيكم ليس يشبهها الا لجاجتكم في انكم عرب

وكقوله في هجاء موسى بن ابرهيم الرافقي

عجبا لقوم يسمعون مدائحي لك لم يقولوا قم فانت مصاب
نبزوا بكذاب مسيلمة فقد غلطوا وما نبزوا بل انا الكذاب

وما رويت الطف من قول ضياء الدين موسى بن ملهم الكاتب في الرشيد عمر الفوي وكان به داء الثعلب وهو من نوادر ما قيل في اقرع

عجبت لمعشر غلطوا وغضوا من الشيخ الرشيد وانكروه
هو ابن جلا وطلاع الثنايا متى يضع العمامة تعرفوه

والفرق بين التنذير وما قبله من باب التهكم وما يلتبس بالتهكم من الهزل الذي يراد به الجد ان التنذير ظاهره وباطنه هزل بخلاف البابين والله اعلم

باب الاسجال

بعد المغالطة وهو ان يقصد الشاعر غرضا من ممدوح فيأتي بالفاظ تقرر بلوغه ذلك الغرض فيسجل عليه بذلك مثل ان يشترط لبلوغه ذلك شرطا يلزم من وقوعه وقوع ذلك الغرض ثم يقرر وقوع ذلك الشرط

مغالطة ليقع المشروط كقول بعضهم

جا الشتاء وما عندي لقرته الا ارتعادي وتصفيقي باسناني

وان هلكت فمولانا يكفنني هبني هلكت فهبني بعض اكفاني

وقد ياتي المغالطة بلا اسجال اذا اراد المتكلم اخفا مراده فسال عن شي وهو يريد غيره بشرط ان يكون المسؤل عنه يتعلق بمراده تعلقا قريبا لطيفا كقول ابي نواس

اسائل القادمين من حكمان كيف خلفتم ابا عثمان

فيقولون لي جنان كما سرك في حالها فسل عن جنان

ما لهم لا يبارك الله فيهم كيف لم يغن عندهم كتماني

فانه سال عن اخي سيد جنان وانما اراد جنانا ويقع الاسجال بغير مغالطة وهذا القسم هو الذي ياتي في الكتاب العزيز كثيرا ومنه قوله تعالى ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم والله اعلم ٥

باب الاشتراك

وهو قسمان معنوي ولفظي وكل من هذين القسمين معيب وغير معيب وحسن فالمعيب المعنوي كقول الفرزدق

وما مثله في الناس الا مملكا ابو امه حي ابوه يقاربه

فان لفظة حي مشتركة بين ضد الميت وبين القبيلة فلم يميز بينهما في البيت بقرينة او ما يخلصه من الاشتراك ولا بينه فيما بعده فلذا اشتراكا معيبا على ان البيت معيب من وجه اخر وهو تعسف الشك وقد مضى ذكره ومثال المعنوي الذي ليس بمعيب ولا بحسن قول كثير

وانت التي حببت كل قصيرة الي ولم تشعر بذاك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم ارد قصار الخطا شر النساء البحاتر

فان لفظة قصيرة مشتركة فلو اقتصر على البيت الاول كان الاشتراك معيبا لكنه لما اتى بالبيت الثاني زال العيب فبقي الاشتراك ليس بمعيب ولا بحسن والذي منعه ان يعد حسنا ما في البيتين من التضمين فان ذلك جعل له منزلة بين منزلتين واما الاشتراك الحسن المعنوي فهو اشتراك الشاعرين في معنى واحد اذا شارك الاخر الاول اشتراكا يوجبه له دون الاول كسائر المعاني التي يتناولها الشعراء بعضهم من بعض واما الاشتراك اللفظي فالذي ليس بمعيب منه اشتراك الناس في مفردات الالفاظ فانها ليس احد احق بها من احد فلا يعد الاشتراك في الالفاظ المفردة سرقة فان تضمنت معنى من معاني النفس او معاني اللفظ عد تناولها سرقة ومثال الاول قول ابي نواس

ترى العين تستعفيك من لمعانها وتحسر حتى ما تقل جفونها

فلفظة الاستعفاء مشتركة بينه وبين الابيرد في قوله يرثي اخاه او ابنه

وقد كنت استعفي الاله اذا اشتكى من الاجر لي فيه وان عظم الاجر

فمثل هذا هو الاشتراك الحسن ومن الاشتراك الحسن اشتراك الشاعرين او الشعراء في عمل شعر وتسميه العرب التمليط بحيث يصنع كل واحد قسما كما حكي عن امرئ القيس والتوأم اذ قال له ملط انصاف ابيات اتيك بها ثم قال

كنار مجوس تستعر استعارا   فقال التوأم   احار ترى بريقا هب وهنا   استطارا

اذا ما قلت قد هدا   فقال التوأم   ارقت له ونام ابو شريح   فقال امرؤ القيس

واما الاشتراك المعيب فكقول الاسود بن يعفر في صفة الفرس

بمقلص عتل جهير شده قيد الاوابد والرهان جواد

فلفظة قيد الاوابد مشتركة بين الاسود وامرئ القيس في قوله قيد الاوابد هيكل
وهذا الضرب مما يعد سرقة لتضمن اللفظ معنى الارداف والاشتراك الذي
ليس بمعيب ولا بحسن تناول الشاعر للفظ المتضمن معنى من معاني البديع بحيث
ينقله من فن الى فن وذلك ان يأتي متكلم بلفظ قيد الاوابد مثلاً في غير صفة
الفرس وهذا وان لم يقع فذكره مثال يقاس عليه وكل هذه الاقسام
التي قدمت ذكرها ليست من البديع في شيء وانما هي اقسام احد ضربي الاشتراك
واما الضرب الثاني منه وهو الذي يتعلق بكتابنا فهو مثل قول امرئ القيس

كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير محلل

وقول ذي الرمة

كحلاء في برج صفراء في دعج كانها فضة قد مسها ذهب

فوقوع الاشتراك بينهما في وصف المرأة بالصفرة غير ان الاول شبه الصفرة ببيضة
النعامة والآخر بالفضة المموهة فنقل الثاني لكونه من اهل المدر متاخر الزمان
قد رأى الخلفاء والملوك التشبيه العربي الى التشبيه الملوكي ٥
والفرق بين الاشتراك اللفظي الذي ليس بمعيب وبين الايضاح ان الاشتراك في
الالفاظ والايضاح في المعاني والله اعلم

باب الالغاز والتعمية

ويسمى المحاجاة والتعمية اعم اسمائه وهو ان يريد المتكلم شيئاً فيعبر عنه بعبارات
يدل ظاهرها على غيره وباطنها عليه وهو يكون في النثر والشعر فمما جاء
منه في النثر ما املاه علي السيد الشريف العالم الفاضل تاج الشرف
ابن الحلبي ابقاه الله من رسالة ذكر انها املاها عليه منشيها فحفظها

ثم نسيها ولم يبق على خاطره منها الا ما اذكره وهو بلغني ايدك الله تعالى
انك ركبت الافق وسرت تتخطا ذوايب النجم من عن يمين جعفر وشمال سعيد
حتى اتيت الى الضرير فطفقت تستحثن عينيه ملياً وقصدت ابنة الوادي
فبقرت بطنها عن خمس كاصابع الكف وانال الغلام بيضاء من ملاح
القرية فاصليت لجميع نارا انلظى فبردت بارهن نارا محرقة ورايت
عثمن وهو امامك فقتلته ومنها ورويت ان الشافعي قال لا باس
بالمرأة اذا احتاجت ان تبيع زوجها لتنفق ثمنه ٥ وذكر لي الشرف
تاج الشرف ان منشيها كان شريفاً عباسياً واُنسي اسمه ٥
ومن النثر الذي جاء في هذا الباب قول ابن جراح ملغزاً في دملج ماشي
وجهه قمر وقلبه حجر ان نبذته صبر واعتزل البشر وان قرعته ملا
الاسماع وان ادخلته السوق ابى ان يباع وان فككت شطره دعا لك
وان ركبت نصفه هالك وربما كثر مالك وان رخمته الملك عند الفجر
واورثك الملل وقت العصر ٥ ومثال ما اتى من هذا الباب في
الشعر قول ابي العلاء المعري ملغزاً في الابرة مما انشدنيه الفاضل عفيف الدين
علي بن عدلان النحوي

سعت ذات سم في قميصي فغادرت به اثراً والله شاف من السم
كست قيصراً ثوب الجمال وتبعاً وكسرى وعادت وهي عارية الجسم

وكقوله ملغزاً في قطعة ملح من ملح الطعام من انشاد المذكور

وبيضاء من سر الملاح ملكتها فلما قضت اربي حبوت بها صحبي
فباتوا بها مستمتعين ولم تزل تحثهم بعد الطعام على الشرب

وللمعري ملغزاً في الهريسة

انشاو ما لاح الصباح وقد سرت الينا الدجى ان الجرائر لا تسرى
منعمة بيضاء ما نفحاتها بعطر ولكن هن اشهى من العطر
لها والد عال وام كريمة وحاصنة سوداء جايشة الصدر
اذا اودعت سرا غلا في ضميرها فبانت من السر المصون على الجمر

وامثلة هذا الباب من الشعر لا تحصى كثرة ٥

باب التصرف

وهو ان يتصرف الشاعر في معنى فيبرزه في عدة صور تارة بلفظ الاستعارة وطورا بلفظ التشبيه واونة بلفظ الارداف وحينا بلفظ الحقيقة كقول امرء القيس يصف الليل

وليل كموج البحر ارخى سدوله علي بانواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه واردف اعجازا وناء بكلكل

فانه ابرز هذا المعنى في لفظ الاستعارة ثم تصرف فيه فاتى به بلفظ التشبيه فقال

فيا لك من ليل كان نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل

ثم تصرف فيه فاخرجه بلفظ الارداف فقال

كان الثريا علقت في مصامها بامراس كتان الى صم جندل

ثم تصرف فيه فعبر عنه بلفظ الحقيقة فقال

الا ايها الليل الطويل الا انجل بصبح وما الاصباح منك بامثل

ولا شبهة في ان هذا انما ياتي من قوة الشاعر وقدرته وكذلك اتت قصص القران الكريم في صور شتى من البلاغة ما بين الايجاز والاطناب واختلاف معاني الالفاظ وشهرة ذلك تغني عن شرحه في هذا المكان والله اعلم ٥

باب النزاهة

وهو مختص غالبا بفن الهجاء وان وقع نادرا في غيره فانه عبارة عن نزاهة الفاظ الهجاء وغيره عن الفحش حتى يكون الهجاء كما قال فيه ابو عمرو بن العلاء وقد سئل عن احسن الهجاء فقال الذي اذا انشدته العذراء في خدرها لا يقبح عليها مثل قول جرير

لو ان تغلب جمعت احسابها يوم التفاخر لم تزن مثقالا

وكقوله

فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وكقول عمرو بن معدي كرب الزبيدي

ظللت كاني للرماح دريئة اطاعن عن ابناء جرم وفرت

وقال ابن الاعرابي اهجى بيت وامضه قول الشاعر

وقد علمت عرسك انك آيب تخبرهم عن جيشهم كل مرتع

ومن شواهد هذا الباب للمولدين قول ابي تمام

مودة ذهب اثمارها شبه وهمة جوهر معروفها عرض

وقوله

بني لهيعة ما بالي وبالكم وفي البلاد مناديح ومضطرب
لجاجة لي فيكم ليس يشبهها الا لجاجتكم في انكم عرب

وكالذي قاله معن بن الحسين بن جبارة لرجل كان يدعو قوما الى سماع قينة له ثم انكشف له بعد ذلك انهم ينالون منها القبيح

الم اقل لك ان القوم بغيتهم في رنة العود لا في رنة العود
لا تاسفن على الشاة التي عقرت فانت غادرتها في مسرح السيد

فانظر الى مناصة هذه المعاني ونزاهة الفاظها وقد وقع من النزاهة في الكتاب
العزيز عجايب منها قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم
معرضون وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون
ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اوليك هم الظالمون فان الفاظ الذم المخبر عنهم
في هذه الاية اتت منزهة عما يقع في غير هذا القسم من الهجاء واتفق في الاية
مع النزاهة صحة الاقسام فانه لم يبق بعد قوله تعالى افي قلوبهم مرض الى قوله
ان يحيف الله عليهم ورسوله قسما من هذا المعنى حتى ذكره لان المرض في القلوب
عبارة عن ابطان الكفر والريبة الشك والتردد وذكر الخوف من الحيف
فذكر جميع الاقسام التي هي اسباب القعود عن الاجابة لحكم الله ورسوله
وحصل مع ذلك الافتنان فانها تضمنت فن الفخر بوصف نفسه ورسوله
بالعدل مدمجا في الايغال التي وقع في فاصلة الاية فان ملزوم قوله تعالى
بل اوليك هم الظالمون وصفه ورسوله بالعدل فاقترن التشكيك بصحة الاقسام
وادمج الافتنان في الايغال فسبحان المتكلم بهذا الكلام ٥

باب التسليم

وهو ان يفرض المتكلم فرضا محالا اما منفيا او مشروطا بحرف الامتناع
ليكون ما ذكره ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شروطه ثم يسلم وقوع
ذلك تسليما جدليا ويدل على عدم فايدة ذلك على تقدير وقوعه كقوله
سبحانه ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما
خلق ولعلا بعضهم على بعض فكان معنى الكلام والله اعلم انه ليس مع الله سبحانه
من اله وكان قايلا قال ولو سلمنا ان معه الها للزم من ذلك التسليم

ذهاب كل اله بما خلق وعلو بعضهم على بعض فلا يتم في العالم امر ولا ينفذ
حكم والواقع خلاف ذلك ففرض الهين فصاعدا محال ومثل ذلك
قول الشاعر وهو الطرماح

لو كان يخفى على الرحمن خافية   من خلقه خفيت عنه بنو اسد

فهذا ايضا على تقدير التسليم ان الله سبحانه وتعالى يجوز ان يخفى عليه خافية
فقال الشاعر لو كان ممن يجوز ان يخفى عليه شي من خلقه خفيت عليه هذه
القبيلة ٥

باب الافتنان

وهو ان يفتن الشاعر فياتي بفنين متضادين من فنون الشعر في بيت واحد
مثل النسيب والحماسة والمديح والهجاء والهناء والعزاء فاما ما
افتن فيه بالجمع بين النسيب والحماسة فكقول عنترة

ان تغدفي دوني القناع فانني   طب باخذ الفارس المستلئم

وكقول عبد الله بن طاهر بن الحسين

احبك يا ظلوم فانت عندي   مكان الروح من جسد الجبان
ولو اني اقول مكان روحي   خشيت عليك بادرة الطعان

ومما جمع فيه بين تهنية وتعزية قول بعض الشعراء ليزيد بن معوية حين
دفن اباه وجلس للناس

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة   واشكر حباء الذي بالملك اصفاكا
لا رزء اصبح في الاقوام نعلمه   كما رزيت ولا عقبى كعقباكا

واحسن شعر افتن فيه بالجمع بين تهنية وتعزية قول ابي نواس للعباس بن

الفضل بن الربيع يعزيه بالرشيد ويهنيه بالأمين

تعزَّ أبا العباس عن خير هالكٍ ... بأكرم حيٍّ كان أو هو كائن
حوادث أيامٍ تدور صروفها ... لهن مساوٍ مرةً ومحاسن
وفي الحي بالميت الذي غيّب الثرى ... فلا أنت مغبونٌ ولا الموت غابن

والأمثلة في هذا الباب كثيرة جداً ومما جاء من ذلك في الكتاب العزيز قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً فجمع هذا الكلام بين التهنية والتعزية ومما جمع فيه بين التعزية والفخر قوله سبحانه كل من عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام ٥

باب المراجعة

وهي أن يحكي المتكلم مراجعةً في القول ومحاورةً في الحديث جرت بينه وبين غيره أو بين اثنين غيره بأوجز عبارة وأرشق سبك وأسهل ألفاظٍ إما في بيتٍ واحدٍ أو في أبياتٍ كقول عمر بن أبي ربيعة

بينما ينعتنني أبصرنني ... مثل قيد الرمح يعدو بي الأغر
قالت الكبرى ترى من ذا الفتى ... قالت الوسطى لها هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها ... قد عرفناه وهل يخفى القمر

وفي هذه الأبيات جنسان يدلان على قوة عارضة الشاعر وحذقه بمعرفة وضع الكلام مواضعه أحدهما وهو الذي يدل على قوة العارضة أن قوافي الأبيات لو أطلقت لكانت كلها مرفوعة كما قيل في أرجوزة رؤبة التي أولها

قد جبر الدين الإله فجبر

فإنهم قالوا إنها تزيد على السبعين شطراً ولو أطلقت قوافيها لكانت كلها مفتوحة والجنا

الآخر كونه جعل التي عرفته وعرفت به وشبهته تشبيهاً يدل على شغفها به هي الصغرى ليدل بدليل الالتزام على أنه فتى السن إذ الفتية من النساء لا تميل إلا للفتى من الرجال غالباً وختم قوله بما أخرجه مخرج المثل السائر موزوناً ولا يقال إنما مالت الصغرى له دون أختيها لضعف عقلها وعدم تجربتها فإني أقول قد تخلص من هذا الدخل بكونه أخبر أن الكبرى التي هي أعقلهن ما كانت رأته قبل وإنما كانت تهواه على السماع به فلما رأته وعلمت أنه ذلك الموصوف لها أظهرت من وجدها به على مقدار عقلها ما أظهرت من سؤالها عنه فحسب ولم تجاوز ذلك وسألت عنه وقد علمته لتتلذذ بسماع اسمه من باب تجاهل العارف الذي يوجبه شدة الوله والعقل يمنعها من التصريح والوسطى سارعت إلى تعريفه باسمه العلم فكانت دون الكبرى في الثبات الذي يوجبه سنها وتوسطها والصغرى لكون منزلتها في الثبات دون الأختين أظهرت من معرفته وصفته ما دلت به على شدة شغفها به وكل ذلك وإن لم يكن كذلك فألفاظ الشعر تدل عليه ومن جيد أمثلة هذا الباب قول أبي نواس

قال لي يوماً سليمٰن وبعض القول أشنع
قال صفني وعلياً أينا أتقى وأنفع
قلت إني إن أقل ما فيكما بالحق تجزع
قال كلا قلت مهلاً قال قل قلت فاسمع
قال صفه قلت يعطي قال صفني قلت تمنع

وإلى لطافة البحتري في باب المراجعة تنتهي الرياسة حيث قال

بتُّ أُسقّيه صفوة الراح حتى وضع الكاس مايلاً يتكفّا
قلت عبد العزيز تفديك روحي قال لبيك قلت لبيك ألفا
هاكها قال هاتها قلت خذها قال لا استطيعها ثم أغفا

باب السلب والإيجاب

وهو ان يقصد المادح ان يفرد ممدوحه بصفة مدح لا يشركه فيها غيره فينفيها في اول كلامه عن جميع الناس ويثبتها لممدوحه بعد ذلك كقول الخنساء في اخيها

وما بلغت كف امرئ متناولاً من المجد الا والذي نلت اطول
وما بلغ المهدون للناس مدحة وان اطنبوا الا الذي فيك افضل

ويروى متناولاً بفتح الواو ونصب اللام على انه مفعول به وقصد ابو نواس اخذ معنى الثاني من البيتين فلم يتهيا له اخذه الا في بيتين وقصر عنه بعد ذلك تقصيراً كثيراً وناهيك بابي نواس وذلك انه قال

اذا نحن اثنينا عليك بصالح فانت كما نثني وفوق الذي نثني
وان جرت الالفاظ يوماً بمدحة لغيرك انساناً فانت الذي نعني متناً

اما كون معنى البيتين من معنى البيت الثاني من شعر الخنساء فلان حاصل بيتي ابي نواس انك فوق ثنائنا الصالح عليك وان مدحنا غيرك كان له لفظ المدح ولك معناه وهذا كله هو عين قول الخنساء

وان جرت الالفاظ يوماً بمدحة البيت

لان حاصل قولها ان مدح المادحين فيك افضل من مدحهم للناس وان اطنبوا في مدح الناس هو قول ابي نواس في بيته الاول

فانت كما نثني وفوق الذي نثني

وقصر ابو نواس في لحوقها في الزيادة التي هي قولها وان اطنبوا وقولها

وما بلغ المهدون للناس

فكل هذه المبالغات قصر عنها ابو نواس واما قول ابي نواس في بيته الثاني فانت الذي نعني هو عين قولها الا الذي

فيك افضل

فان مفهومه ان كل من يهدي مدحاً لاحد من البشر له فيك افضل مما اهدى لغيرك ووجه تقصير ابي نواس في هذا المعنى ايضاً انه جعل ممدوحه ممدحاً بالنية دون القول وبالتاويل دون التصريح والخنساء جعلت اخاها ممدوحاً من جميع الناس بالصريح والمعنى بافضل ما مدح به كل الناس فبين المعنيين من البون ما تراه ۝

ومن السلب والايجاب ما يقع في السنة والاخبار وغيرهما وهو ان ياتي المتكلم الى صفتين او صفات فينفي واحدة ليوجب اختها او يسلبها ويوجب غيرها كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي فسلب النبوة ليوجب بقية المنازل التي كانت لهرون من موسى عليهما السلم ومن ذلك قول الشاعر

فصرت كاني يوسف بين اخوتي ولكن تعدتني النبوة والحسن

فسلب نفسه هاتين الصفتين من صفات يوسف عليه السلم ليثبت ما عداهما مما امتحن به يوسف من اخوته وهذا البيت وان كان من شواهد الاستدراك فهو مما يليق ان يستشهد به هاهنا ومن ذلك قول ابن الرومي

كانا مع الحيطان في جنباته دمى في انقطاع الرزق لا في المحاسن

لما كانت الدمى موصوفة بهاتين الصفتين وكانت احداهما لايقة بالمعنى الذي قصده اثبتها ونفى ما عداها من الصفة التي لا تليق بغرضه والله اعلم ۝

باب الابهام

بيانٍ مُعجمٍ بواحدٍ وهو ان يقول المتكلم كلاماً مبهماً يحتمل معنيين متضادين
لا يتميز احدهما على الاخر ولا ياتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد
ذلك بل يقصد ابهام الامر فيهما قصداً والفرق بينه وبين الاشتراك المعيب
ان الاشتراك لا يقع في لفظةٍ مفردةٍ لها مفهومان لا يعلم ايهما اراد المتكلم
والابهام لا يكون الا في الجمل المركبة المفيدة ويختص بالفنون كالمديح
والهجاء وغيرهما ولا كذلك الاشتراك والفرق بينه وبين الايضاح
ان البيت الملتبس الذي يفتقر الى الايضاح يتضمن الفاظ المديح الصريح
والهجاء البين فيكون فيه مدح وهجاء والابهام لا يفهم من الفاظه مدح و لا
هجاء البتة بل يكون لفظه صالحاً للامرين وان لم يكن فيه من لفظ المدح والهجاء
شيء ومثاله ما حكي ان بعض الشعراء هنا الحسن بن سهل بصهره للمامون
مع من هناه فاثاب الناس كلهم وحرمه فكتب اليه انك ان تماديت على
حرماني عملت فيك بيتاً لا يعلم احد مدحتك فيه ام هجوتك فاستحضره
وساله عن قوله فاعترف فقال لا اعطيك او تفعل فقال

بارك الله للحسن ولبوران في الختن
يا امام الهدى ظفرت ولكن ببنت من

فلم يعلم اراد بقوله ببنت من في الرفعة او في الضعة فاستحسن الحسن منه ذلك
وناشده اسمعت هذا المعنى ام ابتكرته فقال لا والله الا نقلته من شعر شاعرٍ
مطبوع كان يعبث به ففصل قباءً عند خياطٍ اعور اسمه زيد فقال له
الخياط على طريق العبث به سآتيك به لا يدري اقباء هو ام دواج فقال
الشاعر لئن فعلت لاعملن فيك بيتاً لا يعلم احد ممن سمعه ادعوت لك

ام دعوت عليك ففعل الخياط فقال الشاعر

جاء من زيدٍ قباءُ ليت عينيه سواءُ

فما علم احد هل اراد ان الصحيحة تساوي السقيمة او العكس قال فاستحسن
الحسن صدقه اضعاف استحسانه حذقه واضعف جائزته ومن ابهام
العرب قول رجل من بني عبد شمس بن سعد بن تميم

تضيفني وهناً فقلت أسابقي الى الزاد شلت من يدي الاصابع
ولم تلق للسعدي ضيفاً بقفرةٍ من الارض الا وهو غرثان جائع

فان ظاهر هذا الشعر يبهم معناه فيظن سامعه انه اراد ضيفاً من البشر فيكون
قد هجا به نفسه وهو انما يصف ذيباً عس برحله في الليل وهو بالقفر وهو
فخر محض والله اعلم ٥

باب القول بالموجب

وهو ان يخاطب المتكلم مخاطباً بكلام فيعمد المخاطب الى كل كلمة مفردة من
كلام المتكلم فيبني عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلم وذلك عين
القول بالموجب لان حقيقته رد الخصم كلام خصمه من فحوى لفظه كقول
ابن حجاج

قلت ثقلت اذ اتيت مراراً قال ثقلت كاهلي بالايادي
قلت طولت قال لا بل تطولت وابرمت قال حبل ودادي

والفرق بين القول بالموجب وبين التعطف من وجهين احدهما ان اللفظة التي
تزيد في التعطف لا تكون مع اختها في قسيمٍ واحدٍ وانما تكون كل لفظةٍ في
شطرٍ والثاني ان الثانية من لفظتي التعطف لا تعكس معنى الكلام وهذه تعكس معناه

باب حصر الجزئي والحاقه بالكلي

وهو ان ياتي المتكلم الى نوع ما فيجعله بالتعظيم له جنسا بعد حصر اقسام الانواع منه والاجناس كقول القائل

اليك طوى عرض البسيطة جاعلا قصارى المطايا ان يلوح له القصر
وكنت وعزمي والظلام وصارمي ثلاثة اشياء كما اجتمع النسر
فبشرت آمالي بملك هو الورى ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

والبيت الاخير اردت فان هذا الشاعر قصد تعظيم الممدوح وتفخيم امر دار التي قصده فيها ومدح يومه الذي لقيه فيه فجعل الممدوح جميع الورى والدار التي لقيه فيها الدنيا واليوم الذي رآه فيه الدهر فجعل الجزئي كليا بعد حصر اقسام الجزئي اما جعله الجزئي كليا فلان الممدوح جزء من الورى والدار جزء من الدنيا واليوم جزء من الدهر واما حصر اقسام الجزئي فلان العالم عبارة عن اجسام وظروف زمان وظروف مكان وقد حصر ذلك

باب المقارنة

وهو ان يقرن الشاعر الاستعارة بالتشبيه او المبالغة او غير ذلك من المعاني في كلامه بوصل يخفى اثره ويدق موضعه الا عن الحاذق المدمن النظر في هذه الصناعة واكثر ما يقع ذلك بالجمل الشرطية كقول ادريس اليماني من شعراء المغرب

وكنت اذا استنزلت من جانب الرضى نزلت نزول الغيث في البلد المحل
وان هيج الاعداء منك حفيظة وقعت وقوع النار في الحطب الجزل

فان هذا الشاعر لائم بين الاستعارة بقوله في صدر البيت الاول وكنت اذا استنزلت من جانب الرضى ومن التشبيه بقوله في

عجز البيت نزول الغيث اي مثل نزول الغيث احسن ملايمة اذ جعل اول العجز مصدرا للفعل الذي في اول الصدر فحصل بذلك التلاحم اللطيف والاتصال الدقيق وقارن بين الاستعارة والتشبيه احسن مقارنة ٥ وكذلك فعل في البيت الثاني حيث قال بعد ذكر تهييج الحفيظة وقعت وقوع النار وهذا مثال ما اقترنت فيه الاستعارة بالتشبيه واما ما اقترن فيه التشبيه بالاحتراس فكقول شاعر الحماسة

ضممنا لكم من غير فقر اليكم كما ضمت الساق الكسير الجبائر

فان هذا الشاعر قارن بين التشبيه في العجز وبين الاحتراس في الصدر متولد من المقارنة افتنان لانه بذلك ادمج الفخر في الهجاء كما علق التشبيه بالاحتراس فحصل في البيت الاحتراس والتشبيه والتعليق والادماج والافتنان والتمكين وكل ذلك بسبب المقارنة فهو بيت عجيب جدا ٥ واما ما اقترنت فيه الاستعارة بالمبالغة فمثاله قول النابغة الذبياني

وانت ربيع ينعش الناس سيبه وسيف اعيرته المنية قاطع

فانه سمى الممدوح ربيعا استعارة لانه يحيا به النبات والحيوان وسماه سيفا لانه يموت به الاقران وفي ضمن كل استعارة منهما مبالغة تامة اما الاولى منهما فجائية على التحقيق فان احياء الربيع اعم من احياء الكريم فجعل الكريم ربيعا مبالغة ممكنة جائية على التحقيق ٥ واما الثانية فانها ابلغ من الاولى حيث جعله سيفا اعيرته المنية قاطعا فانه لو عكس حتى جعله مستعيرا للمنية كان ذلك بليغا والاول ابلغ ٥ ومن احسن ما سمعت في المقارنة قول ابي تمام

فإن أنا لم يحمدك عني صاغراً عدوك فاعلم أنني غير حامد

فإن هذا البيت وقعت فيه مقارنتان إحداهما في ظاهره والأخرى في
باطنه فوقع في ظاهره المبالغة مقترنة بالتكميل في قوله يحمدك عدوك
صاغراً لأن حمد العدو مبالغة وكونه صاغراً تكميل وفي باطن البيت
الافتنان مقترن بالإدماج لأن الافتنان فيه مدمج في المبالغة وذلك
أنه لا يقدر على أن يجعل عدو الممدوح يمدحه صاغراً إلا بما يجيد فيه من
المدائح التي تدعو استجادتها واستحسانها كل من يسمعها إلى حفظها
واللهج بها من صديق وعدو فيضطر العدو للهجة بتلك المدائح إلى أن
يمدح المقولة فيه وهو صغير عند نفسه وعند من يسمعها منه لأن من
يسمعها يقول ليس بعاقل من يعادي من يقال فيه مثل هذا فيصغر عند نفسه
وعند غيره ويهون مقداره وفي ذلك افتخار للشاعر ومدح للممدوح
وهذان فنان أحدهما مدمج وهو الافتخار والآخر ظاهر وهو المدح
وحصل بسبب ذلك في البيت تعليق لطيف وهو تعليق صحة مدح الشاعر
على مدح عدو الممدوح له صاغراً فإنه شرط على نفسه أنه ما لم يمدح
ممدوحه عدوه فهو غير مادح له ومن أحسن ما سمعت في ذلك قول
تميم بن مقبل

لدن غدوة حتى نزعنا عشية وقد مات شطر الشمس والشطر مدنف

وهذا ما اقترن فيه الإرداف بالاستعارة لأنه عبر عن الغروب بموت
شطر الشمس في أول العجز واستعار للشطر الثاني الدنف في آخر العجز
وهذا بليغ جداً حيث أتت المقارنة فيه في قسيم واحد والفرق بين
المقارنة والتعليق والإدماج أنهما في المعاني وذانك في الفنون ٥

والمعاني معاً ومن المقارنة ما يقرنه الشاعر من شعر غيره بشعره وهو
عكس الإيداع والاستعانة لأن الشاعر في هذين البابين يقدم شعر
نفسه على شعر غيره وفي المقارنة يقدم شعر غيره على شعر نفسه كما
قال الرشيد هرون للجماز يوماً أجز وأنشد

الملك لله وحده — فقال الجماز — وللخليفة بعده
وللمحب إذا ما حبيبه بات عنده

وسمى هذا النوع القدماء من العرب قبل واضعي كتب البلاغة التمليط ٥
وبينها أعني المقارنة وبين الإدماج فرق آخر وهو أن معاني المقارنة
ظاهرة كلها ومن شواهدها في الكتاب العزيز قوله تعالى وهو الذي يريكم
البرق خوفاً وطمعاً فقد اقترن في هذه الآية صحة التقسيم بالتفسير

باب المناقضة

وهو تعليق الشرط على نقيضين ممكن ومستحيل ومراد المتكلم المستحيل
دون الممكن ليؤثر التعليق عدم وقوع المشروط فكأن المتكلم ناقض نفسه
في الظاهر إذ شرط وقوع أمر بوقوع نقيضين ومثال ذلك قول
النابغة الذبياني

وإنك سوف تحلم أو تناهى إذا ما شبت أو شاب الغراب

فإن تعليقه وقوع حلم المخاطب على شيبه ممكن وعلى شيب الغراب مستحيل
ومراده الثاني لا الأول لأنه مقصوده أن يقول إنك لا تحلم أبداً
والفرق بينه وبين نفي الشيء بإيجابه أن هذا الباب ليس فيه نفي ولا
إيجاب ونفي الشيء بإيجابه ليس فيه شرط ولا معناه ومن المناقضة

نوع اخر يرجع اصله الى الاول وهو ان ياتي في لفظ الوعد ما يدل على
الوعيد فيسر المخاطب ويسوءه في وقت واحد فيتوجه على ذلك اللفظ
اشكال يوضحه ما بعده كقوله تعالى انا كاشفو العذاب قليلا انكم عائدون
فقوله سبحانه انا كاشفو العذاب وعد ووصف كشف العذاب بالقلة
وعيد فهو يسر ويسوء في حالة واحدة وانما وصفه بالقلة المنافية لعطاء
الكريم من اجل انه علق كشف العذاب بشرط عدم العود الى موجب العذاب
فاقتضت البلاغة ان يقول قليلا ليدمج من دلايل النبوة الاخبار بالغيب
وهو وقوع العود فرشح بذكر لفظة قليلا للايضاح والاخبار بوقوع
العود الذي اقتضى ان يكون كشف العذاب قليلا والشرط الماخوذ من قوة
الكلام هو الذي يرد هذا النوع الى النوع الاول والله اعلم ٥

باب الانفصال

وهو ان يقول المتكلم كلاما يتوجه عليه فيه دخل اذا اقتصر عليه فياتي
بعده بما ينفصل به عن ذلك الدخل كقول ابي نواس

في حرام الناس ان كنت من الناس تعد
ولقد نبئت ابليس اذا راك يصد
ليس من تقوى ولكن ثقل منك وبرد

فان ابا نواس لو اقتصر على البيت الثاني لكان الهجاء فيه غير مخلص وكان
يتوجه دخل بسبب احتمال البيت للمدح والاتيان به في معرض الهجو فانفصل
عن هذا الدخل بالبيت الثالث والفرق بينه وبين الاحتراس عموم
الاحتراس وخصوص هذا الباب لان البيت المدخول من هذا الباب يكون

الدخل المتوجه عليه من جهة كونه صالحا للضدين من الفنون وهو في سياق
ابيات مقصورة على فن واحد منهما والاحتراس يكون بيته مدخولا من هذا
الوجه وغيره ٥

باب الابداع

وهو ان تكون مفردات الكلمات من البيت الشعر او الفصل النثر
او الجملة المفيدة متضمنة بديعا بحيث ياتي في البيت الواحد والقرينة
الواحدة عدة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته او جمله وربما
كان في الكلمة الواحدة ضربان من البديع ومتى لم تكن كل كلمة بهذه المثابة
فليس بابداع وما رايت في جميع ما استقريت من الكلام المنثور والشعر
الموزون كاية كريمة من كتاب الله تعالى استخرجت منها احدا وعشرين
ضربا من المحاسن وهي قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي
وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين
وهي المناسبة التامة بين اقلعي وابلعي والمطابقة بذكر الارض والسما
والمجاز في قوله يا سماء فان المراد والله اعلم يا مطر السماء والاستعارة في
قوله اقلعي والاشارة في قوله تعالى وغيض الماء فانه عبر بهاتين اللفظتين
عن معان كثيرة والتمثيل في قوله تعالى وقضي الامر فانه عبر عن هلاك
الهالكين ونجاة الناجين بلفظ فيه بعد عن لفظ المعنى الموضوع له
والارداف في قوله تعالى واستوت على الجودي فانه عبر عن استقرارها
بهذا المكان وجلوسها جلوسا متمكنا لا زيغ فيه ولا ميل بلفظ
قريب من لفظ المعنى والتعليل لان غيض الماء علة الاستواء

وصحة التقسيم اذ استوعب سبحانه اقسام أحوال الماء حالة نقصه اذ ليس
الا احتباس ماء السماء واحتقان الماء الذي ينبع من الارض وغيض الماء
الحاصل على ظهرها والاحتراس في قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين
اذ الدعاء عليهم يشعر بانهم مستحقوا العذاب الهلاك احتراسا من ضعيف
يتوهم ان الهلاك لعمومه ربما شمل من يستحق ومن لا يستحق فتاكد بالدعاء
على الهالكين كونهم مستحقين ذلك والايضاح في قوله للقوم ليبين ان
القوم الذين سبق ذكرهم في الاية المتقدمة عليها حيث قال تعالى وكلما
مر عليه ملا من قومه سخروا منه وفي قوله بعد ذلك ولا تخاطبني في الذين
ظلموا انهم مغرقون فاتى سبحانه في اخر هذه الاية بلفظة القوم التي الالف
واللام فيها للعهد ليبين انهم القوم الذين سبق ذكرهم ووصفهم بالظلم
كما وصفهم في اول الكلام بالظلم وذلك مما يوضح المعنى ويبينه فنعلم ان لفظة
القوم هاهنا ليست فضلة في الكلام وانما يحصل بسقوطها لبس في المعنى
وعدم بيان الكلام يحتاج له والمساواة لان لفظ الاية لا يزيد على معناها
وحسن النسق لانه سبحانه عطف القضايا بعضها على بعض بحسن ترتيب حسب
ما وقعت وائتلاف اللفظ مع المعنى لان كل لفظة لا يصلح موضعها غيرها
والايجاز لانه سبحانه اقتص القصة بلفظها مستوعبة بحيث لم يخل منها
بشيء في اخصر عبارة والتسهيم لان اول الاية الى قوله تعالى اقلعي يقتضي اخرها
والتهذيب لان مفردات الالفاظ موصوفة بصفات الحسن كل لفظة سهلة
مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة مع الخلو عن البشاعة والتركيب
سليم من التعقيد والتقديم والتاخير والحذف المخل والزيادة المشبهة
وحسن البيان من جهة ان السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام ولا يشكل عليه شيء

من هذا النظام والتمكين لان الفاصلة مستقرة في قرارها مطمئنة في مكانها
غير قلقة ولا مستدعاة والانسجام وهو تحدر الكلام بسهولة كما ينسجم
الماء ويتساب انسياب العليل من الهواء وباقي مجموع الاية من الابداع
وهو الذي سمي به هذا الباب من ان كل لفظة لا تخلو عن ان تستخرج منها
ضرب او ضربان من البديع فهذه اية عدت الفاظها سبع عشرة لفظة تضمنت
عشرين ضربا من البديع غير ما يتعدد من ضروبها فان الاستعارة وقعت
منها في موضعين وهما استعارة الابتلاع للارض والاقلاع للسماء والمجاز
في مكانين في قوله سبحانه ويا سماء وفي الاشارة والتمثيل والارداف
لان المجاز مجازان مجاز بالحذف ومجاز بالتغيير وقد وقعا معا فانظر
رحمك الله الى عظم هذا الكلام لتعلم ما انطوى عليه نظمه وما تضمنه
لفظه ٥ وقد وقع لي بيت شعر من قصيدة اشرفية وقع فيه ستة
عشر ضربا من البديع بعد ما تكرر فيه من ضروب البديع وهو

فضحت الحيا والبحر جودا فقد بكى الحيا من حياء منك والتطم البحر

فاتفقت فيه الاستعارة في ثلثة مواضع في افتضاح الحيا وبكايه وحيايه
والمبالغة اذ جعلت الممدوح يفضح الحيا والبحر بجوده والتفسير في
قولي جودا وقولي من حياء منك والاغراق لانه في جملة القافية من زيادة
المبالغة والترشيح بذكر الاستعارة الاولى للاستعارة الثانية
والتجنيس بين الحيا والحياء والتورية في قولي والتطم البحر والترشيح للتورية
بذكر البكاء فان ذكره هو الذي رشح للتورية وصحة التقسيم في حصر
القسمين اللذين يضرب بهما المثل في الجود اذ لا ثالث لهما والتصدير في
كون البحر مذكورا في صدر البيت وهو قافيته والتعليل في كون العلة

في بكاء الحيا والتطام البحر فضيحتهما بجوده   والتشهيم في كون صدر البيت
يقتضي العجز ويدل عليه وحسن النسق في كون جمل البيت عطف بعضها على
بعض باصح ترتيب والارداف لاني عبرت عن نهاية جوده بفضوح الحيا والبحر
والتمثيل في كوني عبرت عن عظم الجود ببكاء الحيا من الحياء والتطام البحر
بهذا ما في تفاصيل البيت واما ما في جملته فالمساواة لكون لفظه قالبا
لمعناه وائتلاف لفظه مع معناه في كون الفاظ البيت متلائمة مختارة لا يصلح
موضع كل لفظة غيرها ولم يحصل فيه من تعقيد السبك والتقديم والتاخير
وسوء الجوار ما يوجب له الاستثقال والابداع الذي هذا بابه لكون كل
لفظة من مفرداته تتضمن نوعا او نوعين من البديع   فقد حصل فيه ستة عشر
ضربا من البديع وتكررت الاستعارة فيه في ثلثة مواضع والترشيح في موضعين
والتفسير في موضعين وهو ثنتا عشرة لفظة والله اعلم ٥

باب حسن الخاتمة

يجب على الشاعر والناثر ان يختما كلامهما باحسن خاتمة فانها آخر ما يبقى
في الاسماع ولانها ربما حفظت من دون سائر الكلام في غالب الاحوال فيجب
ان يجتهد في رشاقتها ونضجها وحلاوتها وجزالتها ٥ وقد رايت
القاضي الفاضل عبد الرحيم رحمه الله تعالى كثيرا ما كان يحترز في ذلك
ويتوخاه فياتي منه بكل نكتة ترقص لها القلوب وتغني عن النسيب في
المحبوب ٥ فمن ذلك خاتمة كتاب اجاب به القاضي السعيد ابن سناء
الملك رحمه الله حيث قال   وهذا القاضي مسؤول في ان يخولنا ببدايعه
ويومننا دثور الفكر بروايعه ولا يضن علينا بما هو سهل عليه من منافعه

الفضيلة

والا دخل فيمن منع الماعون وخرج من الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
وقوله في خاتمة رسالة كتبها للملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى
في حق اولاد ابن ابي اليسر وقد قصلوه بعد موت ابيهم فخلع عليهم فاعلموا
الفاضل بذلك وسالوه كتابا اليه على يدهم بالوصية عليهم والاذن لهم في
تقبيل يده فقال في اخره   وان يبسط لهم وجهه الكريم عند مثولهم
وسلامهم لينزع بشره حداد الحزن عن قلوبهم كما نزع بره حداد الماتم عن
اجسامهم لا زال مولانا عاقلة الدهر ان جنى على اوليايه ودافع اعداه
منعما ان سالوه اعطاهم وان لم يسالوه بداهم ٥
والمتقدم في جميع فنون البلاغة وخصوصا هذا النوع منها على بلغاء البدو والحضر
بل على جميع فصحاء البشر حاشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمه علي ابن ابي
طالب عليه السلم فمن خواتم كلامه قوله في اخر جواب اجاب به معوية وهو
ثم ذكرت ان ليس لي ولاصحابي عندك الا السيف فلقد اضحكت بعد استعبار
متى الفيت بنو عبد المطلب عن الاعداء ناكلين وبالسيوف مخوفين
لبث قليلا يلحق الهيجا حمل   فسيطلبك من تطلب ويقرب
منك ما تستبعد واني مرقل نحوك بجحفل من المهاجرين والانصار والتابعين
لهم باحسان شديد زحامهم ساطع قتامهم متسربلين سرابيل الموت احب
اللقاء اليهم لقاء ربهم قد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية عرفت
مواقع نصالها في اخيك وخالك وجدك وما هي من الظالمين ببعيد ٥
واما حسن الخاتمة في الشعر فقليل في اشعار المتقدمين واكثر من عني
بذلك المحدثون فمن المجيدين في ذلك ابو نواس حيث قال في خاتمة قصيدة
مدح الامين

بهاء

فبقيت للعلم الذي تهدي له وتقاعست عن يومك الأيام

وكقوله في خاتمة قصيدة مدح بها الخصيب عامل مصر

انت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحر

لا تقعدا بي عن مدى املي شيئا فما لكما به عذر

ويحق لي اذ صرت بينكما ان لا يحل بساحتي فقر

وكقوله فيه

واي جدير اذ بلغتك بالغنى وانت بما املت منك جدير

فان تولني منك الجميل فاهله والا فاني عاذر وشكور

وكقوله للعباس بن الفضل بن الربيع

اليك غدت بي حاجة لم ابح بها اخاف عليها شامتا فاداري

فارخ عليها ستر معروفك الذي سترت به قدما علي عواري

وكقول ابي تمام في خاتمة القصيدة التي ذكر فيها فتح عمورية

ان كان بين ليالي الدهر من رحم موصولة وذمام غير منقضب

فبين ايامك اللاتي نصرت بها وبين ايام بدر اقرب النسب

ابقت بني الاصفر المصفر كاسمهم صفر الوجوه وجلت اوجه العرب

وكقوله في خاتمة قصيدة اعتذر بها الى ابن الهيثم

أأ قنع المعروف وهو كانه قمر الدجى اني اذا اللئيم

مثر من المال الذي ملكتني اعناقه ومن الوفاء عديم

فاروح في بردين لم ينسجهما قبلي فتى وهما الغنى واللوم

وكقوله في خاتمة قصيدة اعتذر بها الى ابن ابي دواد

ومن ياذن الى الواشين تسلق مسامعه بالسنة حداد

وكقوله في خاتمة قصيدة استعطف بها ابن الزيات

اكابرنا عطفا علينا فاننا بنا ظما برح وانتم مناهل

وكقوله في خاتمة قصيدة اعتذر بها الى موسى بن ابرهيم الرافقي

فان يك ذنب عن او تك هفوة على خطاء مني فعذري على عمد

وكقوله في خاتمة قصيدة مخاطبا لمالك بن طوق

لا توقظوا الشر من نوم فقد غنيت دياركم وهي ترعى زهرة النعم

هذا ابن خالكم يهدي نصيحته من بيتهم فهو فيكم غير متهم

وكقول ابي الطيب المتنبي في خاتمة قصيدة من السيفيات

فلا حطت لك الهيجاء سرجا ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

وكقوله في خاتمة اخرى من السيفيات

لا زلت تضرب من عاداك عن عرض بعاجل النصر في مستاخر الاجل

وكقوله لسيف الدولة وقد ذكر الخيل

فلا هجمت بها الا على ظفر ولا وصلت بها الا الى امل

وكقوله ايضا فيه

اخذت على الارواح كل ثنية من العيش تعطي من تشاء وتحرم

فلا موت الا من سنانك يتقى ولا رزق الا من يمينك يقسم

وكقوله في خاتمة القصيدة التي هنا بها ابا وائل بخلاصه من الاسر

فذي الدار اخون من مومس واخدع من كفة الحابل

تفانى الرجال على حبها وما يحصلون على طائل

وقوله في خاتمة قصيدة ودع بها ابن العميد

فجد لي بقلب ان رحلت فانني اخلف قلبي عند من فضله عندي

فلو فارقت جسمي اليك حيوته لقلت اصابت غير مذموم العهد

وجميع خواتم السور القرانية في غاية الحسن ونهاية الكمال لانها بين ادعية ووصايا وفرايض وتحميد وتهليل الى غير ذلك من الخواتم التي لا يبقى للنفوس بعدها تطلع ولا تشوق الى ما يقال كالدعاء الذي ختمت به البقرة والوصايا التي ختمت بها آل عمران والفرايض التي ختمت بها النساء والتبجيل والتعظيم الذي ختمت به المايدة والوعد والوعيد اللذين ختمت بهما الانعام والتحريض على العبادة بوصف حال الملايكة التي ختمت به الاعراف والحض على الجهاد وصلة الارحام اللذين ختمت بهما الانفال ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم ومدحه والاعتداد على الامم به وتسليته ووصيته والتهليل الذي ختمت به براة وتسليته عليه السلم التي ختمت بها يونس ومثلها خاتمة هود ووصف القران ومدحه الذي ختمت به يوسف والرد على من كذب الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ختمت به الرعد ومدح القران وذكر فايدته والعلة في انزاله الذي ختمت به ابرهيم ووصية الرسول عليه السلم التي ختمت بها الحجر وتسلية الرسول عليه السلم وطمانينته ووعد الله سبحانه الذي ختمت به النحل والتحميد الذي ختمت به سبحان وتحضيض الرسول صلى الله عليه وسلم على الابلاغ والاقرار بالبشريه والامر بالتوحيد الذي ختمت به الكهف وقد اتيت على نصف القران ليكون مثالا لمن نظر في بقيته ولم اطل بالبقية لكثرة سور النصف الاخير والله اعلم

هذا آخر الابواب التي استنبطتها وهي ثلثون

بابا وبها كملت عدة ابواب الكتاب مائة باب وعشرين بابا سليمة من التداخل والتوارد بعد ما حذفت من ابواب لبس فيها للمتقدمين سوى الاسماء وسميتها متداخلة في غيرها ومن انعم النظر في الكتب التي نظرت فيها ودقق الفكر في كتابي وقع على صحة ما ذكرت فرحم الله من نظر فيه وسد ما يجده من الخلل واغتفر ما يقع عليه من السهو والزلل وعمل بقولي

ما احسن الاغضاء من منصف يعلم ان الكامل الله

ان ابصرت عيناك عيبا فجد بفضل عفو عند رؤياه

ثم قال المصنف رحمه الله في اخر كتابه هذا الباب الذي استنبطته عوضا عن باب الاشتراك وهو

باب الفرايد

هذا باب مختص بالفصاحة دون البلاغة لان مفهومه اتيان المتكلم بلفظة تتنزل من كلامه منزلة الفريدة من حب العقد تدل على عظم فصاحته وقوة عارضته وشدة عربيته حتى ان هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعز على الفصحاء غرامتها وهي كقول ابي نواس

وكان سعدى اذ تودعنا وقد اشرأب الدمع ان يكفا

فلفظة اشرأب من الفرايد التي لا نظير لها في فصيح الكلام ولا يقع مثلها الا على سبيل الندور وكقوله ايضا

حتى اذا ما غلا ماء الشباب لها وانعمت في تمام الجسم والقصب

فاستعارة الغليان لماء الشباب من الفرايد البديعة وكذلك قول ابي تمام

وقد ما كنت معسول الاماني وما دوم القوافي بالسداد

فلفظة مادوم من الفرايد التي لا يقدر على نظيرها ولا يعثر على شبيهها ٥
وكقول البحتري في المعتز بالله
لابس حلة الوقار ومن ابهة السيف ان يكون محلى
فقوله ابهة من الفرايد الغريبة في مكانها التي تعجز الفصحاء عن اتيانها ٥
وقد جاء في الكتاب العزيز من ذلك غرايب يعز حصرها منها قوله سبحانه وتعالى
فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فالفاظ هذه الجملة كلها فرايد معدومة
النظاير وكقوله عز وجل حتى اذا فزع عن قلوبهم فانظر الى لفظة فزع
وغرابة فصاحتها وتعلم ان الفكر لا يكاد يقع على مثلها وكقوله تبارك
وتعالى فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين فانظر الى قوله تعالى فساء
صباح المنذرين تجد هذه الالفاظ كلها في الطبقة العليا من الفصاحة
وكقوله تعالى يعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور وهذه الفريدة في هذه
الاية اعجب من كل ما تقدم فان لفظة خاينة سهلة مستعملة كثيرة الجريان
على السن الناس لكن على انفرادها فلما اضيفت الى الاعين حصل لها من غرابة التركيب
ما جعل لها في النفوس هذا الموقع العظيم بحيث لا يستطاع الاتيان بمثلها ولا
يكاد يقع في شيء من فصيح الكلام شبهها واشباه ذلك في الكتاب العزيز لا يدخل
تحت الحصر وقد ورد في السنة النبوية على صاحبها الصلوة والسلم مواضع شريفة
منها قوله صلى الله عليه وسلم استذكروا القران فانه اشد تفصيا من
صدور الرجال من النعم من عقلها فالمح لفظتي استذكروا وتفصيا
لترى ما يبهر عقل السامع فصاحة ويروعه جزالة وحلاوة وكذلك قوله
عليه السلم اذا ذكر الصالحون فحي هلا بعمر فان لفظة حي هلا من الفرايد
العجيبة وفيها من الفصاحة ما يعجز عن مثله كل فصيح وعلى هذه الامثلة

فقس ترشد ان شاء الله تعالى بهذا الباب تكمل ابواب ثلثين بابا كما
شرطت بعد رد باب الاستدراك الى ابواب من تقدمني وتنزيله بعد باب
الاستثناء لكن تصير به ابواب من تقدمني من اتباع قدامة وابن المعتز
احدا وتسعين بابا وتصير عدة ابواب كتابي هذا ماية باب واحدا
وعشرين بابا ٥

قال صاحب الكتاب

كنت قد سودت من هذا الكتاب نسخة قبل هذه مختصرة جدا احسب ما رسم لي
من الفته له ورسم ان ابيضها الفاضل ضياء الدين موسى بن ملهم الكاتب وفقه
الله تعالى فلما بيضها تفضل وكتب في اخرها

هذا كتاب بديع ما راى احد … مثلا له في مبانيه ومعناه
حوى تصانيف هذا العلم اجمعها … وزادنا جملا عما سمعناه
لا تعجبوا من لطيف الحجم قام بهذا … الفن اجمع اقصاه وادناه
فقد رايتم عصى موسى كم التقفت … ولم يزد قدرها عما عهدناه

لقد عجبت من غفلة السابقين بهذا العلم عما اهتدى اليه هذا المصنف وكيف
مروا معرضين عما استخرج دره هذا المولف وصفوا صور جواد وتركوا
وصف سبقه وشبهوا بطيه واضربوا عن حسن عينيه وعنقه واشتغلوا عن
حمد الغيث وشكره ودقه بالاطناب في تشبيه رعده وبرقه فذكر ما
نسوه وكمل ما نقصوه لا جرم انه سبق اولهم واصبح افضلهم وكل هذا
بسعادة من صنف لاجله كتابه وقصد به بابه وجنابه فان سعادته
ترد الاجن عذبا واليابس رطبا وتنشر موتى الاملاق قبل المعاد وتغير

اسمى شرٍّ وظلومٍ بسعدى وسعادٍ وهمّته تنظر من اعلى العلو الى الشمس وقلّة
تكاد ترد الماضى وتصيّر اليوم أمس لازال بابه مقصودا وفاضله محسودا
والقدر من اعوانه معدودا وان كان القدر بهذا القدر مسعودا
ان شاء الله تعالى

نقل وقوبل من اوله الى آخره على نسخة قد صححها المصنف بخطه

تم كتاب تحرير التحبير بعون الله تعالى
ومنه وحوله وقوته ليلة عيد الفطر من سنة
خمس وسبعين وستمية

من الكتب التى وقفها الفقير الى الله ... ذى المواهب محمد ... وقفى ...

١٠٧٨

والحمد لله وصلوته على محمد واله وصحبه